٢

العذب الزلال

في بيان أنواع السؤال

تأليف
فؤاد سراج عبد الغفار

تقديم وتقريظ

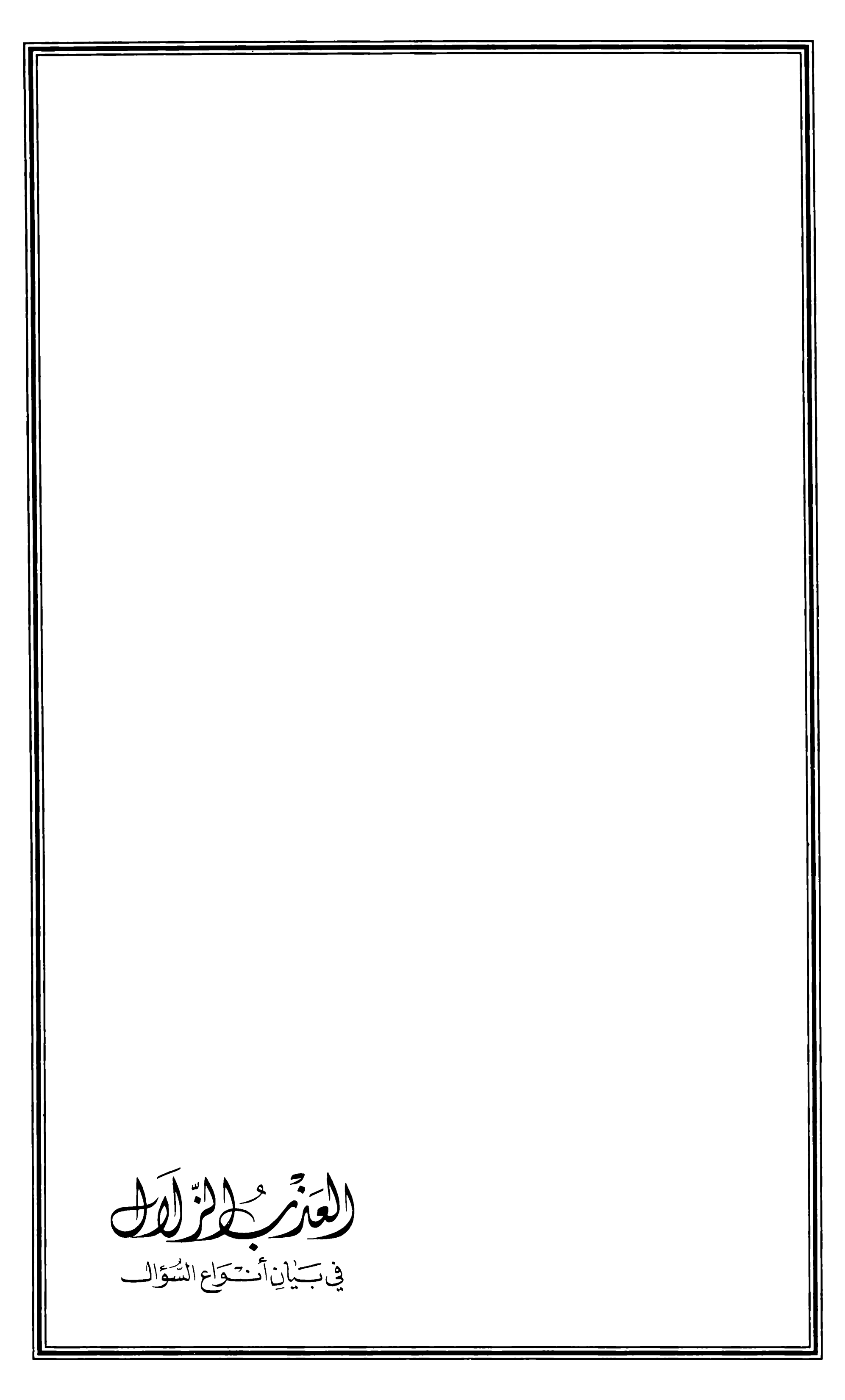
الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق

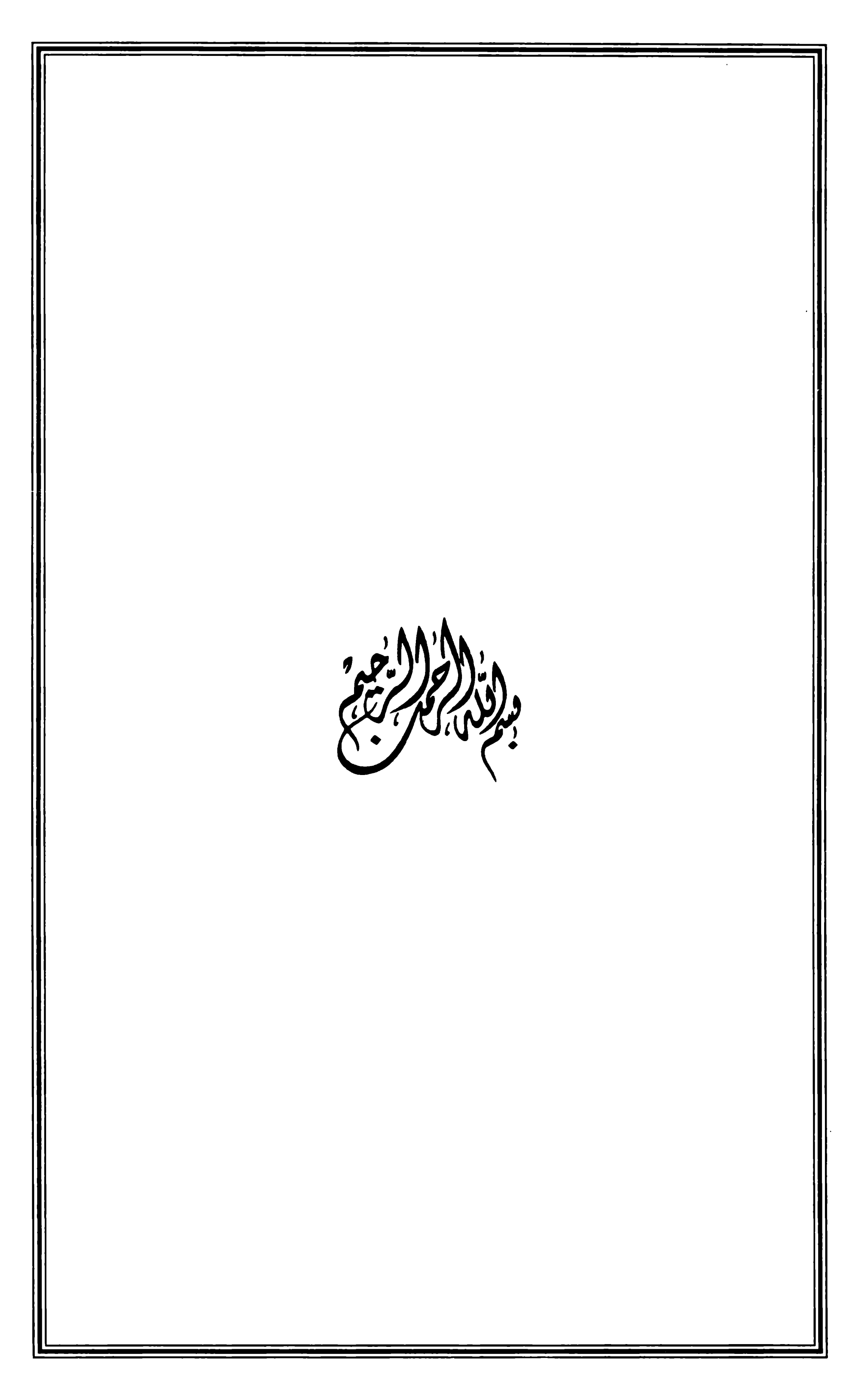
الشيخ صلاح الدين مقبول أحمد

د. محمد عبد الرحمن الخميس

الشيخ عبد العزيز بن صالح الرهد

دار ابن حزم


العذب الزلال
في بيان أنواع السؤال


بسم الله الرحمن الرحيم



في بيان أنواع السؤال

تأليف
فؤاد سراج عبد الغفار

تقديم وتقريظ

الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق — الشيخ صلاح الدين مقبول أحمد

د. محمد عبد الرحمن الخميس — الشيخ عبد العزيز بن صالح الرهد

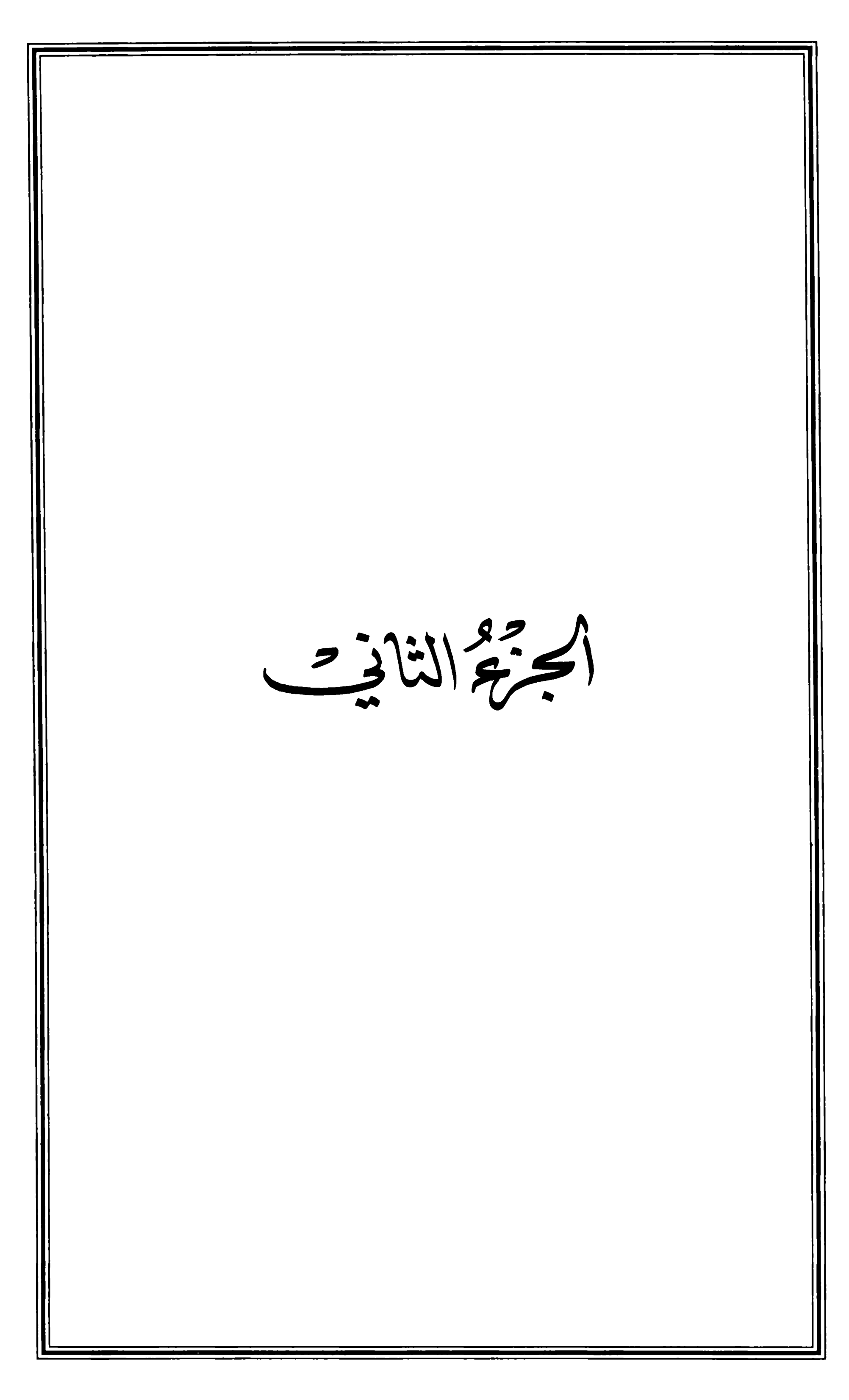
الجزء الثاني

دار ابن حزم

الطَّبعَةُ الأُولَى
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤



الجزء الثاني

المبحث السابع عشر:
النهي عن سؤال المرأة طلاق أختها وطلاق نفسها من غير بأس وأن تخبب[1] المرأة على زوجها:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا يحل لامرأة تسأل طلاق أختها لتستفرغ صحفتها فإنما لها ما قدر لها**»[2].

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (**نهى رسول الله ﷺ أن يبيع حاضر لباد ولا تناجشوا ولا يبيع الرجل على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتكفأ ما في إنائها**)[3].

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (**نهى رسول الله ﷺ عن التلقّي وأن يبتاع المهاجر للأعرابي وأن تشترط المرأة طلاق أختها وأن يستام الرجل على سوم أخيه ونهى عن النجش وعن التصرية**)[4].

- عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيما امرأة سألت زوجها طلاقاً من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة**»[5].

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس منا من خبب**

---

(١) خبَّبَ: أفسد وخدع.

(٢) أخرجه البخاري (٥١٥٢) ومسلم (٣٣٩٧) النووي، قلعجي، (١٤١٣) عبد الباقي.

(٣) أخرجه البخاري (٢١٤٠) ومسلم (١٤١٣) وفي آخره «لتكفىء ما في إنائها».

(٤) أخرجه البخاري (٢٧٢٧).

(٥) صحيح. أخرجه أبو داود (٢٢٢٦) والترمذي (١١٨٧) وابن ماجه (٢٠٥٥).

امرأة على زوجها أو عبداً على سيده»[1].

ـ عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجيء أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيئاً قال ثم يجيء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته قال: فيدنيه منه ويقول نعم أنت»**[2].

قال الحافظ في الفتح (٩/ ١٢٧):

قوله (لا يحل) ظاهر في تحريم ذلك وهو محمول على ما إذا لم يكن هناك سبب يجوز ذلك كريبة في المرأة لا ينبغي معها أن تستمر في عصمة الزوج ويكون ذلك على سبيل النصيحة المحضة أو لضرر يحصل لها من الزوج أو للزوج منها أو يكون سؤالها ذلك بعوض وللزوج رغبة في ذلك فيكون كالخلع مع الأجنبي إلى غير ذلك من المقاصد المختلفة.

وقال ابن حبيب: حمل العلماء هذا النهي على الندب فلو فعل ذلك لم يفسخ النكاح. وتعقبه ابن بطال بأن نفي الحل صريح في التحريم ولكن لا يلزم منه فسخ النكاح. وإنما فيه التغليظ على المرأة أن تسأل طلاق الأخرى ولترضى بما قسم الله لها.

قوله: (أختها) قال النووي: معنى هذا الحديث نهي المرأة الأجنبية أن تسأل رجلاً طلاق زوجته وأن يتزوجها هي فيصير لها من نفقته ومعروفه ومعاشرته ما كان للمطلقة فعبر عن ذلك بقوله: (لتكفىء ما في صحفتها). قال: والمراد بأختها غيرها سواء كانت أختها من النسب أو الرضاع أو الدين إما لأن المراد الغالب أو أنها أختها من الجنس الآدمي. وحمل ابن عبد البر الأخت هنا على الضرة. فقال: فيه من الفقه أنه لا ينبغي أن تسأل المرأة زوجها أن يطلق ضرتها لتنفرد به. وهذا يمكن في الرواية التي وقعت بلفظ (لا تسأل المرأة طلاق أختها) وأما الرواية التي فيها لفظ الشرط فظاهرها أنها في

---

(١) صحيح. أخرجه أبو داود (٢١٧٥) والنسائي.

(٢) أخرجه مسلم (٦٩٦٨) النووي، قلعجي، (٢٨١٣) عبد الباقي.

الأجنبية ويؤيده قوله فيها: (ولتنكح) أي ولتتزوج الزوج المذكور من غير أن يشترط أن يطلق التي قبلها وعلى هذا فالمراد هنا بالأخت الأخت في الدين ويؤيده زيادة ابن حبان في آخره من طريق أبي كثير عن أبي هريرة بلفظ: (لا تسأل المرأة طلاق أختها لتستفرغ صحفتها فإن المسلمة أخت المسلمة) ونقل الخلاف عن الأوزاعي وبعض الشافعية أن ذلك مخصوص بالمسلمة. قوله: (لتستفرغ صحفتها) يفسر المراد بقوله: (تكتفىء) من كفأت الإناء إذا قلبته وأفرغت ما فيه.

وقال صاحب النهاية: الصحفة: إناء كالقصعة المبسوطة ونحوها وجمعها صحاف وهذا مثل يريد به الاستئثار عليها بحظها فتكون كمن استفرغ صحفة غيره وقلب ما في إنائه إلى إناء نفسه.

وقال الطيبي: هذه استعارة مستملحة تمثيلية شبه النصيب والبخت بالصحفة وحظوظها وتمتعاتها بما يوضع في الصحفة من الأطعمة اللذيذة وشبه الافتراق المسبب عن الطلاق باستفراغ الصحفة عن تلك الأطعمة.

قوله: (ولتنكح) يحتمل أن المراد ولتنكح ذلك الرجل من غير أن تتعرض لإخراج الضرة من عصمته بل تكل الأمر في ذلك إلى ما يقدره الله ولهذا ختم بقوله (فإنما لها ما قدر لها) إشارة إلى أنها وإن سألت ذلك وألحت فيه واشترطته فإنه لا يقع من ذلك إلا ما قدره الله فينبغي أن لا تتعرض هي لهذا المحذور الذي لا يقع منه شيء بمجرد إرادتها وهذا مما يؤيد أن الأخت من النسب أو الرضاع لا تدخل في هذا ويحتمل أن يكون المراد ولتنكح غيره وتعرض عن هذا الرجل أو المراد ما يشمل الأمرين والمعنى ولتنكح من تيسر لها فإن كانت التي قبلها أجنبية فلتنكح الرجل المذكور وإن كانت أختها فلتنكح غيره. والله أعلم. انتهى مختصراً.

أما حديث (أيما امرأة سألت زوجها طلاقاً. . .) الحديث.

الطلاق في اللغة: حل الوثاق مشتق من الإطلاق وهو الإرسال والترك وفلان طلق اليد بالخير أي كثير البذل وفي الشرع حل عقدة التزوج فقط وهو موافق لبعض أفراد مدلوله اللغوي.

ثم الطلاق قد يكون حراماً أو مكروهاً أو واجباً أو مندوباً أو جائزاً.

أما الأول ففيما إذا كان بدعياً وله صور.

وأما الثاني ففيما إذا وقع بغير سبب مع استقامة الحال.

وأما الثالث ففي صور منها الشقاق إذا رأى الحكمان.

وأما الرابع ففيما إذا كانت غير عفيفة.

وأما الخامس فقد نفاه النووي وصوره غيره بما إذا كان لا يريدها ولا تطيب نفسه أن يتحمل مؤنتها من غير حصول غرض الاستمتاع.

فقد صرح الإمام أن الطلاق في هذه الصورة لا يكره. انتهى مختصراً من الفتح (كتاب الطلاق) وفي الحديث الوعيد لمن سألت الطلاق من غير سبب يوجبه.

والإسلام يحث على علاقة زوجية دائمة يصورها القرآن في صور واضحة جلية. قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾[٣].

ومن أجل هذه العلاقة القوية استهجن الإسلام الطلاق ونفر منه ورسم السبل لحل الخلافات دون اللجوء إليه ما أمكن ذلك.

قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[٤].

---

(١) الروم: (٢١).

(٢) البقرة: (١٨٧).

(٣) النساء: (٢١).

(٤) النساء: (١٩).

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًاۗ﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآۗ﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًاۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌۗ﴾(٣).

وحث الرسول ﷺ على الحب بين الزوجين ونفّر من البغض.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر**»(٤).

وقد مضى بعض الأحاديث عن نهي المرأة سؤال طلاقها وطلاق أختها لتستفرغ صحفتها. فالطلاق ليس هو الحل الأول لإنهاء الشقاق بل هناك الوعظ والهجر والضرب والتحكيم للصلح والتوفيق ولكن إذا فشلت هذه المراحل في الحل وإنهاء الشقاق بل تزداد المشاكل وتتعسر وضاقت الأنفس فحينئذ لا مفر من الطلاق عند الضرورة حلاً لهذه المشكلة. قال تعالى: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍۗ﴾(٥).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ﴾(٦). إن الطلاق دواء مر المذاق ولكن مرض الشقاق أكثر منه مرارة وقسوة وطالما بتر الأطباء عضو إنسان حرصاً على الإنسان كله ولا شك أن الطلاق خير من الموقف المائع الذي يحصل كثيراً في الغرب عندما تسوء

---

(١) النساء: (٣٤).

(٢) النساء: (٣٥).

(٣) النساء: (١٢٨).

(٤) أخرجه مسلم (١٤٦٩) عبد الباقي.

(٥) البقرة: (٢٢٩).

(٦) البقرة: (٢٣١).

العلاقة بين الزوج وزوجته وعندما لا يبقى طريق للتوفيق بينهما فإننا نرى كلاً منهما يتخذ طريقه حراً إلى الخدانة فتتخذ المرأة خديناً غير زوجها ويتخذ هو خدينة غيرها لأن الزواج غير مباح لأي منهما قبل الطلاق والطلاق يصعب الحصول عليه فلتكن الخدانة الأثيمة هي الحل.

وقد أدركت بعض الدول الغربية ما في ذلك من عبث فيسرت أمر الحصول على الطلاق ومن هذه الدول إيطاليا التي أدركت كثرة الفراق بين الأزواج وبالتالي كثرة الخدانة فأعدت مشروعاً لجواز الطلاق وقد وقف رجال الحزب الديمقراطي المسيحي بحزم ضد هذا المشروع وأنفقوا ملايين الدولارات في الحملة التي أقاموها حتى لا ينال المشروع أغلبية الأصوات ولكن هذه الملايين ضاعت هباءً ووافقت الأغلبية على المشروع سنة ١٩٧١. واتخذ طريقه إلى التنفيذ وثار البابا ضد هذا القانون وأعلن أنه سيعرض الأمر للاستفتاء الشعبي ولكن الشعب الإيطالي لم يؤيد اتجاه البابا وصوَّت في الاستفتاء لصالح سريان القانون وعقب صدور هذا القانون بفترة قصيرة تمت ٦٧ ألف حالة طلاق ولم يكن الطلاق آنذاك تدميراً للبيوت كما يقول الذين لم يفهموا فلسفة الطلاق وإنما كان تنفيذاً لأمر واقع فقد كان هناك شقاق بين الزوجين وفرقة ثابتة بينهما وكل ما فعله القانون هو أنه قنن هذه الفرقة وفتح الطريق أمام حياة يمكن أن تحدث وأن تنجح في زيجات جديدة فمن الواضح أن الرجل لا يستطيع أن يبيت مع الكراهة العميقة في سرير واحد مع امرأة ولا تستطيع المرأة أن تعيش في حيز ضيق هو البيت مع رجل أصبحت تبغضه وتخافه.

وفي بريطانيا يرخصون بالطلاق إذا طلبه أحد الشريكين وأثبت أن الآخر قد ارتكب نحوه جرائم معينة وفي النرويج والسويد والدنمرك واليابان والصين يعتبر عقد الزواج كأي عقد آخر يمكن فسخه إذا وافق الطرفان على ذلك وفي روسيا يرخص الطلاق إذا طلبه أحد الشريكين.

وفي آخر سنة ١٩٧٦ صدر بفرنسا قانون يبيح الطلاق بشروط تحس وأنت تقرؤها أنها مستمدة من الإسلام ففيها المراحل التي سبق الكلام عنها أو أكثرها ويمكننا أن نقول إن الطلاق علاج قدمه الإسلام للبشرية عندما لا ينفع

علاج سواه وإن المدنيات الحديثة اقتبست من الإسلام هذا العلاج كما اقتبست وتقتبس منه اتجاهات أخرى من الحضارة. انتهى من كتاب مقارنة الأديان لأحمد شلبي.

وقال الصابوني: الطلاق مشروع لمصالح اجتماعية قال تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ﴾[1] لقد شرع الطلاق ـ مع اعتباره أبغض الحلال إلى الله ـ[2] وذلك لضرورات قاهرة وفي ظروف استثنائية مُلحَّة تجعله دواءً وعلاجاً في بعض الحالات للتخلص من شقاء محتم، قد لا يقتصر على الزوجين بل يمتد إلى الأسرة كلها فيقلب حياتها إلى شقاء وجحيم لا يطاق.

والإسلام يعلم أن الطلاق فيه هدم للأسرة وتصديع لبنيانها وتمزيق لوحدة أفرادها ومع هذا فقد أباحه لدفع ضرر أكبر وتحصيل منفعة أكثر وهي التفريق بين زوجين متباغضين من الخير أن يفترقا، لأن الشقاق والخلاف قد استحكم بينهما والحياة الزوجية ينبغي أن تكون قائمة على أساس الحب والوئام والسكن والاستقرار لا على التناحر والخصام، فماذا يصنع الرجل إذا ركبت المرأة رأسها وسارت في طريق الشيطان وتحت قيادته ولوائه لا تكف عن غيِّها ولا ترعوي عن أذاها وشرها وقلبت حياة الرجل إلى جحيم مستعرة، وماذا تصنع المرأة إذا كان زوجها سيىء الأخلاق فاسقاً شريراً يسيء معاشرتها ويضربها ويهينها ويسلقها بألسنة حداد؟ أليس من الخير والمصلحة أن نفرق بين شخصين استحكم العداء بينهما وحل الخلاف والشقاق مكان الوئام والوفاق؟ فالطلاق إذاً علاج ودواء لبعض الحالات الشاذة التي تستعصي على الإصلاح[3]. انتهى.

وجاء في كتاب منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب[4].

---

(١) البقرة: (٢٢٩).

(٢) ذكر في هذا المعنى أحاديث كلها ضعيفة.

(٣) قبس من نور القرآن (١/ ٦٧).

(٤) للشيخ عبد العزيز بن الشيخ حمد بن ناصر آل معمر غفر الله لهما. ص (٣١١ ـ ٣١٢).

وهو كتاب قيم للرد على شبهات قسيس إنجليزي. ومن هذه الشبهات:

قال النصراني: وأمر المسيحيون بإثبات عقدة التزويج واحتمال الزوجين أخلاق بعضهما بعضاً أما المسلمون أجيز لهم نقضها بالطلاق.

فقال الشيخ عبد العزيز رداً على هذه الشبهة:

لا ريب أن الذي شرع الله للمسلمين من ذلك أكمل وأليق بالحكمة فإن تحريم الطلاق يفضي كثيراً إلى ضرر الزوجين فإنه قد لا يلائم خلقها خلقه فتقع النفرة بينهما والبغض من كل منهما للآخر؟ ويحصل الشقاق فيبقيان عمرهما في نكد العيش ففي إباحة الطلاق الخلاص من هذا الضرر، وأيضاً فإنه ولم يحصل شقاق فقد يحتاج إلى فراقها لمصلحة الاستبدال بأوفق منها أو لكونها عاقراً لا تلد فيستبدل بها ولوداً ويعرض لها ما يمنع مقصود الاستمتاع، بحيث لو منع الاستبدال بغيرها فات مقصود النكاح ومصالحه إلى غير ذلك من الأسباب المقتضية لفراق الزوجة، فأباح الله تعالى للزوج طلاقها تحصيلاً للمصلحة الراجحة له وتبقى هي مباحة للأزواج فتتم المصلحة لكل منهما وهذا هو اللائق برحمة الله بخلقه وحكمته في شرعه وأمره وقد قال تعالى: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾﴾[1]. فإن لم يكن حاجة إلى الطلاق فهو مكروه لما فيه من تفويت المصالح المترتبة على النكاح من غير سبب يدعو إليه. انتهى.

وأما حديث ليس منا من خبب امرأة على زوجها. .) الحديث:

قال الشيخ أحمد بن حجر آل طامي:

إفساد المرأة على زوجها وإفساد الزوج على المرأة هما من الكبائر لأن إفساد أحد الزوجين على الآخر إيذاء وإيذاء المسلم حرام فقد قال الله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾[2]. ومن خبب على امرىء زوجته أي أفسدها بأن يزين لها رجلاً آخر

---

(١) النساء: (١٣٠).

(٢) الأحزاب: (٥٨).

أو يزين لها نفسه أو يغريها بالوعود والأماني حتى تعصي زوجها وتشاقق الزوج وتترفع عليه وتتهمه بتهم ملفقة وتخاصمه في المحاكم وتفضحه بين الملأ حتى يسأم من عشرتها ويفارقها بالطلاق.

وقد كثر هذا الفعل القبيح في هذا العصر المظلم المليء بالفجور والفسوق ومخالفة الله ورسوله فتجد كثيراً ممن قل حياؤه ونصيبه من الإيمان ونال حظاً وافراً من الجهل والطغيان يغري بعض النساء بجماله أو بماله فيقول بعضهم لامرأة متزوجة أو لأهلها إن كان فلان أعطاكم ـ يخاطب أهلها ـ عشرة آلاف فأنا أعطيكم عشرين ألفاً أو ثلاثين ألفاً وأبني لها بيتاً أو أعطيها حلياً من الذهب كثيراً نحو ذلك من الكلمات المعسولة فيوسوس تارة إليها وتارة إلى ولي أمرها أو يرسل إليها سمساراً خبيثاً يوسوس لها ويعدها ويمنيها حتى يقع الشقاق ثم الفراق وكم لهذا العمل القبيح من نتائج وخيمة ومفاسد عظيمة منها:

وقوع الطلاق وضياع الأولاد وقيام سوق النزاع من جديد بين المطلق وزوجته حول الأولاد، المطلق يريد أولاده لديه وهي تريدهم لديها والعيال الصغار هم كبش الفداء وضحية هذا الشقاق والبلاء، ومن تأمل هذه النتائج وغيرها لا يستريب أدنى ريب أن فاعل ذلك ظالم مجرم أتى كبيرة من الكبائر وأخرب بيتاً عامراً وجنى على الرجل وزوجته وأولاده وغرس شجاراً ونزاعاً مستمراً بين الزوج وأقاربه، والزوجة وأقاربها إن لم يكن أبداً فلا بد أن يستديم زمناً طويلاً وهذه كلها مخالفات لله ولرسوله ﷺ، لأن الشريعة الإسلامية جاءت بالتوادد والتراحم والتعاطف بين المسلمين وحرمت القطيعة والتهاجر والنزاع والشقاق، وهذا الظالم قد خالف الله ورسوله واتبع هواه ونفسه الأمارة فإذا كانت هذه المفاسد وأضعافها تنتج من فعل هذا المجرم فلا عجب أن تبرأ الرسول ﷺ منه كما لا عجب إذا قرب إبليس من أولاده من سعى بين الزوجين حتى فرق بينه وبينها، ويقول: نعم أنت، فيلتزمه.

ومثل ذلك في الإثم من يأتي المخطوبة أو لوليها فيوسوس إليها أو إليه

ويملأهم بالوعود والكلمات المعسولة بأنه سيعطيهم كذا وكذا حتى يتأثروا بكلامه أو وعوده والتزاماته ويردوا ذلك الخاطب، أو أعطاهم ذلك الخاطب مالاً أو حلياً فيردوا ماله أو حليه، وهذا من الظلم وإيذاء المسلم وإلى ذلك الظالم الفاجر هذين الحديثين الواردين عن النبي ﷺ:

- عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يبع الرجل على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه إلا أن يأذن له»**[1].

- عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«المؤمن أخو المؤمن فلا يحل للمؤمن أن يبتاع على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يذر»**[2].

فإذا كان البيع على البيع والشراء على الشراء والخطبة على الخطبة حرام لأنه إيذاء ويورث النزاع والشجار بين المسلمين فمن باب أولى أن الإفساد بين المرأة وزوجها وبين الزوج وزوجه يكون ذنباً كبيراً وإثماً عظيماً لا يشك في ذلك من يتصف بالعقل والحجى. ألا فليتق الله أولئك المخربون المفسدون بين الزوجين أو بين الخاطب والمخطوبة وليعلموا أنهم ظلموا أنفسهم أولاً وظلموا الزوجين ثانياً وأنهم بذلك الفعل الشنيع يرثون المقت من الله ومن المجتمع فينظر إليهم بنظرة الازدراء والاحتقار ويسمهم بالفسق والفجور والخداع والتعزير وكل هذه الأمور من المحرمات ومن أنواع الظلم الذي لم يخف عاقبته على كل ذوي العقل والحجى.

وإني أذكرهم بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾[3]. انتهى من كتاب تطهير المجتمعات ص **٣٣٣**.

---

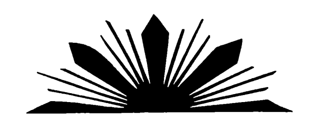
(١) أخرجه مسلم (٣٣٩٤) النووي. قلعجي، (١٤١٢) عبد الباقي.

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٠٢) النووي. قلعجي، (١٤١٤) عبد الباقي.

(٣) البقرة: (٢٧).

وقال النووي في شرح مسلم:

وقوله: (فيدنيه منه ويقول نِعْمَ أنت) هو بكسر النون وإسكان العين وهي نعم الموضوعة للمدح فيمدحه لإعجابه لصنعه وبلوغه الغاية التي أرادها. انتهى.



المبحث الثامن عشر:
النهي عن سؤال غير الإمام عن الشيء والإمام يخطب:

ـ عن أبي ذر رضي الله عنه قال: دخلت المسجد يوم الجمعة ـ والنبي ﷺ يخطب ـ فجلست قريباً من أُبَيّ بن كعب فقرأ النبي ﷺ سورة براءة فقلت لأُبَيّ: متى نزلت هذه السورة؟ قال: فتجهمني ولم يكلمني. ثم مكثت ساعة ثم سألته فتجهمني ولم يكلمني، ثم مكثت ساعة ثم سألته فتجهمني ولم يكلمني. فلما صلى النبي ﷺ قلت لأُبَيّ: سألتك فتجهمتني ولم تكلمني. قال أُبَيّ: ما لك من صلاتك إلا ما لغوت. فذهبت إلى النبي ﷺ فقلت: يا نبي الله كنت بجنب أُبَيّ وأنت تقرأ براءة فسألته متى نزلت هذه السورة؟ فتجهمني ولم يكلمني ثم قال: ما لك من صلاتك إلا ما لغوت. قال النبي ﷺ: «**صدق أُبَيّ**»(١).

يؤخذ من الحديث:

١ ـ السكوت مطلقاً أثناء الخطبة.

٢ ـ عدم إجابة السائل عن العلم أو غيره أثناء الخطبة.

٣ ـ من لغى أي تكلم والإمام يخطب لا جمعة له كاملة.

---

(١) صحيح لغيره. أخرجه أحمد (٥/٤٣) وابن ماجه (١١١١) وابن خزيمة واللفظ له (١٨٠٧).

المبحث التاسع عشر:
النهي عن سؤال الضيف عن الطعام والشراب الذي يقدم إليه:

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دخل أحدكم على أخيه المسلم فأطعمه طعاماً فليأكل من طعامه ولا يسأل عنه فإن سقاه شراباً من شرابه فليشرب من شرابه ولا يسأل عنه**»[1].

قال الشيخ أحمد شاكر ـ رحمه الله تعالى ـ

والمراد: أنه لا يسأله كيف أتى بهذا الطعام أو بذاك الشراب ومن أي وجه اكتسبه لأن السؤال عن ذلك يورث الضغائن ويوجب التباغض والأمر للندب. وإن كان صائماً نفلاً فيندب الفطر إن شق عدمه على صاحب الطعام[2]. ا.هـ.

---

(١) صحيح. أخرجه أحمد (٢/٣٩٩) والطبراني في الأوسط (٢٤٦١ و ٥٣٠١) بتحقيق د. الطحان. والحاكم في المستدرك (٤/١٢٦) وصححه ووافقه الذهبي والبيهقي في الشعب (٥٨٠١).
وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٨٠) رواه أحمد وأبو يعلى وفيه مسلم بن خالد الزنجي وثقه ابن معين وغيره وضعفه أحمد وغيره وبقية رجالهما رجال الصحيح.
وقال الشيخ أحمد شاكر إسناده صحيح ومسلم ابن خالد الزنجي ثقة وله أوهام من الرواية.

(٢) حاشية المسند (١٨/ ١٢).

المبحث العشرون:
النهي عن سؤال الرجل للرجل أمؤمن أنت؟:

قال الخلال في كتاب السنة[١]:

أخبرني أحمد بن أصرم المزني أن أبا عبد الله[٢] قيل له إذا سألني الرجل أمؤمن أنت؟ قال: سؤاله إياك بدعة لا يشك في إيمانك أو قال لا نشك في إيماننا. قال المزني وحفظي أن أبا عبد الله قال: أقول كما قال طاووس آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله[٣]. وقال أخبرني يوسف بن موسى أن أبا عبد الله سئل عن الرجل يقال له: أمؤمن أنت؟ قال: سؤاله إياك بدعة يقول: إن شاء الله[٤].

وذكر بسنده عن سفيان قال: إذا سئل: مؤمن أنت إن شاء الله؟ لم يجبه. وسؤالك إياي بدعة ولا أشك من إيماني. قال: إن شاء الله ليس يكره ولا يداخل الشك[٥]. وقال: أخبرني أحمد بن الحسن أنه سأل أبا عبد الله يقول لي أنت مؤمن فقال: سؤاله إياك بدعة وقل أنا مؤمن أرجو، قلت أقول إن شاء الله. قال: إن قلت إن شاء الله وأرجو[٦]. وقال: أخبرنا إسماعيل بن

---

(١) السنة للخلال بتحقيق د. عطية الزهراني جـ٣ ص (٦٠١) و (٦٠٢).

(٢) أبو عبد الله: هو الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى.

(٣) إسناده صحيح.

(٤) إسناده صحيح.

(٥) إسناده صحيح.

(٦) إسناده صحيح.

إسحاق الثقفي أن أبا عبد الله سئل عن الرجل يسألني مؤمن أنت؟ قال: تقول نعم إن شاء الله[1].

وروى ابن بطة بسنده عن روح بن عبادة قال: كتب رجل إلى الأوزاعي: أمؤمن أنت حقاً؟ فكتب إليه: كتبت تسألني أمؤمن أنت حقاً؟ والمسألة في هذا بدعة والكلام فيه جدل ولم يشرحه لنا سلفنا ولم نكلفه في ديننا.

سألت: أمؤمن حقاً، فلعمري لئن كنت على الإيمان فما تركي شهادتي لها بضائري وإن لم أكن عليه فما شهادتي لها بنافعتي فقف حيث وقفت بك السنة وإياك والتعمق في الدين فإن التعمق ليس من الرسوخ في العلم إن الراسخين في العلم قالوا حيث تناهى علمهم: آمنا به كل من عند ربنا[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية:

وقد كان أحمد وغيره من السلف مع هذا يكرهون سؤال الرجل لغيره أمؤمن أنت؟ ويكرهون الجواب لأن هذه بدعة أحدثها المرجئة ليحتجوا بها لقولهم فإن الرجل يعلم من نفسه أنه ليس بكافر بل يجد قلبه مصدقاً بما جاء به الرسول فيقول: أنا مؤمن فيثبت أن الإيمان هو التصديق لأنك تجزم بأنك مؤمن ولا تجزم بأنك فعلت كل ما أمرت به فلما علم السلف مقصدهم صاروا يكرهون الجواب أو يفصلون في الجواب وهذا لأن لفظ «الإيمان» فيه إطلاق وتقييد فكانوا يجيبون بالإيمان المقيد الذي لا يستلزم أنه شاهد فيه لنفسه بالكمال. ولهذا كان الصحيح أنه يجوز أن يقال: أنا مؤمن بلا استثناء إذا أراد ذلك لكن ينبغي أن يقرن كلامه بما يبين أنه لم يرد الإيمان المطلق الكامل ولهذا كان أحمد يكره أن يجيب على المطلب بلا استثناء يقدمه[3] انتهى.

---

(١) إسناده صحيح.

(٢) الإبانة/ كتاب الإيمان (٢/ ٨٨١) ح (١٢١٤) والآجري في الشريعة ص (١٤٢).

(٣) مجموع الفتاوى (٧/ ٤٤٨ ـ ٤٤٩).

ومن هنا كان الصحابة والتابعون يكرهون سؤال الرجل للرجل أمؤمن أنت بل كانوا يبدعونه وكان علماء السلف يبررون تبديع السائل لهذا السؤال بأنه لم يسبق من الصحابة أن كان بعضهم يسأل بعضاً، مثل هذا السؤال وأن الإجابة عنه من باب التعمق في الدين الذي نهينا عنه وأن سبيل المؤمنين هو الاتباع وليس الابتداع ولأن مثل هذا السؤال يجر المسؤول إلى الخطأ إذا أجاب السائل، نعم أنا مؤمن لما في هذه الإجابة من موافقة المرجىء في قوله بأن الإيمان تصديق فقط ولما فيه من تزكية المسؤول لنفسه وتأكيده أنه من أصحاب الجنة وعدم الخوف من زوال إيمانه وعدم رجائه من الله أن يحفظ عليه ذلك الإيمان ولما فيه من ادعاء صاحبه أنه قد استكمل شرائع الإيمان.

وتجنباً لهذه الأخطاء وغيرها مما يقع فيه من يقطع على إيمانه ويؤكده في جواب هذا السؤال رأي الصحابة والتابعون وعلماء السلف أنه يجيب من يسأل عن إيمانه بقوله: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله أو بقوله: أنا مؤمن إن شاء الله أو أرجو أن أكون كذلك ليس على سبيل الشك أو أن يجيب المسؤول عن إيمانه بقوله للسائل: ما أشك في إيماني وسؤالك إياي بدعة وما أدري عند الله ما أنا، أشقي أو مقبول العمل[1].

وعلى أساس هذا كله تأتي قضية الاستثناء في الإيمان بحيث لا يقطع المؤمن بوصف نفسه بالإيمان وإنما يقول: أنا مؤمن إن شاء الله ليس على سبيل الشك إذا وصف نفسه أو وصف غيره بذلك لأن الشك في الإيمان يذهب بأصله ويلحق صاحبه بالكفر لأن القطع بالإيمان دون استثناء معناه حكم الإنسان بعاقبته في الدنيا على سبيل القطع وأنه سيدوم على عمله الصالح وأن الله يستقبل عمله ويرضى عنه وأنه سيدخله الجنة حتماً بذلك وليس يملك الإنسان القطع بشيء من ذلك فأمره متروك لمشيئة الله عز وجل ولا يدري الإنسان ما يكون منه ذلك في مستقبل حياته ولا ما يفعل الله به في آخرته فالقلوب بيد الله يصرفها كيف يشاء ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾[2] ولهذا شرع الاستثناء في الإيمان لما

---

(١) مقدمة الإبانة/ كتاب الإيمان (١/ ١٤٠ ـ ١٤١) للمحقق رضا بن نعسان.

(٢) سورة لقمان: ٣٤.

يتضمنه من المعاني الدينية الصحيحة ومنها:

أولاً: خروج المؤمن من كل شيء، من حوله وقوته إلى حول الله وقوته ومشيئته.

ثانياً: عدم قطع المؤمن بما لا معرفة له به ولا سلطان له عليه من مستقبل إيمانه وعمله في الدنيا ومستقبل جزاءه في الآخرة.

ثالثاً: رجاء المؤمن في الله عز وجل أن يديم عليه إيمانه حتى يتوفاه عليه وأن يقبله منه ويرضاه وأن يقبل ويرضى عن كل عمل من أعمال البر الصالحة التي يقوم بها.

رابعاً: عدم تزكية المؤمن لنفسه لأن قطع المؤمن بإيمانه معناه أنه استوفى كوامل الإيمان واستحق أوفر الجزاء وأن شأنه في ذلك شأن الرسل والأنبياء والصديقين وليس يشهد لنفسه بذلك مؤمن ذو بصيرة وصاحب رأي سديد.

خامساً: إخبار المؤمن بأن حكمه على نفسه بالإيمان إنما هو بشرط أن يديمه الله عليه ويديم عليه أعماله الصالحة إلى آخر عمره وأن يتوفاه على ذلك وأن يثبته في ديوان المؤمنين الفائزين.

سادساً: أن ترك الاستثناء هوأصل الإرجاء فالقطع بالإيمان معناه إخراج العمل منه وأنه مجرد معرفة بالله والذي لا يستثني يغفل عن حسابه مستقبل عمله لأنه في ظنه لا دخل له في إيمانه وهذا هو الإرجاء.

لهذه المعاني وغيرها شرع الاستثناء في الإيمان وأن يكون الاستثناء في الإيمان رعاية لتلك الوجوه والمعاني لا شكاً فيه. فقد شرع الله الاستثناء حتى في الأمور المتيقنة المقطوع بوقوعها كما في قول الله عز وجل: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[1].

---

(١) الفتح: (٢٧).

وقوله تعالى على لسان شعيب عليه الصلاة والسلام: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[1] وعلى لسان إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى﴾[2].

وكما شرع للمسلم أن يقول في زيارته للقبور: «**وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**»[3].

وقد كان هذا هو دأب الصحابة والتابعين ومن سار على دربهم من علماء المسلمين الصالحين وهو الاستثناء في الإيمان رعاية لمكان العمل منه[4].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وذهب سلف أصحاب الحديث كابن مسعود وابن عيينة وأكثر علماء الكوفة ويحيى بن القطان فيما يرويه عن علماء أهل البصرة وأحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة كانوا يستثنون في الإيمان، وهذا متواتر عنهم ولكن ليس في هؤلاء من قال: أنا استثني لأجل الموافاة وأن الإيمان إنما هو اسم لما يوافي به العبد ربه بل صرح أئمة هؤلاء بأن الاستثناء إنما هو لأن الإيمان يتضمن فعل الواجبات فلا يشهدون لأنفسهم بذلك كما لا يشهدون له بالبر والتقوى فإن ذلك مما لا يعلمونه وهو تزكية لأنفسهم بلا علم)[5] انتهى.

ويلحق بهذا الباب سؤال المأموم للإمام عن عقيدته بقوله: هل أنت صوفي أو أشعري ونحو ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

---

(١) الأعراف: (٨٩).

(٢) الأنعام: (٨٠).

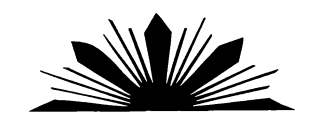
(٣) أخرجه مسلم (٢٤٩ و ٩٧٤) والنسائي (١٥٠ ـ ٢٠٣٨) وأبو داود (٣٢٣٧) وابن ماجه (٤٣٠٦).

(٤) راجع مقدمة الإبانة لابن بطة/ كتاب الإيمان (١/ ١٣٦) للمحقق رضا بن نعسان.

(٥) مجموع الفتاوى (٧/ ٤٣٨ ـ ٤٣٩).

يجوز للرجل أن يصلي الصلوات الخمس والجمعة وغير ذلك خلف من لم يعلم منه بدعة ولا فسقاً باتفاق الأئمة الأربعة وغيرهم من أئمة المسلمين. وليس من شرط الائتمام أن يعلم المأموم اعتقاد إمامه ولا أن يمتحنه فيقول: ماذا تعتقد؟ بل يصلي خلف مستور الحال. ولو علم المأموم أن الإمام مبتدع يدعو إلى بدعته أو فاسق ظاهر الفسق وهو الإمام الراتب الذي لا تمكن الصلاة إلا خلفه كإمام الجمعة والعيدين والإمام في صلاة الحج في عرفة ونحو ذلك فإن المأموم يصلي خلفه عند عامة السلف والخلف وهو مذهب أحمد والشافعي وأبي حنيفة وغيرهم.

ولهذا قالوا في العقائد: إنه يصلي الجمعة والعيد خلف كل إمام براً كان أو فاجراً. وكذلك إذا لم يكن في القرية إلا إمام واحد فإنها تصلى خلفه الجماعات فإن الصلاة في جماعة خير من صلاة الرجل وحده وإن كان الإمام فاسقاً. هذا مذهب جماهير العلماء: أحمد بن حنبل والشافعي وغيرهما. ومن ترك الجمعة والجماعة خلف الإمام الفاجر فهو مبتدع عند الإمام أحمد وغيره[1]. انتهى.



(١) مجموع الفتاوى (٢٣/ ٣٥١ ـ ٣٥٣).

وراجع شرح الطحاوية ص (٣٧٤) بتحقيق الشيخ الألباني.

المبحث الحادي والعشرون: النهي عن سؤال المغالطة وسوء القصد به:

إن هذا النوع من الأسئلة وهو السؤال بقصد المغالطة وقع من اليهود عليهم لعنة الله تعالى وذلك بسؤالهم لرسول الله ﷺ عن الروح.

قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾[1].

ـ عن عبد الله بن مسعود قال: بينا أنا أمشي مع النبي ﷺ في خرب المدينة وهو يتوكأ على عسيب معه فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح وقال بعضهم لا تسألوه لا يجيء فيه بشيء تكرهونه فقال بعضهم لنسألنه فقام رجل منهم فقال: يا أبا القاسم ما الروح؟ فسكت فقلت إنه يوحى إليه فقمت. فلما انجلى عنه فقال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾[2].

قال صاحب المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل: نقل الطوفي عن صاحب كتاب (الإفصاح) في خلق الإنسان مثالاً لطيفاً لهذا النوع[3] فقال: كما حكي عن اليهود أنهم سألوا النبي ﷺ عن الروح وهو لفظ مشترك بين القرآن وجبريل وعيسى وملك يقال له الروح وروح الإنسان الذي في بدنه

---

(١) الإسراء: (٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٥) ومسلم (٢٧٩٤) عبد الباقي.

(٣) المقصود بهذا النوع هو الاستفسار وهو من الأسئلة الواردة على القياس وحقيقة الاستفسار: طلب معنى لفظ المستدل لإجماله أو غرابته.

ليغلطوه بذلك يعني إن قال لهم: الروح ملك قالوا له: بل هو روح الإنسان أو قال: روح الإنسان قالوا: بل هو ملك أو غيره من مسميات الروح فعلم الله مكرهم فأجابهم بجواب مجمل كسؤالهم بقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ وهو يتناول المسميات الخمسة وغيرها وهذا هو سبب الإجمال في مسمى الروح لا كون حقيقتها غير معلومة للبشر، إذ قد دلت قواطع الشرع على جسميتها والحاصل أن سؤال اليهود عن الروح كان على سبيل المغالطة لا على سبيل الاحتياط[1]. انتهى.

وقال الحافظ في الفتح (٨/ ٢٥٥).

وقوله ﴿مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ قال ابن بطال: معرفة حقيقة الروح مما استأثر الله بعلمه بدليل هذا الخبر. قال: والحكمة في إبهامه اختبار الخلق ليعرفهم عجزهم عن علم ما لا يدركونه حتى يضطرهم إلى رد العلم إليه وقال القرطبي: الحكمة في ذلك إظهار عجز المرء لأنه إذا لم يعلم حقيقة نفسه مع القطع بوجوده كان عجزه عن إدراك حقيقة الحق من باب الأولى. انتهى مختصراً.

وقال ابن مفلح: ذكر ابن عبد البر أن صاحب الروم كتب إلى معاوية يسأله عن أفضل الكلام وما هو؟

والثاني والثالث والرابع، وكتب إليه يسأله عن أكرم الخَلْقِ على الله عز وجل، وعن أكرم الإماء على الله؟ وعن أربعة من الخَلْقِ لم يركضوا في رحم، وعن قبرٍ سار بصاحبه، وعن المجرة، وعن القوس، وعن مكان طلعت فيه الشمس لم تطلع فيه قبل ذلك ولا بعده. فلما قرأ معاويةُ الكتاب قال: أخزاه الله، وما علمي بما هاهنا قيل: اكتب إلى ابن عباس، فكتب إليه يسأله عن ذلك، فكتب إليه ابنُ عباس:

أفضلُ الكلام لا إله إلا الله كلمة الإخلاص لا عمل إلا بها، والتي تَلِيها

---

(١) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل لعبد القادر بن بدران الدمشقي بتحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي ص (٣٤٢).

سُبحانَ الله وبحمده صلاة الخلق، والتي تليها الحمدُ لله كلمة الشكر، والتي تليها الله أكبر فاتحة الصلواتِ والركوع والسجود. وأكرم الخلق على الله آدم عليه السلام، وأكرم الإماء على الله مريمُ عليها السلام.

وأما الأربعة الذين لم يركضوا في رحم فآدم وحواء والكبش الذي فُدِيَ به إسماعيلُ وعصا موسى حيث ألقاها فصارت ثعباناً مبيناً.

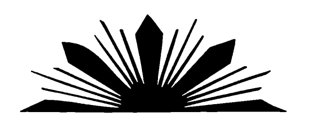
وأما القبر الذي سار بصاحبه فهو الحوت الذي التقم يونس، وأما المجرة فباب السماء، وأما القوس فإنها أمانٌ لأهل الأرض من الغرق بعد نوح.

وأما المكان الذي طلعت فيه الشمس ولم تطلع فيه قبله ولا بعده فالمكان الذي انفجر من البحر لبني إسرائيل مع موسى عليه السلام. فلما قدم عليه الكتابُ أرسله إلى ملك الروم، فقال: لقد علمتُ أنَّ معاوية لم يكن له بهذا علم، وما أصابَ هذا إلا رجلٌ من أهل بيت النبوة. كذا ذكر ابن عبد البر هذا الأثَر، وبعضه صحيح، وبعضه باطل، وما ذكره في آدم ومريم، فبعضه، اللَّهُ به وبغيره أعلمُ.

وبعث ملكُ الروم إلى معاويةَ بقارورة، فقال: ابعث لي فيها من كل شيءٍ. فبعث إلى ابن عباس فقال: تُملأ ماء، فلما ورد به على ملك الروم قال له أخوه: ما أهداه! فقيل لابن عباس: كيف اخترت ذلك، قال: لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠] والله أعلم.

وعن يحيى بن أكثم قال لي المأمون: مَنْ تركتَ بالبصرة؟ فوصف له مشايخ منهم سليمان بن حرب، فقلت: هو ثقة حافظ للحديث عاقل، في نهاية الستر والصيانة، فأمرني بحمله إليه، فكتبتُ إليه، فقدم، فأدخلته إليه وفي المجلس ابن أبي دُؤاد وثمامة وأشباه لهما، فكرهتُ أنْ يدخل مثله بحضرتهم، فلما دخل سَلَّمَ فأجابه المأمون ورفع مجلسه ودعا له سليمان بالعز والتوفيق، فقال ابن أبي دُؤاد: يا أمير المؤمنين، نسألُ الشيخ عن مسألة؟ فنظر إليه المأمون نظرة تخيير له، فقال يا أمير المؤمنين: حدثنا حماد بن زيد قال: قال رجل لابن شُبْرُمَةَ: أسألك؟ قال: إن كانت مسألتكَ لا تُضْحكُ الجليسَ

ولا تُزْري بالمسؤول فَسَلْ. وحدثنا وهيب قال: قال إياس بن معاوية: من المسائل ما لا ينبغي للسائل أن يسأل عنها، ولا للمجيب أن يجيب عنها، فإن كانت مسألته من غير هذا فليسأل. قال: فهابوه؛ فما نطق أحد منهم حتى قام، وولاه قضاء مكة فخرج إليها[1].



(١) الآداب الشرعية لابن مفلح (٢/٧٨ ـ ٧٩).

المبحث الثاني والعشرون:
النهي عن سؤال الإنكار والتكذيب:

هذا السؤال وقع من المشركين المكذبين المنكرين للبعث والجزاء.

قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾[1].

قال الشيخ أبو بكر الجزائري في تفسيره (٣/ ٣٧٩):

يقول تعالى لرسوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ أي المشركين من قومك المكذبين بالبعث والجزاء ﴿عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾ عن مصيرها يوم القيامة فقل لهم: ﴿يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ أي أجيبهم بأن الله تعالى يفتتها ثم ينسفها فتكون هباء منبثاً فيترك أماكنها قاعاً صفصفاً أي أرضاً مستوية لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا أي لا انخفاضاً ولا ارتفاعاً. انتهى.

وقال العلامة الشنقيطي في تفسيره (٤/ ٥١٢):

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنهم يسألونه عن الجبال وأمره أن يقول لهم إن ربه ينسفها نسفاً وذلك بأن يقلعها من أصولها ثم يجعلها كالرمل المتهايل الذي يسيل وكالصوف المنفوش تطيرها الرياح هكذا وهكذا.

واعلم أنه جل وعلا بين الأحوال التي تصير إليها الجبال يوم القيامة في آيات من كتابه فبين أنه ينزعها عن أماكنها.. ويحملها فيدكها دكاً وذلك في

---

(١) طه: (١٠٥).

قولـه: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾﴾[1] ثم بيّن أنه يسيرها في الهواء بين السماء والأرض وذلك في قوله: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾[2]. وقوله: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾[3].

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾[5].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾﴾[6].

ثم بيّن أنه يفتتها ويدقها كقوله: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾﴾[7] أي فتت حتى صارت كالبسيسة وهي دقيق ملتوت بسمن أو نحوه على القول بذلك وقوله: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾﴾[8].

ثم بين أنه يصيرها كالرمل المتهايل وكالعهن المنفوش وذلك في قوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾﴾[9].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾﴾[10].

والعهن الصوف المصبوغ ثم بين أنها تصير كالهباء المنبث في قوله

---

(١) الحاقة: (١٣ ـ ١٤).
(٢) النمل: (٨٧ ـ ٨٨).
(٣) الكهف: (٤٧).
(٤) التكوير: (٣).
(٥) النبأ: (٢٠).
(٦) الطور: (١٠).
(٧) الواقعة: (٥).
(٨) الحاقة: (١٤).
(٩) المزمل: (١٤).
(١٠) المعارج: (٨ ـ ٩).

تعالى: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦﴾[١] ثم بين أنها تصير سراباً وذلك في قوله: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝٢٠﴾[٢]. وقد بين في موضع آخر أن السراب لا شيء وذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾[٣] وبين أنه ينسفها نسفاً في قوله هنا: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ۝١٠٥﴾ انتهى.

وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۝٤٢﴾[٤].

قال الحافظ ابن كثير في تفسير الآية:

يقول تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ كما قال تعالى ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾[٥] قيل نزلت في قريش وقيل في نفر من اليهود والأول أشبه لأن الآية مكية وكانوا يسألون عن وقت الساعة استبعاداً لوقوعها وتكذيباً بوجودها. انتهى.

فسؤال الكفار عن الساعة سؤال تكذيب وإنكار واستبعاد وكفر وعناد.

ـ عن خباب قال كنت قيناً[٦] في الجاهلية. وكان لي دَيْن على العاص بن وائل قال فأتاه يتقاضاه فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد ﷺ فقال: والله لا أكفر حتى يميتك الله ثم تبعث قال: فذرني حتى أموت ثم أبعث فسوف أوتى مالاً وولداً فأقضيك فنزلت هذه الآية: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۝٧٧ . . .﴾[٧] [مريم: ٧٧].

ومن هذا النوع أيضاً سؤال فرعون لموسى عليه الصلاة والسلام ﴿قَالَ

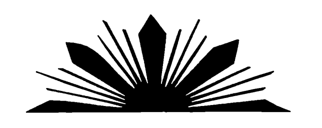
---

(١) الواقعة: (٥ ـ ٦).
(٢) النبأ: (٢٠).
(٣) النور: (٣٩).
(٤) الأعراف: (١٨٧)، و النازعات: (٤٢).
(٥) الأحزاب: (٦٣).
(٦) القين: هو الحداد والصائغ.
(٧) أخرجه البخاري (٤٧٣٤) ومسلم (٢٧٩٥) عبد الباقي.

فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾[١].

قال الشيخ السعدي في تفسيره: هذا إنكار منه لربه ظلماً وعلواً مع تيقن صحة ما دعاه إليه موسى فقال: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآ﴾[٢] أي الذي خلق العالم العلوي والسفلي، ودبره بأنواع التدبير، ورباه بأنواع التربية[٣].

هذه جملة من المواضع التي ينهى عن السؤال فيها، ويقاس عليها ما سواها. وليس النهي فيها واحداً بل فيها ما تشتد كراهيته، ومنها ما يخف، ومنها ما يحرم ومنها ما يكون محل اجتهاد.



---

(١)(٢) الشعراء: (٢٣، ٢٤).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٣/ ٤٣٢).

الباب الثالث
محذوران وجائزان للمسؤول

أولاً - المحذوران:

الأول: كتمان العلم لمن سئل عنه وهو يعلم.

الثاني: من سئل عن أعلم الناس قال أنا أعلم.

ثانياً - الجائزان:

الأول: يجوز للمسؤول أن يعدل عن السؤال إلى ما هو أنفع.

الثاني: يجوز للمسؤول أن يجيب بأكثر مما سئل.

أولاً: المحذوران

المحـذور الأول

كتمان العلم لمن سئل عنه وهو يعلم

قـال تـعـالـى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾ [البقرة: ١٥٩].

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ هذا وعيد شديد لمن كتم ما جاءت به الرسل من الدلالات البينة على المقاصد الصحيحة والهدى النافع للقلوب من بعد ما بينه الله تعالى لعباده في كتبه التي أنزلها على رسله.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٤﴾ [البقرة: ١٧٤].

وقـولـه تـعـالـى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ ١٨٧﴾ [آل عمران: ١٨٧].

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ. هذا توبيخ من الله وتهديد لأهل الكتاب الذين أخذ عليهم العهد على ألسنة الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد ﷺ وأن ينوهوا بذكره في الناس ليكونوا على أهبة من أمره فإذا أرسله الله تابعوه فكتموا ذلك وتعوضوا عما وعدوا عليه من الخير في الدنيا والآخرة بالدون الطفيف والحظ الدنيوي السخيف بئست الصفقة صفقتهم وبئست البيعة بيعتهم في هذا تحذير

للعلماء أن يسلكوا مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم ويسلك بهم مسلكهم فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع الدال على العمل الصالح، ولا يكتموا منه شيئاً فقد ورد في الحديث المروي من طرق متعددة عن النبي ﷺ أنه قال: **(من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار)**[1].

قال الخطابي في معالم السنن:

الممسك عن الكلام ـ ممثل بمن ألجم نفسه ـ كما يقال: التقى ملجم وكقول الناس كلم فلان فلاناً فاحتج عليه بحجة ألجمته أي أسكتته، والمعنى أن الملجم لسانه عن قول الحق والإخبار عن العلم والإظهار له يعاقب في الآخرة بلجام من نار وخرج هذا على معنى مشاكلة العقوبة الذنب.

كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

قال: وهذا في العلم الذي يلزمه تعليمه إياه ويتعين عليه فرضه كمن رأى كافراً يريد الإسلام يقول: علموني ما الإسلام وما الدين؟ وكمن يرى رجلاً حديث العهد بالإسلام لا يحسن الصلاة ـ وقد حضر وقتها ـ يقول علموني كيف أصلي؟ وكمن جاء مستفتياً في حلال أو حرام يقول: أفتوني وأرشدوني فإنه يلزم في مثل هذه الأمور ألا يمنعوا الجواب عما سئلوا عنه من العلم، فمن فعل ذلك كان آثماً مستحقاً للوعيد والعقوبة وليس كذلك الأمر في نوافل العلم التي لا ضرورة بالناس إلى معرفتها. وسئل الفضيل بن عياض عن قوله ﷺ: **(طلب العلم فريضة على كل مسلم)**[2].

فقال: كل عمل كان عليك فرضاً فطلب علمه عليك فرض، وما لم يكن العمل به عليك فرضاً فليس طلب علمه عليك بواجب... اهـ. كلام الخطابي ـ رحمه الله ـ.

---

(١) صحيح. أخرجه أبو داود (٣٦٥٨) والترمذي (٢٦٤٩) وابن ماجه (٢٦١) وغيرهم.

(٢) حسن. رواه ابن ماجه (٢٢٤) وغيره.

ومعنى الحديث كما قال البيهقي في المدخل[1]: العلم العام الذي لا يسع البالغ العاقل جهله أو علم ما يطرأ له خاصة، أو المراد أنه فريضة على كل مسلم حتى يقوم به من فيه الكفاية، ثم أخرج عن ابن المبارك أنه سئل عن تفسيره فقال: ليس هو الذي يظنون، إنما طلب العلم فريضة أن يقع الرجل في شيء من أمر دينه فيسأل عنه حتى يعلمه... انتهى.

وقال المنذري في الترغيب (١/ ٧٣).

قوله: (ألجم يوم القيامة) أي إذا حضر في المحشر رأيته على هذه الحالة ثم أمره بعد ذلك إلى الله سبحانه وتعالى لأنه أمسك فمه عن كلمة الحق وقت الحاجة والسؤال، فجوزي بمثله حيث أمسك الله فمه في وقت اشتداد الحاجة للكلام والجواب عند السؤال عن الأعمال، ويقيد هذا والله أعلم بما إذا كان السائل أهل لذلك العلم ويكون العلم نافعاً، وقال العلامة الخطابي هو في العلم الضروري كما لو قال علمني الإسلام والصلاة وقد حضر وقتها وهو لا يحسنها لا في نوافل العلم التي لا ضرورة بالناس إلى معرفتها... والله أعلم.

وجاء في كتاب المناظرة[2].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: ٣٦، ٣٧].

والبخل هنا يشمل البخل بالعلم والبخل بالمال، وإن كان السياق يدل على أن البخل بالعلم هو المقصود الأكبر فلذلك وصفهم بكتمان العلم في غير آية.

---

(١) انظر كشف الخفاء للعجلوني (٢/ ٥٧).

(٢) مناظرة بين الإسلام والنصرانية ص (٤٥٩ ـ ٤٦٠). طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [البقرة: ١٥٩].

فوصف الله تعالى أهل الكتاب بأنهم يكتمون العلم بخلاً به وتارة حرصاً على الدنيا ومناصبها، وهذا المرض قد يبتلى به طوائف من المنتسبين إلى العلم فإنهم تارة يكتمون العلم بخلاً به أو كراهة أو ينال غيرهم من الفضل مثل ما نالوه أو رغبة في دنيا أو رهبة من الناس. وتارة يكون سبب كتمان العلم أن يكون العالم قد خالف غيره في مسألة أو انتسب إلى طائفة قد خولفت في مسألة فيكتم من العلم ما فيه حجة لمخالفيه وإن لم يتيقن أن مخالفه مبطل ولهذا قال عبد الرحمن بن مهدي (أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم وأهل الأهواء لا يكتبون إلا ما لهم) اهـ.

ـ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«مثل الذي يتعلم العلم ثم لا يحدث به كمثل الذي يكنز الكنز ثم لا ينفق منه»**[1].

وقد ذكر الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ في صحيحه (كتاب العلم) (باب العلم قبل القول والعمل).

لقوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] فبدأ بالعلم وأن العلماء هم ورثة الأنبياء ورثوا العلم من أخذه بحظ وافر، ومن سلك طريقاً يطلب به علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة. وقال جل ذكره: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ الآية [فاطر: ٢٨].

وقال: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣] ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾ الآية [الملك: ١٠].

---

(١) حسن لشواهده. رواه الطبراني والدارمي وغيرهما وانظر صحيح الترغيب للشيخ الألباني (١١٧).

وقال: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

وقال النبي ﷺ: «**من يرد الله به خيراً يفقه**»[١] وإنما العلم بالتعلم. وقال أبو ذر لو وضعتم الصمصامة[٢] على هذه وأشار إلى قفاه ثم ظننت أنّي أُنْفِذُ كلمة سمعتها من النبي ﷺ قبل أن تجيزوا عليّ لأنفذتها[٣].

وقال ابن عباس: كونوا ربانيين حكماء فقهاء. ويقال: الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره.

وذكر ابن حجر في هذا الباب أحاديث مرفوعة وموقوفة فلتراجع.

وقد أمرنا رسول الله ﷺ بالتبليغ عنه.

ـ عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: «**بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**»[٤].

قال ابن حجر في الفتح:

قوله: «بلغوا عني ولو آية» قال المعافى النهرواني في (كتاب الجليس) له: الآية في اللغة تطلق على ثلاث معان: العلامة الفاصلة والأعجوبة الحاصلة والبلية النازلة.

فمن الأول قوله تعالى: ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾ [آل عمران: ٤١].

ومن الثاني: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ [الشعراء: ٨].

ومن الثالث: جعل الأمير فلاناً اليوم آية.

ويجمع بين هذه المعاني الثلاثة أنه قيل لها آية لدلالتها وفصلها وإبانتها.

---

(١) أخرجه البخاري (٧١) بلفظ (من يرد الله به خيراً يفقه في الدين).

(٢) الصمصامة: هو السيف الصارم الذي لا ينثني وقيل الذي له حد واحد.

(٣) ذلك لاعتقاد أبو ذر أن ذلك واجب عليه لأمر النبي ﷺ بالبلاغ.

(٤) أخرجه البخاري (٣٤٦١).

وقال في الحديث (ولو آية). أي واحدة ليسارع كل سامع إلى تبليغ ما وقع له من الآي ولو قل ليتصل بذلك نقل جميع ما جاء به ﷺ. . اهـ. وقد أمر الرسول ﷺ بالتبليغ وعدم كتم ما جاءه من الله.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ الآية [المائدة: ٦٧].

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: الأمر للوجوب فيجب عليه تبليغ كل ما أنزل إليه والله أعلم.

وقال ابن كثير ـ رحمه الله ـ في التفسير: [المائدة: ٦٧].

يقول تعالى مخاطباً عبده ورسوله محمداً ﷺ باسم الرسالة وآمراً له بالإبلاغ بجميع ما أرسله الله به وقد امتثل صلوات الله وسلامه عليه ذلك وقام به أتم القيام. وجاء في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: من حدثك أن محمداً كتم شيئاً مما أنزل عليه فقد كذب والله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾(١).

ـ وعن أنس قال: (جاء زيد بن حارثة يشكو) فجعل النبي ﷺ يقول: **«اتق الله وأمسك عليك زوجك»**.

قال أنس: لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً لكتم، هذه وقال: فكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول زوجكن أهليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات. وعن ثابت ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، نزلت في شأن زينب وزيد بن حارثة(٢).

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: والحاصل أن الذي كان يخفيه النبي ﷺ هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته، والذي كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس تزوج امرأة ابنه. وأراد الله إبطال ما كان أهل الجاهلية

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٣١) ومسلم (٤٣٢) نووي. قلعجي، (١٧٧) عبد الباقي.

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٢٠) مسلم (٤٣٣) نووي. قلعجي، (١٧٧) عبد الباقي.

عليه من أحكام التبني بأمر لا أبلغ في الإبطال منه، وهو تزوج امرأة الذي يدعى ابناً. ووقوع ذلك من إمام المسلمين ليكون أدعى لقبولهم.

وفي صحيح البخاري من رواية جحيفة وهب بن عبد الله السوائي قال: قلت لعلي هل عندكم كتاب؟

قال: لا. إلا كتاب الله أو فهم أعطيه رجل مسلم أو ما في هذه الصحيفة قال: قلت: فما في هذه الصحيفة؟ قال: (العقل وفكاك الأسير ولا يقتل مسلم بكافر)[1].

قال الحافظ ابن حجر في الفتح:

وإنما سأله أبو جحيفة عن ذلك لأن جماعة من الشيعة كانوا يزعمون أن عند أهل البيت ـ لا سيما علياً ـ أشياء من الوحي خصهم النبي ﷺ بها لم يطلع غيرهم عليها.

وقال البخاري: قال الزهري: من الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم[2].

وقد شهدت له أمته ببلاغ الرسالة وأداء الأمانة واستنطقهم بذلك في أعظم المحافل. في خطبته يوم حجة الوداع وقد كان هناك من الصحابة نحو من أربعين ألفاً[3].

كما ثبت في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله: أن رسول الله ﷺ قال في خطبته يومئذ «**وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله وأنتم تسألون عنِّي فما أنتم قائلون؟**» قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: «**اللهم اشهد. اللهم اشهد**» **ثلاث مرات**[4].

---

(١) أخرجه البخاري (١١١).
(٢) فتح الباري (١٣/٥١٢) باب قوله: (يا أيها الرسول بلغ...).
(٣) انظر تفسير ابن كثير المائدة: (١٦٧).
(٤) أخرجه مسلم (٢٩٠١) نووي. قلعجي، (١٢١٨) عبد الباقي.

والله جل وعلا علم من تبليغ الرسل جميعاً لقومهم.

قال تعالى: ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾ [الجن: ٢٨].

أي ليعلم الله أن رسله قد أبلغوا رسالاته: ليعلم ذلك عن مشاهدة كما علمه غيباً.

﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ أي بما عند الملائكة وبما عند الرسل المبلغين لرسالاته وبما لديهم من الأحوال.

ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة في التبليغ ولا نخشى في الله لومة لائم.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾ [الأحزاب: ٣٩] يمدح تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي إلى خلقه ويؤدونها بأمانتها ﴿ويخشونه﴾ أي يخافونه ولا يخافون أحداً سواه فلا تمنعهم سطوة أحد عن إبلاغ رسالات الله، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ أي: وكفى بالله ناصراً ومعيناً. وسيد الناس في هذا المقام ـ بل وفي كل مقام ـ محمد رسول الله ﷺ فإنه قام بأداء الرسالة وإبلاغها إلى أهل المشارق والمغارب إلى جميع أنواع بني آدم، وأظهر الله كلمته ودينه وشرعه على جميع الأديان والشرائع فإنه قد كان النبي ﷺ يبعث إلى قومه خاصة وأما هو ـ صلوات الله عليه ـ فإنه بعث إلى جميع الخلق عربهم وعجمهم ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

ثم ورث مقام البلاغ عنه أمته من بعده فكان أعلى من قام بها بعده أصحابه رضي الله عنهم، بلغوا عنه كما أمرهم به في جميع أقواله وأفعاله وأحواله في ليله ونهاره وحضره وسفره وسره وعلانيته فرضي الله عنهم وأرضاهم، ثم ورثه كل خلف عن سلفهم إلى زماننا هذا فبنورهم يقتدي المهتدون وعلى منهجهم يسلك الموفقون. فنسأل الله الكريم المنان أن يجعلنا من خلفهم.

- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يحقرن أحدكم نفسه أن يرى أمر الله فيه مقال ثم لا يقوله فيقول الله: ما يمنعك أن تقول فيه؟ فيقول: رب خشيت الناس. فيقول: فأنا أحق أن يخشى**»(١).

وإن الذين يكذبون على الرسول ﷺ ويضعون الأحاديث، فهذا اتهام للنبي ﷺ أنه كتم وإما يتهمه بالتقصير والشريعة في نظره تحتاج إلى تتمة فيبدأ بوضع الأحاديث في الرغائب كما فعل نوح بن أبي مريم المعروف بـ (نوح الجامع)(٢) فأتى على القرآن الكريم كله سورة سورة، فلما سئل عن ذلك اعترف بذلك وقال: لما رأيت الناس شغلوا بأبي حنيفة وفقهه وبمغازي محمد بن إسحق وضعت ذلك حسبة لله، يتعمد الكذب ويرجو الأجر ولا يعلم أنه طعن فيما جاء به محمد ﷺ: «**ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**»(٣).

فحاجة البشر اليوم إلى الدين أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب، ومن أجل ذلك يجب علينا كمسلمين أن يكون واجبنا مضاعفاً ويجب على من علم الحق أن يعلم أن الناس في حاجة لهذا الحق فلا يكتمه، بل وجب عليه بذله وتعليمه للآخرين الذين لا يعلمون لأنهم موتى ومساكين: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: **٢٩**].

فلو مات الإنسان على عقيدة باطلة ومجافياً للعلم الذي أنزل الله والعلم الذي جاء به الرسل صلوات الله وسلامه عليهم. فيجب على المسلم أن لا يبخل بكلمة الحق لعله ينقذ بها إنسان من عذاب الله تعالى ومن أعجب الأشياء في هذا أن الرسول ﷺ يعود يهودي في مرض الموت ويقول له الرسول ﷺ قل لا إله إلا الله، فالولد ينظر لأبيه حتى قال له أطع أبا القاسم،

---

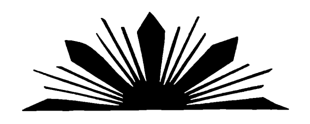
(١) صحيح. أخرجه أحمد في المسند (٣/٢٩) وابن ماجه (٤٠٠٨) وغيرهما.

(٢) قال الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب: نوح بن أبي مريم مشهور بكنيته، ويعرف بالجامع لجمعه العلوم لكن كذبوه في الحديث، وقال ابن المبارك كان يضع، من السابعة، مات سنة ثلاث وسبعين... اهـ.

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٦١) ومسلم (٣٠٠٤) عبد الباقي.

فينطق بالشهادة. فيقول الرسول ﷺ: «**الحمد لله الذي أنقذه بي من النار**»[1].

فحمد الله الرسول ﷺ على إنقاذه لهذا اليهودي وإن لم يقلها لكان في جهنم وبئس المصير فلا تبخل أيها المسلم بكلمة الحق. «**وخيركم من تعلم القرآن وعلمه**»[2].



(١) أخرجه البخاري (١٣٥٦) عن أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٢٧) عن عثمان بن عفان رضي الله عنه مرفوعاً.

المحذور الثاني
من سئل عن أعلم الناس قال أنا أعلم

قال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا . . .﴾ [الإسراء: ٨٥].

قال العلامة الشنقيطي في تفسيره:

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أنه ما أعطى خلقه من العلم إلا قليلاً بالنسبة إلى علمه جل وعلا لأن ما أعطيه الخلق من العلم بالنسبة إلى علم الخالق قليل جداً. ومن الآيات التي فيها الإشارة إلى ذلك، قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف: ١٠٩].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان: ٢٧]. . انتهى.

قال الربيع بن أنس: إن مثل علم العباد كلهم في علم الله كقطرة من ماء البحور كلها. وقد أنزل الله ذلك ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف: ١٠٩].

يقول: لو كان البحر مداداً والشجر كله أقلام لانكسرت الأقلام وفنى ماء البحر وبقيت كلمات الله قائمة لا يفنيها شيء لأن أحداً لا يستطيع أن يقدر قدره ولا يثني عليه، كما ينبغي حتى يكون هو الذي يثني على نفسه، إن ربنا كما يقول وفوق ما نقول إن مثل نعيم الدنيا أولها وآخرها في نعيم الآخرة

كحبة من خردل من خلال الأرض[1].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ . . .﴾ الآية [البقرة: ٢٥٥]. أي لا يطلع أحد من علم الله على شيء إلا بما أعلمه الله عز وجل وأطلعه عليه. ويحتمل أن يكون المراد: لا يطلعون على شيء من علم ذاته وصفاته إلا بما أطلعهم الله عليه كقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]. . . انتهى من تفسير ابن كثير للآية. وقد ذكر الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ في صحيحه في (كتاب العلم) (باب ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم فيكل العلم إلى الله).

ـ عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: إن نوفاً البكالي يزعم أن موسى ليس بموسى بني إسرائيل، إنما هو موسى آخر. فقال كذب عدو الله[2].

حدثنا أبيّ بن كعب عن النبي ﷺ: **(قام موسى النبي خطيباً في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم؟ فقال: أنا أعلم.**

فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه فأوصى الله إليه أن عبداً من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك. قال: يا رب وكيف به؟ فقيل له: احمل حوتاً، من مكتل فإذا فقدته فهو ثمَّ. فانطلق وانطلق بفتاه يوشع بن نون وحملا حوتاً في مكتل حتى كانا عند الصخرة وضعا رؤوسهما وناما فانسل الحوت من المكتل فاتخذ سبيله في البحر سرباً، وكان لموسى وفتاه عجباً. فانطلقا بقية ليلتهما ويومهما. فلما أصبح قال موسى لفتاه: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً ولم يجد موسى مسًّا من النصب حتى جاوز المكان الذي أمر به. فقال له فتاه: أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت. قال موسى: ذلك ما كنا نبغي. فارتدا على آثارهما قصصا، فلما انتهينا إلى الصخرة إذا رجل مُسَجًّى بثوبٍ ـ أو قال ـ: تسجى بثوبه. فسلم موسى، فقال الخضر:

---

(١) انظر تفسير ابن كثير الكهف: (١٠٩).

(٢) قال هذا فيه لأنه حدث عن أهل الكتاب في تفسير القرآن وقد ورد النهي عن ذلك. (عارضة الأحوذي ١٢/ ٢).

وإنّي بأرضك السلام؟ فقال: أنا موسى. فقال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم. قال: هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً. قال: إنك لن تستطيع معي صبراً. يا موسى إنّي على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم علمكه لا أعلمه. قال: ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً. فانطلقا يمشيان على ساحل البحر ليس لهما سفينة. فمرت بهما سفينة فكلموهم أن يحملوهما فعرف الخضر فحملوهما بغير نول، فجاء عصفور فوقع على حرف السفينة. فنقر نقرة أو نقرتين في البحر، فقال الخضر: يا موسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كنقرة هذا العصفور في البحر. فعمد الخضر إلى لوح من ألواح السفينة فنزعه. فقال موسى: قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها. قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً. قال: لا تؤاخذني بما نسيت. فكانت الأولى من موسى نسياناً. فانطلقا فإذا غلام يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر برأسه من أعلاه فاقتلع رأسه بيده. فقال موسى: أقتلت نفساً زكية بغير نفس؟ قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً؟ (قال ابن عيينة وهذا أوكد). فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما، فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه، قال الخضر بيده فأقامه. فقال له موسى: لو شئت: لاتخذت عليه أجراً. قال: هذا فراق بيني وبينك. قال النبي ﷺ يرحم الله موسى لوددنا لو صبر حتى يقص علينا من أمرهما)[1].

يتضح لنا مما سبق أن من سئل عن أعلم الناس فإنه لا بد أن يكل العلم إلى الله. لأنه أحاط بكل شيء علماً. وهو علاَّم الغيوب ولا مقارنة بين علوم الخلائق كلهم وعلم الله تعالى.

ـ عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]، قال: يكون هذا أعلم من هذا وهذا أعلم من هذا والله فوق كل عالم. وقال قتادة: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾. حتى ينتهي العلم إلى الله منه بدىء وتعلمت العلماء وإليه يعود.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٢) ومسلم (٦٠٤٧) نووي. قلعجي، (٢٣٨٠) عبد الباقي.

وقال الشيخ أبو بكر الجزائري في تفسيره للآية:

وفوق كل ذي علم من الناس عليم إلى أن ينتهي العلم إلى الله تعالى، فهو العليم الذي لا أعلم منه، بل العلم كله له ومنه ولولاه لما علم أحد شيئاً.

وقال أبو الفرج الجوزي في زاد المسير:

قوله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]. أي فوق كل ذي علم رفعه الله بالعلم من هو أعلم منه حتى ينتهي العلم إلى الله تعالى، والكمال في العلم معدوم من غيره. وفي مقصود هذا الكلام ثلاثة أقوال:

أحدها: أن المعنى: يوسف أعلم من أخوته وفوقه من هو أعلم منه.

والثاني: أنه نبه على تعظيم العلم وبيَّن أنه أكثر من أن يحاط به.

والثالث: أنه تعليم للعالم التواضع لئلا يعجب... اهـ.

أما حديث الباب فقد قال الحافظ ابن حجر في الفتح **(١/ ٢٦٥)**:

قال ابن المنير: ظن ابن بطال أن ترك موسى الجواب عن هذه المسألة كان أولى. قال: وعندي أنه ليس كذلك بل رد العلم إلى الله تعالى متعين أجاب أو لم يجب، فلو قال موسى عليه السلام. (أنا والله أعلم). لم تحصل المعاتبة وإنما عوتب على اقتصاره على ذلك أي لأن الجزم يوهم أنه كذلك في نفس الأمر وإنما مراده الإخبار بما في علمه، والعتب من الله تعالى محمول على ما يليق به لا على معناه العرفي في الآدميين كنظائره.

وذكر ابن حجر عدة فوائد للحديث[١] وهي:

١ ـ جواز التجادل في العلم إذا كان بغير تعنت.

٢ ـ الرجوع إلى أهل العلم عند التنازع.

٣ ـ العمل بخبر الواحد الصدوق.

---

(١) انظر تعليقه على الحديث (٧٤) فتح.

٤ ـ ركوب البحر في طلب العلم بل في طلب الاستكثار منه.

٥ ـ مشروعية حمل الزاد في السفر.

٦ ـ التواضع في كل حال، ولهذا حرص موسى على الالتقاء بالخضر عليهما السلام وطلب التعلم منه تعليماً لقومه أن يتأدبوا بأدبه وتنبيهاً لمن زكى نفسه أن يسلك مسلك التواضع. . . انتهى.

وذكر الإمام النووي عدة فوائد للحديث منها:

١ ـ يستحب للعالم وإن كان من العلم بمحل عظيم أن يأخذه من هو أعلم منه ويسعى إليه في تحصيله.

٢ ـ الأدب مع العالم وحرمة المشايخ وترك الاعتراض عليهم وتأويل ما لا يفهم ظاهره من أفعالهم وحركاتهم وأقوالهم والوفاء بعهودهم والاعتذار عند مخالفة عهدهم.

٣ ـ جواز سؤال الطعام عند الحاجة وجواز إجارة السفينة والدابة وسكنى الدار ولبس الثوب ونحو ذلك بغير أجرة يرضي صاحبه لقوله: (حملونا بغير نول)[1].

٤ ـ الحكم بالظاهر حتى يتبين خلافه لإنكار موسى.

٥ ـ لا بأس على العالم والفاضل أن يخدمه المفضول ويقضي له حاجة، ولا يكون هذا من أخذ العوض على تعليم العلم والآداب بل من مروءات الأصحاب وحسن العشرة، ودليله من هذه القصة حمل فتاه غداءهما وحمل أصحاب السفينة موسى والخضر بغير أجرة لمعرفتهم الخضر بالصلاح والله أعلم.

٦ ـ الحث على التواضع في علمه وغيره وأنه لا يدعى أنه أعلم الناس

---

(١) كما في رواية مسلم.

وأنه إذا سئل من أعلم الناس يقول الله أعلم.

٧ ـ وجوب التسليم لكل ما جاء به الشرع وإن كان بعض لا تظهر حكمته للعقول ولا يفهمه أكثر الناس وقد لا يفهمونه كلهم كالقدر موضع الدلالة، قتل الغلام وخرق السفينة فإن صورتها صورة المنكر وكان صحيحاً في نفس الأمر له حكم بينة لكنها لا تظهر للخلق فإذا أعلمهم الله تعالى بها علموها ولهذا قال: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِىۚ﴾ [الكهف: ٨٢] يعني بل بأمر الله تعالى. انتهى.

وقال الحافظ ابن حجر (١/٢٦٦):

قوله: (ما نقص علمي وعلمك من علم الله).

لفظ النقص ليس على ظاهره لأن علم الله لا يدخله النقص، فقيل: معناه لم يأخذ وهذا توجيه حسن ويكون التشبيه واقعاً على الآخذ لا على المأخوذ منه وأحسن منه أن المراد بالعلم المعلوم بدليل دخول حرف التبعيض. لأن العلم القائم بذات الله تعالى صفة قديمة لا تتبعض، والمعلوم هو الذي يتبعض وقال الإسماعيلي: المراد أن نقص العصفور لا ينقص البحر بهذا المعنى وهو كما قيل:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

أي ليس فيهم عيب. وحاصله أن نفي النقص أطلق على سبيل المبالغة. وقيل: (إلا) بمعنى ولا أي ولا كنقرة هذا العصفور. وقال القرطبي: من أطلق اللفظ هنا تجوز لقصده التمسك والتعظيم إذ لا نقص في علم الله ولا نهاية لمعلوماته. وقد وقع في رواية ابن جريج بلفظ أحسن سياقاً من هذا وأبعد إشكالاً. فقال: (ما علمي وعلمك في جنب علم الله إلا كما أخذ هذا العصفور بمنقاره من البحر) وهو تفسير اللفظ الذي وقع هنا.

قال: وفي قصة موسى والخضر من الفوائد أن الله يفعل في ملكه ما يريد ويحكم في خلقه بما يشاء مما ينفع أو يضر، فلا مدخل للعقل في أفعاله ولا معارضة لأحكامه، بل يجب على الخلق الرضا والتسليم فإن إدراك العقول لأسرار الربوبية قاصر فلا يتوجه على حكمه لم ولا كيف كما لا يتوجه عليه

في وجوده أين وحيث[1] وأن العقل لا يحسن ولا يقبح[2] وأن ذلك راجع إلى الشرع فما حسنه بالثناء عليه فهو حسن وما قبحه بالذم فهو قبيح، وإن لله تعالى فيما يقضيه حكماً وأسراراً في مصالح خفية اعتبرها كل ذلك بمشيئته وإرادته من غير وجوب عليه ولا حكم عقل يتوجه إليه. بل بحسب ما سبق في علمه ونافذ حكمه فما أطلع الخلق عليه من تلك الأسرار عرف، وإلا فالعقل عنده واقف. فليحذر المرء من الاعتراض فإن مآل ذلك إلى الخيبة.

وقال ابن العربي المالكي في شرحه على الترمذي[3]:

قوله: (أي الناس أعلم قال أنا فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه)، ولو قال هكذا لكان فيه درك ما، وإنما قيل له هل تعلم في الأرض أحداً أعلم منك فقال: لا وصدق وأنه شهد بما علم ولكن لما كان فيه نوع من الافتخار عوقب عليه لتشريف منزلته وإن كان أهل الجلالة والفخر، وأعلمه الله بمن هو أعلم منه وعناه إليه فإن قيل كيف يكون أعلم منه وهما علمان متغايران قلنا: علم الغيب في ذاته أكرم من علم الشهادة أو ما يلقى إلى العبد منها لأن علم الغيب مما ينفرد به العليم ولا ينال بحيلة ولا يكتسب بسبب... انتهى.

فمما سبق وجب على من سئل عما لا يعلم أن يقول الله أعلم، ويتضح ذلك من حديث جبريل الطويل.. وفيه سؤال جبريل عليه السلام للنبي ﷺ: (متى الساعة) فقال النبي ﷺ: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**»[4].

---

(١) قال الشيخ عبد العزيز بن باز تعقيباً على الحافظ: الصواب عند أهل السنة وصف الله سبحانه بأنه في جهة العلو وأنه فوق العرش كما دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة، ويجوز عند أهل السنة السؤال عنه بأين كما في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال للجارية: أين الله؟ قالت في السماء... الحديث.

(٢) هذا هو قول بعض أهل السنة وذهب بعض المحققين منهم إلى أن العقل يحسن ويقبح لما فطر الله على العباد من معرفة الحسن والقبيح، وقد جاءت الشرائع الإلهية تأمر بالحسن وتنهى عن القبيح ولكن لا يترتب الثواب والعقاب على ذلك إلا بعد بلوغ الشرع... انتهى.

(٣) انظر شرح الترمذي لابن العربي (عارضة الأحوذي) تفسير سورة الكهف (١٢/ ٢).

(٤) سبق تخريجه ص١١٥، ٢٨٤.

وفي الحديث فوائد منها:

١ ـ أنه يجب على من سئل عما لا يعلم أن يقول الله أعلم.

٢ ـ يحظر على المسؤول التكلف والقول على الله بغير علم.

٣ ـ إفراد الله وحده بعلم الغيب فلا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل.

٤ ـ اليقين بأنه فوق كل ذي علم عليم.



ثانياً: الجائزان

الجائز الأول:

يجوز للمسؤول أن يعدل عن السؤال إلى ما هو أنفع:

قال ابن القيم: يجوز للمفتي أن يعدل عن جواب المستفتي عما سأله عنه إلى ما هو أنفع له منه، ولا سيما إذا تضمن ذلك بيان ما سأله عنه، وذلك من كمال علم المفتي وفقهه ونصحه، وقد قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾[1]. فسألوه عن المُنْفَق فأجابهم بذكر المَصْرِف؛ إذ هو أهم مما سألوه عنه، ونبههم عليه بالسياق، مع ذكره لهم في موضع آخر، وهو قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْعَفْوَۗ﴾[2] وهو ما سهل عليهم إنفاقه ولا يضرهم إخراجه، وقد ظن بعضهم أن من ذلك قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّۗ﴾[3] فسألوه عن سبب ظهور الهلال خفياً ثم لا يزال يتزايد فيه النور على التدريج حتى يكمل ثم يأخذ في النقصان، فأجابهم عن حكمة ذلك من ظهور مواقيت الناس التي بها تمام مصالحهم في أحوالهم ومعاشهم ومواقيت أكبر عبادتهم وهو الحج، وإن كانوا قد سألوا عن السبب فقد أجيبوا بما هو أنفع لهم مما سألوا عنه، وإن كانوا إنما سألوا عن حكمة ذلك فقد

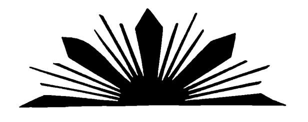
---

(١) البقرة: (٢١٥).

(٢) البقرة: (٢١٩).

(٣) البقرة: (١٨٩).

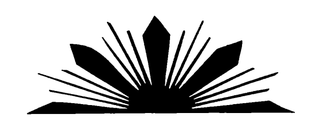
أجيبوا عن عين ما سألوا عنه. ولفظ سؤالهم محتمل؛ فإنهم قالوا: ما بال الهلال يبدو دقيقاً ثم يأخذ في الزيادة حتى يتم ثم يأخذ في النقص؟[1].



(١) أعلام الموقعين (٤/١٥٨).

الجائز الثاني:
يجوز للمسؤول أن يجيب بأكثر مما سئل:

قال ابن القيم: يجوز للمفتي أن يجيب السائل بأكثر مما سأله عنه، وهو من كمال نصحه وعلمه وإرشاده، ومن عاب ذلك فلقلة علمه وضيق عطَنِه وضعف نصحه، وقد ترجم البخاري لذلك في صحيحه فقال: باب من أجاب السائل بأكثر مما سأل عنه، ثم ذكر حديث ابن عمر رضي الله عنهما ما يلبس المحرم؟ فقال رسول الله ﷺ: «**لا يلبس القُمُصَ، ولا العمائم، ولا السراويلات، ولا الخفاف، إلا أن لا يجد نعلين فليلبس الخفين وليقطعهما أسفل من الكعبين**»[(١)] فسئل رسول الله ﷺ عما يلبس المحرم، فأجاب عما لا يلبس، وتضمن ذلك الجواب عما يلبس؛ فإن ما لا يلبس محصور وما يلبسه غير محصور، فذكر لهم النوعين، وبيّن لهم حكم لبس الخف عند عدم النعل، وقد سألوه عن الوضوء بماء البحر، فقال لهم: (**هو الطهور ماؤه، الحل ميتته**)[(٢)] .[(٣)]



---

(١) أخرجه البخاري (١٣٤) ومسلم (١١٧٧).

(٢) صحيح. أخرجه أبو داود (٦٦) والنسائي (١/ ٥٠ و ١٧٦) والترمذي (٦٩) وابن ماجه (٣٨٦).

(٣) أعلام الموقعين (٤/١٥٨ ـ ١٥٩).

الباب الرابع
السؤال في القبر (دار البرزخ)

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول
«الإيمان بسؤال القبر وإنَّه لحقٌّ»

ذكر الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ في صحيحه. (كتاب الجنائز) (باب ما جاء في عذاب القبر) وقوله تعالى [الأنعام: ٩٣]: ﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ هو الهوان.

والهَوْن: الرفق.

وقوله جل ذكره: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١].

وقوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٥ ـ ٤٦].

ـ عن البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**إذا أقعد المؤمن**

في قبره أتي ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله» فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾[1] [إبراهيم: ٢٧]».

ـ عن عائشة رضي الله عنها (أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر فقال: نعم عذاب القبر. قالت عائشة رضي الله عنها. فما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر)[2].

ـ عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: (قام رسول الله ﷺ خطيباً فذكر فتنة القبر التي يفتتن فيها المرء، فلما ذكر ذلك ضج المسلمون ضجَّة)[3].

ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أنه حدثهم أن رسول الله ﷺ قال: **«إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه ـ وأنه ليسمع قرع نعالهم ـ أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ لمحمد ﷺ. فأمَّا المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً»** قال قتادة: وذكر لنا أنه يفسح له في قبره.

ثم رجع إلى حديث أنس قال: **(وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس. فيقال: لا دريت ولا تليت ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين)**[4].

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا قُبِر الميت أو قال: أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما: المنكر والآخر النكير.**

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٩) ومسلم (٢٨٧١) عبد الباقي.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٧٢).

(٣) أخرجه البخاري (١٣٧٣).

(٤) أخرجه البخاري (١٣٧٤) ومسلم (٢٨٧٠) عبد الباقي.

فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: ما كان يقول هو: عبد الله ورسوله. أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين ثم ينور له فيه ثم يقال له: ثم فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم؟ فيقولان: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك. وإن كان منافقاً قال: سمعت الناس يقولون فقلت مثله لا أدري).

فيقولان: (قد كنا نعلم أنك تقول ذلك فيقال للأرض التئمي عليه فتلتئم عليه فتختلف أضلاعه فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك)[1].

ـ عن البراء بن عازب قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولمَّا يُلْحَد فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت به في الأرض فرفع رأسه فقال: **(استعيذوا بالله من عذاب القبر)** مرتين أو ثلاثاً زاد في حديث جرير ها هنا. وقال: **(وإنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين حين يقال له يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك؟ قال هناد: ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول ربي الله فيقولان له: ما دينك؟ فيقول ديني الإسلام فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ قال: فيقول هو رسول الله ﷺ، فيقولان وما يدريك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقته).**

زاد في حديث جرير: **فذلك قول الله عز وجل** ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآية ثم اتفقا قال: **«فينادي منادٍ من السماء، أن قد صدق عبدي فافرشوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة وألبسوه من الجنة» قال: (فيأتيه من روحها وطيبها) قال: (ويفتح له فيها مد بصره) قال: (وإن الكافر) فذكر موته قال: (وتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري فيقولان له ما دينك؟ فيقول هاه هاه لا أدري،**

---

(١) صحيح. أخرجه الترمذي (١٠٧١) وانظر الصحيحة للشيخ الألباني (١٣٩١).

فيقولان، ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول هاه هاه لا أدري فينادي مناد من السماء: أن كذب فافرشوه من النار وألبسوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار) قال: (فيأتيه من حرها وسمومها) قال: (ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه) زاد في حديث جرير قال: ثم (يُقيَّض له أعمى أبكم معه مِرْذبة من حديد لو ضرب بها جبل لصار تراباً) قال: (فيضربه بها ضربة يسمعها ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين فيصير تراباً) قال: (ثم تعاد فيه الروح)[1].

ـ وقد أورد الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ هذا الحديث مطولاً في مسنده بلفظ:

ـ عن البراء بن عازب قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولمَّا يُلْحَدْ فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت به في الأرض فرفع رأسه فقال: **استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثاً ثم قال: إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال إلى الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان. قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فيّ السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون ـ يعني ـ بها على ملإ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون (فلان بن فلان) بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا فيستفتحون له، فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل: (اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإنِّي منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى) قال: فتعاود روحه فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له:**

---

(١) صحيح أخرجه أبو داود (٤٧٥٣) وغيره.

(من ربك؟) فيقول: «ربي الله» فيقولان له (ما دينك؟) فيقول: «ديني الإسلام» فيقولان له: (ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟) فيقول: «هو رسول الله ﷺ» فيقولان له: (وما علمك)؟ فيقول: «قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت». فينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي فافرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة. فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره.

قال: ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح. فيقول: أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير. فيقول: أنا عملك الصالح. فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي، قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه: فيقول: أيتها النفس الخبيثة أخرجي إلى سخط من الله وغضب. قال: متفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السَّفُود من الصوف المبلول فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملإ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: (فلان بن فلان) بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح. ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾[1] فيقول الله عز وجل: «اكتبواكتابه في سجين في الأرض السفلى» فتطرح روحه طرحاً ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[2] فتعاد روحه في جسده. ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له. (من ربك؟) فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان: (ما دينك؟) فيقول: هاه هاه لا أدري فيقولان: (ما هذا

---

(١) الأعراف: (٤٠).

(٢) الحج: (٣١).

الرجل الذي بعث فيكم؟) فيقول هاه هاه لا أدري.

فينادي مناد من السماء: (أنه كذب فافرشوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار. فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه. ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول: أبشر بالذي يسوؤك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر. فيقول: أنا عملك الخبيث فيقول: رب لا تقم الساعة)[1].

- عن البراء بن عازب عن النبي ﷺ قال: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ . . .﴾ [إبراهيم: ٢٧].

قال: نزلت في عذاب القبر فيقال له من ربك؟

فيقول ربي الله ونبيّي محمد ﷺ فذلك قوله عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾[2].

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن المؤمن ينزل به الموت ويعاين ما يعاين فود لو خرجت - يعني نفسه - والله يحب لقاءه وإن المؤمن يُصْعَدُ بروحه إلى السماء فتأتيه أرواح المؤمنين فيستخبرونه عن معارفهم من أهل الأرض، فإذا قال: تركت فلاناً في الدنيا أعجبهم ذلك، وإذا قال: إن فلاناً قد مات، قالوا: ما جيء به إلينا. وإن المؤمن يُجلس في قبره فيسأل: من ربه؟ فيقول: ربي الله. فيقول: من نبيك؟ فيقول: نبيّي محمد ﷺ قال: فما دينك؟ قال: ديني الإسلام. فيفتح له باب في قبره فيقول أو يقال: انظر إلى مجلسك. ثم يرى القبر فكأنما كانت رقدة. فإذا كان عدواً لله نزل به الموت وعاين ما عاين فإنه لا يحب أن تخرج روحه أبداً والله يبغض لقاءه، فإذا جلس في قبره أو أجلس فيقال له من ربك؟ فيقول: لا أدري. فيقال: لا دَرَيْتَ. فيفتح له باب من جهنم ثم يضرب ضربة تُسْمِعُ كل دابة إلا**

---

(١) صحيح. رواه أحمد بن حنبل في المسند (٤/ ٢٨٧ - ٢٨٨ - ٢٩٥ - ٢٩٦) وراجع الحديث في أحكام الجنائز للشيخ الألباني ص ١٩٨ ط. جديدة.

(٢) أخرجه مسلم (٧٠٧٩) نووي. قلعجي، (٢٨٧١) عبد الباقي.

الثقلين، ثم يقال له: نم كما ينام المنهوش. فقلت لأبي هريرة: ما المنهوش؟ قال: الذي ينهشه الدواب والحيات. ثم يضيق عليه قبره»[١].

- **عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: (استغفروا لأخيكم وسلوا له بالتثبيت فإنه الآن يسأل)**[٢].

وفي الحديث دلالة على مشروعية الاستغفار للميت عند الفراغ من دفنه وسؤال التثبيت له أي أن يثبته الله في الجواب وفيه دلالة على سؤال القبر وعلى حياة القبر، وفي كل واحد من هذه الأشياء وردت أحاديث كثيرة بعضها في الصحيحين كما سبق بيانه، فمن الآيات والأحاديث السابقة يتضح لنا إثبات عذاب القبر للكافرين ولمن شاء الله من الموحدين أصحاب الكبائر وأن المساءلة في القبر واقعة على الكافر والمسلم كما ثبت ذلك بالأدلة، ومن أراد التحقيق في هذه المسألة فليراجع كتاب التذكرة للقرطبي والروح لابن القيم وليتحرى الصحيح فيهما. وكذلك كلام ابن حجر في الفتح في تعليقه على باب ما جاء في عذاب القبر (كتاب الجنائز) وغير ذلك من كتب الرقائق والعقائد.

وجاء في شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز قوله: وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً، وسؤال الملكين فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به ولا يتكلم في كيفيته إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته لكونه لا عهد به في هذه الدار والشرع لا يأتي بما تحيله العقول ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول.

وجاء في معارج القبول بشرح سلم الوصول:

وإن كـلا مـقـعـد مـسـؤول ... مـا الـرب مـا الـديـن ومـا الـرسـول

وعـنـد ذا يـثـبـت الـمـهـيـمـن ... ثـابـت الـقـول الـذيـن آمـنـوا

ويـوقـن الـمـرتـاب عـنـد ذلـك ... بـأنـمـا مـورده الـمـهـالـك

في هذه الأبيات إثبات المسألة العظيمة وهي إثبات سؤال القبر وفتنته وعذابه ونعيمه، وقد تظاهرت بذلك نصوص الشريعة كتاباً وسنة وأجمع على

(١) حسن. أخرجه البزار. وراجع الصحيحة (٢٦٢٨).

(٢) صحيح. أخرجه أبو داود (٣٢٢١).

ذلك أئمة السنة من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من أهل السنة والجماعة.

ـ سؤال الملكين هل يعم كل ميت؟

يقول الشيخ محمد الصَّالِح العُثيمين، وفي هذا تفصيل؛ فنقول:

أولاً: أما الأنبياء؛ فلا تشملهم الفتنة، ولا يُسألون، وذلك لوجهين:

الأول: أن الأنبياء أفضل من الشهداء، وقد أخبر النبي ﷺ أن الشهيد يوقى فتنة القبر، وقال: «**كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة**»(١).

الثاني: أن الأنبياء يسأل عنهم؛ فيقال للميت: من نبيك؟ فهو مسؤول عنهم، وليسوا مسؤولين، ولهذا قال النبي ﷺ: «**إنه أوحي إليَّ أنكم تفتنون في قبوركم**»(٢)، والخطاب للأمة المرسل إليهم؛ فلا يكون الرسول داخلاً فيهم.

ثانياً: وأما الصديقون؛ فلا يسألون؛ لأن مرتبة الصديقين أعلى من مرتبة الشهداء؛ فإذا كان الشهداء لا يسألون؛ فالصديقون من باب أولى، وذهب بعض العلماء إلى أنهم يسألون؛ لعموم الأدلة، والله أعلم.

ثالثاً: وأما الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله؛ فإنهم لا يسألون؛ لظهور صدق إيمانهم بجهادهم: وقال النبي ﷺ: «**كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة**»(٣).

وإذا كان المرابط؛ إذا مات؛ أمن الفتان؛ لظهور صدقه؛ فهذا الذي قتل في المعركة مثله أو أولى منه؛

رابعاً: وأما المرابطون؛ فإنهم لا يفتنون؛ ففي «صحيح مسلم»؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات؛ جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجري عليه رزقه، وأمن الفتان**»(٤).

خامساً: الصغار والمجانين؛ هل يفتنون أو لا يفتنون؟

قال بعض العلماء: إنهم يفتنون؛ لدخولهم في العموم.

وقال بعض العلماء: إن المجانين والصغار لا يسألون؛ لأنهم غير مكلفين، وإذا كانوا غير مكلفين؛ فإنه لا حساب عليهم؛ والله أعلم(٥).

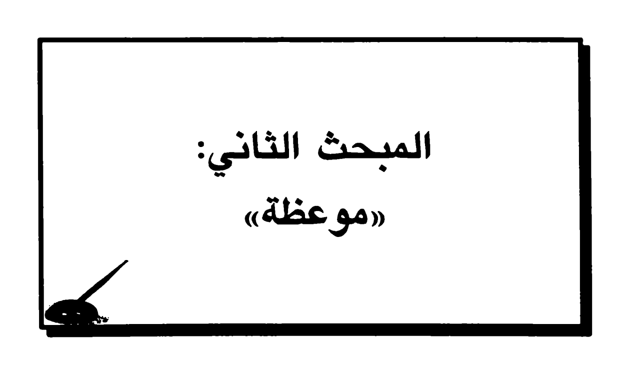
---

(١)(٣) صحيح رواه النسائي (٤/٩٩).

(٢) رواه البخاري (١٨٤)، ومسلم (٩٠٥)، عن أسماء رضي الله عنها.

(٤) رواه مسلم (١٩١٣) عن سلمان رضي الله عنه.

(٥) شرح العقيدة الواسطية باختصار (٢/١١٠).



اعلم يرحمك الله أنك ميت ومسؤول في القبر عن ربك ورسولك ودينك هل أعددت لهذا السؤال حيث أنك يومئذ وحيد فريد لا حول لك ولا قوة ولا نصير ولا معين، فعش حقيقة الإيمان واعمل العمل الصالح حتى يثبتك الله عند السؤال، لأن الموت لا مفر منه ولقاء الله لا مفر منه ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ [آل عمران: ١٨٥] فالموت غاية كل حي من المخلوقين فيعيش الإنسان ما شاء الله أن يعيش ويسير في الأرض ويتقلب فيها ويذوق حلوها ومرها ويأخذ فيها حظاً من الشقاء وحظاً من السعادة بقدر ما كتب له وما قدر عليه ولكن لكل هذا نهاية ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨﴾ [العلق: ٨] ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝٤٢﴾ [النجم: ٤٢].

فعش ما شئت فإنك ميت واحبب من شئت فإنك مفارقه فالبقاء في الدنيا دائماً محال. فالسعيد من أطاع الله ولم يعصه وذكر الله ولم ينسه وشكر الله ولم يكفره. واعلم يرحمك الله أن أمامك قبر يناديك ووراءك موت يسوقك وفوقك سماء تنذرك بالرحيل وتحتك أرض هي مضجعك الأخير وعن يمينك فتن واضطرابات وعن يسارك أمراض وعلل، فكيف تركن إلى الدنيا وعما قريب تفارقك وكيف تمرح على ظهر الأرض وعن قريب تبلعك ألم تعلم أنك مسافر تخرج من بطن، لتذهب إلى بطن تخرج من بطن أمك إلى بطن الأرض فمنهم من يقطع السفر في لحظات ومنهم من يقطعه في ساعات وأيام ومنهم من يتأخر إلى أعوام وكلهم إلى السفر ينتهون وإلى بطن الأرض

يعودون قال تعالى: ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [طه: ٥٥].

لقد خرجت من ظلمات الأرحام وتنتظرك ظلمات القبور. وهكذا الدنيا لا تدوم أحوالها عزها لا يدوم ورخاؤها لا يبقى. ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران: ٢٦].

فهل فكرت يا عبد الله في هذا المصير وفي بداية الرحلة الحقيقية التي تنتهي إلى المصير المحتوم فإما إلى جنة عرضها كعرض السموات والأرض ونسأل الله تعالى أن نكون من أهلها، وإما إلى نار وقودها الناس والحجارة ونعوذ بالله منها. وللأسف رحلات الدنيا يعدلها البشر الزاد ويتساءلون عن الأرض التي ينزلون عليها ولغة القوم وغير ذلك مع أنها رحلة محدودة الزمن. أما رحلة الأبد والتي يتغير فيها كل شيء ويخفى علينا من أمرها كل شيء وهي مصيرنا ومصير أهلينا وأبنائنا وآبائنا، ومع هذا فنحن غافلون عنها ومعرضون عن تذكرها فهل نحن منتهون عن هذه الغفلة وعن هذا الإعراض فينبغي أن تكون اليوم مشغولاً بما تكون غداً عنه مسؤولاً وأعد للسؤال جواباً وللحق صواباً قال الشاعر:

الموت باب كل الناس داخله ... فليت شعري بعد الباب ما الدار

وقال آخر:

الموت في كل حين ينشد الكفنا ... ونحن في غفلة عما يراد بنا
لا تركنن إلى الدنيا وزهرتها ... وإن توشحت من أثوابها الحسنا
أين الأحبة والجيران ما فعلوا ... أين الذين هموا كانوا لها سكنا
سقاهم الموت كأساً غير صافية ... صيرهم تحت أطباق الثرى رهنا

وقال آخر:

ولو أنا إذا متنا تركنا ... لكان الموت راحة كل حي
ولكنا إذا متنا بعثنا ... ونسأل بعدها عن كل شيء

وقال ابن الجوزي: يا من غلبته نفسه وبطش بعقله حسه استدرك صبابة اليقظة وصح في سمع قلبك بموعظة.

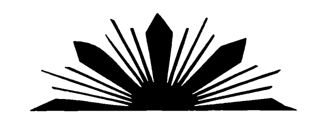
يا نفس توبي فإن الموت قد حانا ... واعصى الهوى فالهوى ما زال فتانا
أما ترينا المنايا كيف تلقطنا ... لقطاً وتلحق أخرانا بأولانا
في كل يوم لنا ميت نشيعه ... نرى بمصرعه آثار موتانا
يا نفس ما لي وللأموال أتركها ... خلفي وأخرج من دنيانا عريانا
أبعد خمسين قد قضيتها لعباً ... قد آن أن تقصري قد آن قد آنا
ما بالنا نتعامى عن مصائرنا ... ننسى بغفلتنا من ليس ينسانا
نزداد حرصاً وهذا الدهر يزجرنا ... كان زاجرنا بالحرص أخزانا
أين الملوك وأبناء الملوك ومن ... كانت تخر له الأذقان اذعانا
صاحت بهم حادثات الدهر فانقلبوا ... مستبدلين من الأوطان أوطانا
خلوا مدائن كان العز مفرشها ... واستفرشوا حفراً غبراً وقيعانا
يا راكضاً في ميادين الهوى مرحاً ... ورافلاً في ثياب الغي نشوانا
مضى الزمان وولى العمر في لعب ... يكفيك ما قد مضى قد كان ما كان

أين الزاد يا مسافر؟ أين درع التقوى يا سافر؟ لقد أنشب الموت فيك الأظافر ولا تشكن أنه ظافر هذه النبل فأين المغافر. كيف تصنع إن غضب الغافر؟ يا مبارزاً بالقبيح أمؤمن أنت أم كافر؟ إن قمت سدلت من ثياب كبرك وإن أقمت سدرت من شراب خمرك اصطفقت أبواب الواعظ وإما استفقت تقف في الصلاة بغير خضوع وتقرأ التخويف وما ثم خشوع يا نائماً عن صلاحه كم هذا الهجوع؟ يا دائم الحضور عندنا هل عمرك إلا أسبوع؟ إن لنجم الحيوة لأفول ولشمس الممات لطلوع أين أبوك أين جدك؟ السيف قطوع كيف تبقى مع كسر الأصول ضعاف الفروع؟ تعلق الدنيا بقلبك وتعتذر بلفظ مصنوع إصرارك كالصحيحين وإقلاعك حديث موضوع مزق أملك. فالعمر قصير حقق عملك فالناقد بصير زد زاد سفرك فالطريق بعيد ردد نظر فكرك فالحساب شديد صح بالقلب لعله يرعوي سلمه إلى الرائض عساه يستوي، يا

مؤثر البطالة عالم الهوى دنس عاشق الهوى جامد الفكر فلو ذاب ما ذاب[1]. انتهى.

وقال: احضروا قلوبكم فإلى كم تقليد يا معشر الشيوخ في عقل الوليد، أما فيكم من يذكر أنه في قبره وحيد، أما فيكم من يتصور تمزيقه والتبديد، غداً يباع أثاث البيت فمن يزيد، غداً يتصرف الوارث كما يريد، غداً يستوي في بطون اللحود الفقير والسعيد، يا قوم ستقومون للمبدىء المعيد.

يا قوم ستحاسبون على القريب والبعيد، يا قوم المقصود كله وبيت القصيد: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾[2] [هود: ١٠٥] ا.هـ.



---

(١) المدهش لأبي الفرج ابن الجوزي ص ٣٧٥ ـ ٣٧٦.

(٢) التبصرة لأبي الفرج ابن الجوزي (١/ ١٠٤).

المبحث الثالث
«ميِّتان يُخبران عن حالهما في القبر»

ـ عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: **«حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج فإنه كان فيهم الأعاجيب ثم أنشأ يحدث ﷺ قال: خرجت طائفة من بني إسرائيل حتى أتوا مقبرة لهم من مقابرهم فقالوا: لو صلينا ركعتين ودعونا الله عز وجل أن يخرج لنا رجلاً ممن قد مات نسأله عن الموت قال: ففعلوا فبينما هم كذلك إذ طلع رجل رأسه من قبر من تلك المقابر خلاسي[1] بين عينيه أثر السجود فقال: يا هؤلاء ما أردتم إليَّ فقد مت منذ مائة سنة فما سكتت عني حرارة الموت حتى كان الآن فادعوا الله عز وجل لي يعيدني كما كنت»**[2].

ـ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **(أمر بعبد من عباد الله أن يضرب في قبره مائة جلدة فلم يزل يسأل ويدعو حتى صارت جلدة واحدة فجلد جلدة واحدة فامتلأ قبره عليه ناراً، فلما ارتفع عنه وأفاق قال: على ما جلدتموني؟ قالوا: إنك صليت صلاة واحدة بغير طهور ومررت على مظلوم فلم تنصره)**[3].

---

(١) أي بين الأبيض والأسود.

(٢) صحيح. أخرجه أحمد في الزهد (٢٣) وانظر الصحيحة (٢٩٢٦).

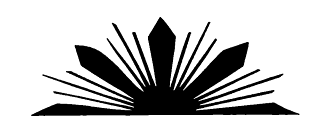
(٣) حسن. أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار (٣١٨٥) وراجع حاشية الشيخ شعيب الأرناؤوط على شرح المشكل (٨/ ٢١٢)، وراجع الصحيحة للشيخ الالباني (٢٧٧٤).

فاعلم يرحمك الله تعالى أن الموت آت لا ريب فيه وأن كل ما هو آت فقريب وأسأل الله لي ولكم حسن الخاتمة وأن يثبتنا عند السؤال وأن يقينا فتنة وعذاب القبر، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ:

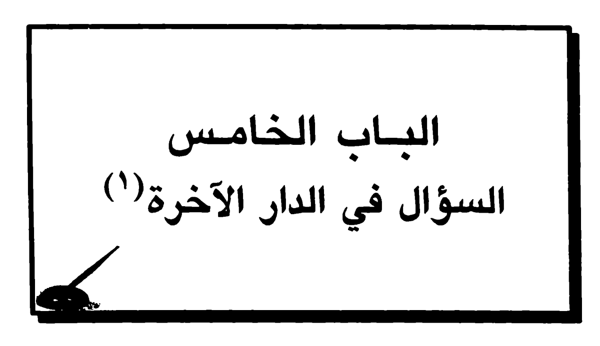
حدثني صاحبنا أبو عبدالله محمد بن الرزيز الحراني أنه خرج من داره بعد العصر بآمد إلى بستان ، قال: فلما كان قبل غروب الشمس توسطت القبور فإذا بقبر منها وهو جمرة من نار مثل كوز الزجاج، والميت في وسطه فجعلت أمسح عيني وأقول أنائم أنا أم يقظان؟ ثم التفت إلى سور المدينة وقلت: والله ما أنا بنائم ثم ذهبت إلى أهلي وأنا مدهوش فأتوني بطعام فلم أستطع أن آكل ثم دخلت البلد فسألت عن صاحب القبر فإذا به مكاس[١] قد توفي ذلك اليوم[٢].

ولله حكمة بالغة لمن شاء أن يريه هذه النار في القبر وغيرها من صور العذاب.



(١) المكّاس: صيغة مبالغة وهو الذي يجبي ما لا يستحق من الضرائب.

(٢) كتاب الروح: ص١١٩.



الباب الخامس
السؤال في الدار الآخرة(١)

في هذا اليوم العصيب يوم التناد يوم الجمع يوم يقوم الناس لرب العالمين يوم المساءلة يوم الحسرة. فكيف يكون حالك وإلى أين يكون مآلك إذا جاء ربك والملك صفاً صفاً وجيء يومئذ بجهنم. تصور هذا المشهد ثم تفكر يا مسكين بعد هذه الأحوال فيما يتوجه عليك من السؤال شفاها من غير ترجمان فالكل مجموع أمام رب العالمين، والكل مسؤول فالملائكة تسأل والأنبياء يسألون والأمم تسأل والأفراد يسألون والإنس والجن يسألون، فلا أحداً ينجو من السؤال. فأعد للإجابة يا عبد الله من الآن حتى تكون من الناجين غداً من عذاب رب العالمين. اللهم نجنا في هذا اليوم العصيب فإنه لا حول ولا قوة إلا بك. . . وأنت أرحم الراحمين.

ويحتوي هذا الباب على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: سؤال الخالق للمخلوق.

الفصل الثاني: سؤال المخلوق للخالق.

الفصل الثالث: سؤال المخلوق للمخلوق.

---

(١) ويشمل السؤال في العرصات وفي دار القرار (أهل الجنة وأهل النار).

الفصل الأول:
سؤال الخالق للمخلوق وفيه مباحث:

المبحث الأول
سؤال الله تعالى للملائكة في أرض المحشر

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ: ٤٠ ـ ٤١].

هذا السؤال يوجه للملائكة على رؤوس الخلائق المحشورة والحشر في الآخرة ينقسم إلى قسمين:

الأول: الحشر العام.

والثاني: الحشر الخاص.

أولاً ـ الحشر العام:

وهو حشر الأموات جميعاً من القبور ونحوها بعد البعث إلى الموقف، ويكون فيه الرجال والنساء حفاة عراة ليس عليهم ثياب.

وهذا الحشر هو المقصود في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحجر: ٢٥]. أي كلهم ميت ثم يحشرهم ربهم ويجمعهم يوم القيامة جميعاً، فالله حكيم في تدبير خلقه في إحيائهم إذا أحياهم وفي إماتتهم

إذا أماتهم عليم بعددهم وأعمالهم وبالحي منهم والميت والمستقدم منهم والمستأخر[1].

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ [يونس: ٤٥]. يقول تعالى مذكراً للناس قيام الساعة وحشرهم من أجداثهم إلى عرصات القيامة كأنهم يوم يوافونها لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة من النهار[2].

وقوله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧].

قال العلامة الشنقيطي في تفسيره (٤/ ١١٢) لهذه الآية ما نصه: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾ أي جمعناهم للحساب والجزاء، وهذا الجمع المعبر عنه بالحشر هنا جاء مذكوراً في آيات أخر. كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾[5].

وقوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا . . .﴾[6] الآية، إلى غير ذلك من الآيات.

وبيَّن في موضع آخر أن هذا الحشر المذكور شامل للعقلاء وغيرهم من أجناس المخلوقات وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾[7].

وقوله في هذه الآية الكريمة ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾[8] أي لم نترك.

---

(١) انظر تفسير الطبري للآية.
(٢) انظر تفسير ابن كثير للآية.
(٣) الواقعة: (٤٩ ـ ٥٠).
(٤) النساء: (٨٧).
(٥) هود: (١٠٣).
(٦) الأنعام: (٢٢) ويونس: (٢٨).
(٧) الأنعام: (٣٨).
(٨) الكهف: (٤٧).

والمغادرة: الترك ومنه الغدر لأنه ترك الوفاء والأمانة وسمى الغدير من الماء غديراً، لأن السيل ذهب وتركه. ومن المغادرة بمعنى الترك قول عنترة في مطلع معلقته:

هل غادر الشعراء من متردم ... أم هل عرفت الدار بعد توهم

وقوله أيضاً:

غادرته متعفراً أوصاله ... والقوم بين مجرح ومجدل

وما ذكره في هذه الآية الكريمة من أنه حشرهم ولم يترك منهم أحداً جاء مبيناً في مواضع أخر كقوله ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾[1] الآية. ونحوها من الآيات لأن حشرهم جميعاً هو معنى أنه لم يغادر منهم أحداً. انتهى.

وقال الشيخ في دفع إيهام الاضطراب (٢٢٧) وقوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾[2] يراد به الحشر العام.

صفة أرض المحشر:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ . . .﴾ الآية [إبراهيم: ٤٨].

ـ عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «**يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقُرصَة النَّقِيِّ قال سهل أو غيره ليس فيها علم لأحد**»[3].

قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/ ٣٨٢):

قوله: (أرض عفراء) قال الخطابي: العفر بياض ليس بالناصع. وقال عياض: العفر بياض يضرب إلى حمرة قليلاً ومنه سمي عفر الأرض وهو وجهها. وقال ابن فارس: معنى عفراء خالصة البياض. وقال الداودي: شديدة البياض. كذا قال: والأول المعتمد.

---

(١) الأنعام: (٢٢)، ويونس: (٢٨).

(٢) النمل: (٨٧).

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٢١) ومسلم (٢٧٩٠) عبد الباقي.

وقوله: (كقرصة النقي) أي الدقيق النقي من الغش والنخالة قاله الخطابي.

قوله: (قال سهل أو غيره ليس فيها علم لأحد).

والعلم والمعلم بمعنى واحد.

قال الخطابي: يريد أنها مستوية والمعلم هو الشيء الذي يستدل به على الطريق. وقال عياض: المراد أنها ليس فيها علامة سكنى ولا بناء ولا أثر ولا شيء من العلامات التي يهتدي بها في الطرقات كالجبل والصخرة البارزة... وفيه تعريض بأرض الدنيا وأنها ذهبت وانقطعت العلاقة منها. وقال الداودي: المراد أنه لا يجوز أحد منها شيئاً إلا ما أدرك منها.

وقال أبو محمد بن أبي جمرة: فيه دليل على عظيم القدرة والإعلام بجزئيات يوم القيامة ليكون السامع على بصيرة، فيخلص نفسه من ذلك الهول لأن في معرفة جزئيات الشيء قبل وقوعه رياضة النفس وحملها على ما فيه خلاصها بخلاف مجيء الأمر بغتة، وفيه إشارة إلى أن أرض الموقف أكبر من هذه الأرض الموجودة جداً.

والحكمة في الصفة المذكورة أن ذلك اليوم يوم عدل وظهور حق فاقتضت الحكمة أن يكون المحل الذي يقع فيه ذلك طاهراً عن عمل المعصية والظلم، وليكون تجليه سبحانه على عبادة المؤمنين على أرض تليق بعظمته، ولأن الحكم فيه إنما يكون لله وحده فناسب أن يكون المحل خالصاً له وحده.

وفيه إشارة إلى أن أرض الدنيا اضمحلت وأعدمت وأن أرض الموقف تجددت.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ ...﴾ الآية [إبراهيم: ٤٨].

قال: تبدل الأرض أرضاً كأنها فضة لم يسفك فيها دم حرام ولم يعمل عليها خطيئة ورجاله رجال الصحيح وهو موقوف... انتهى مختصراً.

صفة الناس في أرض المحشر:

ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (سمعت رسول الله ﷺ يخطب على المنبر يقول: «**إنكم ملاقوا الله حفاة عراة غرلا**»)[1].

ـ وعن ابن عباس قال: قام فينا النبي ﷺ يخطب فقال: (**إنكم محشورون حفاة عراة غرلا** ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ **الآية** [الأنبياء: ١٠٤]. **وإليه أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم الخليل وأنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال. فأقول: يا رب أصيحابي فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح** ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٧ ـ ١١٨] **قال: فيقال: (إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم)**[2].

ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**تحشرون حفاة عراة غرلا. قالت عائشة رضي الله عنه: فقلت يا رسول الله الرجال والنساء وينظر بعضهم إلى بعض؟ فقال: الأمر أشد من أن يهمهم ذاك**»[3].

قال ابن حجر في الفتح (١١/ ٣٩٠).

قوله: (إنكم ملاقوا الله) أي في الموقف بعد البعث.

قوله: (حفاة) جمع حاف أي بلا خف ولا نعل.

قوله: (عراة) قال البيهقي وقع في حديث أبي سعيد يعني الذي أخرجه أبو داود وصححه ابن حبان أنه لما حضره الموت دعا بثياب جدد فلبسها. وقال: (سمعت النبي ﷺ يقول: **إن الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها**[4]) ويجمع بينهما بأن بعضهم يحشر عارياً وبعضهم كاسياً أو يحشرون كلهم عراة ثم يكسى الأنبياء فأول من يكسي إبراهيم عليه الصلاة والسلام. وحمل

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٢٥) مسلم (٢٨٦٠) عبد الباقي.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٢٦) ومسلم (٢٨٦٠) عبد الباقي.

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٢٧) ومسلم (٢٨٥٩) عبد الباقي.

(٤) صحيح. أخرجه أبو داود (٣١٤) وابن حبان (٧٣١٦) الصحيحة (١٦٧١).

بعضهم حديث أبي سعيد على الشهداء لأنهم الذين أمر أن يزملوا في ثيابهم ويدفنوا فيها. وحمله بعض أهل العلم على العمل وإطلاق الثياب على العمل وقع في مثل قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦].

ويؤكد ذلك حديث جابر رفعه **(يبعث كل عبد على ما مات عليه)**. أخرجه مسلم. ورجح القرطبي الحمل على ظاهر الخبر ويتأيد بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ٩٤].

وقوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩].

وإلى ذلك الإشارة في حديث الباب بذكر قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

عقب قوله: (حفاة عراة)... انتهى مختصراً.

وقال الخطابي في معالم السنن[1]: قال بعض العلماء: البعث غير الحشر فقد يجوز أن يكون البعث مع الثياب والحشر مع العرى والحفا... والله أعلم.

قوله (غرلا) الغُرل جمع أغرل وهو الذي لم يختن وبقيت معه غرلته وهي قلفته وهي الجلدة التي تقطع في الختان، والمقصود أنهم يحشرون كما خلقوا لا شيء معهم ولا يفقد منهم شيء حتى الغرلة تكون معهم. قال ابن عبد البر: يحشر الآدمي عارياً ولكل من الأعضاء ما كان له يوم ولد فمن قطع منه شيء يرد حتى الأقلف... انتهى[2].

ثانياً ـ الحشر الخاص ويشمل:

١ ـ حشر المتقين إلى الجنة:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ [مريم: ٨٥].

قال الشوكاني رحمه الله في تفسير الآية:

---

(١) معالم السنن على حاشية أبي داود (٣/ ٤٨٠).

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (٨/ ٢٦٧) قلعجي، فتح الباري (١١/ ٣٩١).

معنى حشرهم إلى الرحمن: حشرهم إلى جنته ودار كرامته.

وقال العلامة الشنقيطي ـ رحمه الله ـ في تفسيره للآية: ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن المتقين الذين كانوا يتقونه في دار الدنيا بامتثال أمره واجتناب نهيه يحشرون إليه يوم القيامة في حال كونهم وفداً. والوفد على التحقيق جمع وافد كصاحب وصحب وراكب وركب.

والوافد: من يأتي إلى الملك مثلاً في أمر له شأن، وجمهور المفسرين على أن معنى قوله: (وفداً) أي ركباناً وبعض العلماء يقول: هم ركبان على نجائب من نور من مراكب الدار الآخرة.

وبعضهم يقول يحشرون ركبانا على صور من أعمالهم الصالحة في الدنيا في غاية الحسن وطيب الرائحة وركوبهم المذكور إنما يكون من المحشر إلى الجنة، أما من القبر فالظاهر أنهم يحشرون مشاة بدليل حديث ابن عباس الدال على أنهم يحشرون حفاة عراة غرلا، هذا هو الظاهر.

وجزم به القرطبي. والله أعلم... انتهى مختصراً. وقوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزمر: ٧٣].

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسيره للآية:

وهذا إخبار عن حال السعداء المؤمنين حين يساقون على النجائب وفداً إلى الجنة (زمرا) أي جماعة بعد جماعة، المقربون ثم الأبرار ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كل طائفة مع من يناسبهم. الأنبياء مع الأنبياء والصديقين مع أشكالهم والشهداء مع أضرابهم. والعلماء مع أقرانهم وكل صنف مع صنف، كل زمرة تناسب بعضها بعضاً.

(حتى إذا جاءوها) أي وصلوا إلى أبواب الجنة بعد مجاوزة الصراط حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار، فاقتص لهم مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة.

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يتمخطون ولا**

يتغوطون، آنيتهم فيها الذهب أمشاطهم من الذهب، والفضة ومجامرهم[1] الألوة[2] ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشياً»[3].

وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾.

لم يذكر الجواب ها هنا وتقديره: حتى إذا جاءوها وكانت هذه الأمور من فتح الأبواب لهم[4] إكراماً وتعظيماً وتلقتهم الملائكة الخزنة بالبشارة والسلام والثناء. لا كما تلقى الزبانية الكفرة بالتثريب والتأنيب، فتقديره: إذا كان هذا سعدوا وطابوا وسروا وفرحوا بقدر كل ما يكون لهم فيه نعيم، وإذا حذف الجواب ها هنا ذهب الذهن كل مذهب في الرجاء والأمل... اهـ مختصراً.

ـ وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: **«تحشر هذه الأمة على ثلاثة أصناف (صنف) يدخلون الجنة، بغير حساب، (وصنف) يحاسبون حساباً يسيراً ثم يدخلون الجنة (وصنف) يجيئون على ظهورهم أمثال الجبال الراسيات ذنوباً فيسأل الله عنهم وهو أعلم بهم فيقول: (حطوها عنهم واجعلوها على اليهود والنصارى وادخلوهم برحمتي الجنة»[5]. وللجنة ثمانية أبواب كما جاء في الصحيحين وغيرهما عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «في الجنة ثمانية أبواب منها باب يسمى باب الريان لا يدخله إلا الصائمون»[6].**

---

(١) المجامر: جمع مجمرة وهي المبخرة.

(٢) الألوة: العود الذي يتبخر به.

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٤٥) مسلم (٢٨٣٤) عبد الباقي.

(٤) كما قال تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾﴾ [ص: (٥٠)].

(٥) حسن. أخرجه الحاكم في المستدرك (١/٥٨).

(٦) أخرجه البخاري (٣٢٥٧) ومسلم مختصراً (١١٥٢).

٢ ـ حشر الفجار:

ـ عن البراء بن عازب قال: أتانا رسول الله ﷺ إلى البقيع فقال: يا معشر التجار حتى إذا اشرأبوا[١] قال ﷺ: «**إن التجار يحشرون يوم القيامة فجاراً إلا من اتقى وبر وصدق**»[٢].

وفي الحديث دليل على حشر الفجار وأما تخصيص التجار منهم لأن أكثرهم ينفق سلعته بالحلف الكذب، وفيه ذم الكذب والوعيد لأهله وفيه الحث على مكارم الأخلاق كالتقوى والبر والصدق.

٣ ـ حشر المتكبرين:

ـ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: (**يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر[٣] في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان فيساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس تعلوهم نار الأنيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال**)[٤].

يستفاد من الحديث أن المتكبرين الذين يظنون أنهم خرقوا الأرض ونافسوا الجبال طولاً يحشرون كالنمل هواناً يغشاهم الذل ويساقون إلى سجن من النار ويسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال جزاءً وفاقاً. وفيه الحث على خلق التواضع وذم الكبر وأن الجزاء من جنس العمل.

٤ ـ حشر المكذبين للرسل:

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ [النمل: ٨٣].

يقول العلامة الشنقيطي: أي بعد الحشر العام يجمع الله المكذبين للرسل من كل أمة لأجل التوبيخ المنصوص عليه بقوله: ﴿أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ

---

(١) اشرأبوا: أي رفعوا رؤوسهم ومدوا أعناقهم وانتبهوا لما يقال.

(٢) حسن. أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤٨٤٨) وانظر الصحيحة (١٤٥٨).

(٣) الذر: صغار النمل.

(٤) حسن. أخرجه الترمذي (٢٤٩٢). وراجع صحيح الترمذي (٢٠٢٥).

تُحِيطُواْ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ . . . ﴾ [النمل: ٨٤]. فالمراد بالفوج المكذب للرسل يحشر للتوبيخ حشراً خاصاً فلا ينافي حشر الكل لفصل القضاء[1]. اهـ مختصراً.

٥ ـ حشر الكفار من شياطين الإنس والجن ومن شابههم إلى النار وصفة حشرهم:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦] أي يساقون يوم القيامة إليها دون غيرها.

قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ الآية [الزمر: ٧١].

يخبر تعالى عن حال الأشقياء الكفار كيف يساقون إلى النار؟ إنما يساقون سوقاً عنيفاً بزجر وتهديد ووعيد كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾﴾ [الطور: ١٣].

أي يدفعون إليها دفعاً وهذا وهم عطاش ظماء كما قال في الآية الأخرى ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم: ٨٥، ٨٦] وهم في تلك الحال صم وبكم وعمي منهم من يمشي على وجهه. ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧].

وقوله: (حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها) أي بمجرد وصولهم إليها فتحت لهم أبوابها سريعاً لتعجل لهم العقوبة.

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾ [الفرقان: ٣٤].

ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه: (**أن رجلاً قال يا نبي الله يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً**

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (٢٢٧ ـ ٢٢٨).

على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة. قال قتادة: بلى وعزة ربنا)[1].

وقال العلامة الشنقيطي في تفسيره:

قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧١].

الزمر: الأفواج المتفرقة واحدة زمرة وقد عبر تعالى عنها هنا بالزمر وعبر عنها في (الملك) بالأفواج في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ [الملك: ٨] الآية.

وعبر عنها في (الأعراف) بالأمم في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ﴾ الآية [الأعراف: ٣٨].

وقال في فصلت: ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ﴾ الآية [فصلت: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُواْ ٱلنَّارِ ۝٥٩﴾ [ص: ٥٩].

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧١].

لم يبيِّن جل وعلا هنا عدد أبوابها المذكورة ولكنه بيِّن ذلك في سورة الحجر في قوله: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٤٣ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ۝٤٤﴾ [الحجر: ٤٣ ـ ٤٤].

وقال في موضع آخر عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۝٦٨﴾ [مريم: ٦٨].

لما أقام الله جل وعلا البرهان على البعث بقوله: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ۝٦٧﴾ [مريم: ٦٧]. أقسم جل وعلا بنفسه الكريمة أنه يحشرهم أي الكافرين المنكرين للبعث وغيرهم من الناس ويحشرهم معهم

(١) أخرجه البخاري (٤٧٦٠ ـ ٦٥٢٣) مسلم (٢٨٠٦) عبد الباقي.

الشياطين الذي كانوا يضلونهم في الدنيا، وأنه يحضرهم حول جهنم جثياً، وهذان الأمران اللذان ذكرهما في هذه الآية الكريمة أشار إليهما في غير هذا الموضع، أما حشره لهم ولشياطينهم فقد أشار إليه في قوله: ﴿۞ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾ [الصافات: ٢٢ ـ ٢٣] على أحد التفسيرات.

وقوله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ ﴿٣٨﴾﴾ [الزخرف: ٣٨] وأما إحضارهم حول جهنم جثياً فقد أشار له في قوله: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗۚ كُلُّ أُمَّةٖ تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الجاثية: ٢٨]. والجاثي: إذا جلس على ركبتيه أو قام على أطراف أصابعه والعادة عند العرب أنهم إذا كانوا في موقف ضنك وأمر شديد جثوا على ركبهم.

أما صفة حشر هذا الصنف فقد تعددت الآيات في بيانه:

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴿٣٤﴾﴾ [الفرقان: ٣٤].

قال العلامة الشنقيطي في تفسيره[1] لهذه الآية:

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن الكفار يحشرون على وجوههم إلى جهنم يوم القيامة وأنهم شر مكاناً وأضل سبيلاً، وبيَّن في مواضع أخر أنهم تكب وجوههم في النار ويسحبون على وجوههم فيها كقوله تعالى: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ﴾ الآية [النمل: ٩٠].

وقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ﴾ الآية [الأحزاب: ٦٦].

وقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾ [القمر: ٤٨].

وبيَّن جل وعلا في سورة بني إسرائيل أنهم يحشرون على وجوههم وزاد مع ذلك أنهم يحشرون عمياً وبكماً وصماً، وذكر في سورة طه أن الكافر يحشر أعمى.

---

(١) أضواء البيان (٦/ ٣٢٢).

قال في سورة بني إسرائيل: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا﴾ الآية ٩٧.

وقال في سورة طه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٤ ـ ١٢٦].

وقال في كتابه دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب: ص ١٨٧ قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ﴾ الآية [الإسراء: ٩٧].

هذه الآية الكريمة يدل ظاهرها على أن الكفار يبعثون يوم القيامة عمياً وبكماً وصماً.

وقد جاءت آيات أخر تدل على خلاف ذلك.

كقوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ﴾ [مريم: ٣٨].

وكقوله: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ [الكهف: ٥٣].

وكقوله: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَـٰلِحًا﴾ الآية [السجدة: ١٢].

والجواب عن هذا من أوجه:

الوجه الأول: هو ما استظهره أبو حيان من كون المراد مما ذكر حقيقته ويكون ذلك في مبدأ الأمر، ثم يرد الله تعالى إليهم أبصارهم ونطقهم وسمعهم فيرون النار ويسمعون زفيرها وينطقون بما حكى الله تعالى عنهم في غير موضع.

الوجه الثاني: إنهم لا يرون شيئاً يسرهم ولا يسمعون كذلك ولا ينطقون بحجة كما أنهم كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ولا يسمعونه.

وأخرج ذلك ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس، وروي أيضاً عن الحسن كما ذكره الألوسي في تفسيره فنزل ما يقولونه ويسمعونه ويبصرونه منزلة العدم، لعدم الانتفاع به كما تقدم نظيره.

الوجه الثالث: أن الله إذا قال لهم اخسأوا فيها ولا تكلمون وقع بهم ذاك العمى والصم والبكم من شدة الكرب واليأس من الفرج قال تعالى: ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [النمل: ٨٥].

وعلى هذا القول تكون الأحوال الثلاثة مقدرة. . . اهـ.

ثم يبيِّن الله تعالى في سورة الطور مشهد دفع الكفار بقوة وعنف إلى نار جهنم.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الطور: ١٣ ـ ١٤].

يقول العلامة الشنقيطي في تفسيره (٧/ ٦٨٤):

الدع: في لغة العرب: الدفع بقوة وعنف ومنه قوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾﴾ [الماعون: ٢] أي يدفعه عن حقه بقوة وعنف وقد تضمنت هذه الآية الكريمة أمرين:

أحدهما: أن الكفار يدفعون إلى النار بقوة وعنف يوم القيامة.

والثاني: أنهم يقال لهم يوم القيامة توبيخاً وتقريعاً ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾﴾.

وهذان الأمران المذكوران في هذه الآية الكريمة جاءا موضحين في آيات أخر، أما الأخير منهما وهو كونهم يقال لهم: ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾﴾.

وقد ذكره تعالى في آيات من كتابه كقوله في السجدة: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ . . .﴾ [السجدة: ٢٠].

وقوله في سبأ: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [سبأ: ٤٢].

وقوله تعالى في المرسلات: ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ

﴿ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ۝٣٠ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ۝٣١ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ۝٣٢﴾ [المرسلات: ٢٩ ـ ٣٢].

إلى غير ذلك من الآيات.

وأما الأول منهما وهو كونهم يدفعون إلى النار بقوة فقد ذكره الله جل وعلا في آيات من كتابه كقوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ۝٤٧﴾ [الدخان: ٤٧] أي جروه بقوة وعنف إلى وسط النار.

والعتل في لغة العرب: الجر بعنف وقوة.

وقوله تعالى: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ۝٤١﴾ [الرحمن: ٤١].

أي: تجمع الزبانية بين ناصية الواحد منهم أي مقدم شعر رأسه وقدمه ثم تدفعه في النار بقوة وشدة.

وقد بيَّن جل وعلا أنهم أيضاً يسحبون في النار على وجوههم في آياته من كتابه:

كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨﴾ [القمر: ٤٨].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٧٠ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ۝٧١ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ۝٧٢﴾ [غافر: ٧٠ ـ ٧٢] اهـ مختصراً[1].

٦ ـ حشر البهائم والقصاص بينها:

قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ۝٣٨﴾ [الأنعام: ٣٨].

---

(١) انظر دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب للعلامة الشنقيطي (سورة النمل) ص (٢٢٧).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾ [التكوير: ٥].

- عن أبي هريرة مرفوعاً «**يقضي الله بين خلقه الجن والإنس والبهائم وإنه ليقيد يومئذ الجماء من القرناء حتى إذا لم يبق تبعة عند واحدة الأخرى قال الله: كونوا تراباً فعند ذلك يقول الكافر** ﴿يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًا﴾[(١)]» [النبأ: ٤٠].

- عن أبي هريرة قال: إن الله يحشر الخلق كلهم كل دابة وطائر وإنسان يقول للبهائم والطير كونوا تراباً فعند ذلك يقول الكافر: ﴿يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًا﴾[(٢)] [النبأ: ٤٠].

- عن عبد الله بن عمرو قال: (إذا كان يوم القيامة مد الأديم وحشر الدواب والبهائم والوحش ثم يحصل القصاص بين الدواب يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء نطحتها فإذا فرغ من القصاص بين الدواب قال لها كوني تراباً). قال: فعند ذلك يقول الكافر: ﴿يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًا﴾[(٣)] [النبأ: ٤٠].

- عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**يقتص الخلق بعضهم من بعض حتى الجماء من القرناء وحتى الذرة من الذرة**»[(٤)].

- عن أبي هريرة مرفوعاً (**لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء**)[(٥)].

- عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ: **كان جالساً وشاتان تقترنان فنطحت إحداهما الأخرى فأجهضتها قال: فضحك رسول الله ﷺ فقيل له: ما يضحكك يا رسول الله قال: «عجبت لها والذي نفسي بيده ليقادن لها يوم القيامة»**[(٦)]. وفي

---

(١) صحيح لغيره. أخرجه ابن جرير في التفسير وانظر الصحيحة للشيخ الألباني (١٩٦٦). وهو في حكم المرفوع لأنه لا يقال من قبل الرأي.

(٢) صحيح. أخرجه ابن جرير وانظر الصحيحة (١٩٦٦).

(٣) انظر المصدر السابق. ومعنى الشاة الجماء أو الجلحاء: هي التي لم تكن ذات قرن. والقرناء: الشاة الكبيرة القرن.

(٤) إسناده صحيح. رواه أحمد وانظر الصحيحة للشيخ الألباني (١٩٦٧).

(٥) أخرجه مسلم (٦٤٥٧) نووي. قلعجي، (٢٥٨٢) عبد الباقي.

(٦) صحيح لغيره. رواه أحمد (٥/ ١٧٣) وانظر الصحيحة للشيخ الألباني (٤/ ٦١٠).

رواية (يا أبا ذر هل تدري فيم تنتطحان؟ قال: لا. قال: لكن الله يدري وسيقضي بينهما)[1].

قال النووي في شرح مسلم:

هذا تصريح بحشر البهائم يوم القيامة وإعادتها يوم القيامة كما يعاد أهل التكليف من الآدميين وكما يعاد الأطفال والمجانين ومن لم تبلغه دعوة وعلى هذا تظاهرت دلائل القرآن والسنة. قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾ [التكوير: ٥].

ولم يمنع من إجرائه على ظاهره عقل ولا شرع وجب حمله على ظاهره. قال العلماء: وليس من شرط الحشر والإعادة في القيامة المجازاة والعقاب والثواب، وأما القصاص من القرناء للجلحاء فليس هو من قصاص التكليف، إذ لا تكليف عليها بل هو قصاص مقابلة (والجلحاء) بالمد هي الجماء التي لا قرن لها. والله أعلم.

وقال الشيخ الألباني في الصحيحة (٤/ ٦١٣):

وبالجملة فالقول بحشر البهائم والاقتصاص لبعضها من بعض هو الصواب الذي لا يجوز غيره.. اهـ.

اعلم رحمك الله أنك محشور ولست وحدك تحشر بل معك المخلوقات من جن وحيوانات حتى الوحوش تحشر. قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾ [التكوير: ٥] فهذه الوحوش النافرة قد هالها الرعب والهول فحشرت وانزوت تتجمع من الهول وهي الشاردة في الشعاب ونسيت مخاوفها بعضها من بعض كما نسيت فرائسها ومضت هائمة على وجوهها لا تأوي إلى جحورها أو بيوتها كما هي عادتها ولا تنطلق وراء فرائسها كما هو شأنها، فالهول والرعب لا يدعان لهذه الوحوش بقية من طباعها وخصائصها فكيف بالناس في ذلك الهول العصيب. ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وبعد ذلك الحشر نعود إلى المبحث الأول وهو: سؤال الله للملائكة.

---

(١) إسناده صحيح. أخرجه أحمد (٥/ ١٦٢) وراجع الصحيحة (٤/ ٦١٠).

المبحث الأول
سؤال الله تعالى للملائكة في أرض المحشر

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول
سؤال الله تعالى للملائكة عن عبادة الناس لهم من دون الله

بعد هذا الحشر العام يأتي سؤال الله للملائكة ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ: ٤٠ ـ ٤١].

يخبر الله تعالى أنه يقرع المشركين يوم القيامة على رؤوس الخلائق فيسأل الملائكة الذين كان المشركون يزعمون أنهم يعبدون الأنداد التي هي على صور الملائكة ليقربوهم إلى الله زلفى فيقول للملائكة: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ﴾ أي أنتم أمرتم هؤلاء بعبادتكم؟ فتتبرأ الملائكة من ذلك وينزهون الله تعالى عن الشرك فيقولون سبحانك أي تنزيهاً لك عن الشرك وتقديساً ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ﴾ أما هم فلا ولاية بيننا وبينهم ونحن نتبرأ إليك منهم.

﴿بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ﴾.

يعنون الشياطين لأنهم هم الذين يزينون لهم عبادة الأوثان ويضلونهم:

﴿أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ قال الطبري: أي أكثرهم بالجن مصدقون يزعمون أنهم بنات الله. تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

قال تعالى رداً على مزاعم المشركين ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [سبأ: ٤٢] أي ففي هذا اليوم ـ يوم الحساب ـ لا ينفع العابدون ولا المعبودون بعضهم لبعض ولا بشفاعة ولا نجاة ولا بدفع عذاب وهلاك.

قال أبو السعود: يخاطبون بذلك على رؤوس الأشهاد إظهاراً لعجزهم وقصورهم عن نفع عابديهم، وإظهاراً لخيبة رجائهم بالكلية، ونسبة عدم النفع والضر إلى البعض للمبالغة في المقصود كأن نفع الملائكة لعبدتهم في الاستحالة كنفع العبدة لهم: ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي ونقول للظالمين الذين عبدوا غير الله ﴿ذُوقُوا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ أي ذوقوا عذاب جهنم التي كذبتم بها في الدنيا فها قد وردتموها[1].

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾﴾ ﴿قَالُوا سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الفرقان: ١٧ ـ ١٨].

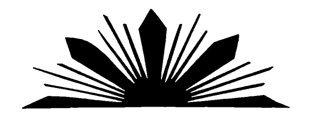
قال الشوكاني في فتح القدير:

قال مجاهد وابن جريج: المراد الملائكة والإنس والجن والمسيح وعزير بدليل خطابهم وجوابهم فيما بعد والاستفهام في قوله: ﴿ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ﴾ للتوبيخ والتقريع والمعنى أكان ضلالهم بسببكم وبدعوتكم لهم إلى عبادتكم أم هم ضلوا عن سبيل الحق بأنفسهم لعدم التفكر فيما يستدل به على الحق والتدبر فيما يتوصل به إلى الصواب. وجملة قالوا ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ مستأنفة جواب سؤال مقدر ومعنى سبحانك: التعجب مما قيل لهم لكونهم ملائكة أو أنبياء معصومين أو جمادات لا تعقل أي تنزيهاً لك ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾. أي ما صح ولا استقام

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ـ أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري ـ صفوة التفاسير للصابوني.

لنا أن نتخذ من دونك أولياء، فكيف ندعو عبادك إلى عبادتنا نحن مع كوننا لا نعبد غيرك انتهى مختصراً.



المطلب الثاني
سؤال الله تعالى للملائكة عن صنف من الناس
يحملون على ظهورهم أمثال الجبال الراسيات ذنوباً وهو أعلم بهم

ـ عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «تحشر هذه الأمة على ثلاثة أصناف: صنف يدخلون الجنة بغير حساب وصنف يحاسبون حساباً يسيراً ثم يدخلون الجنة وصنف يجيئون على ظهورهم أمثال الجبال الراسيات ذنوباً فيسأل الله عنهم وهو أعلم بهم فيقول ما هؤلاء؟ فيقولون: هؤلاء عبيد من عبادك فيقول: حطوها عنهم واجعلوها على اليهود والنصارى وادخلوهم برحمتي الجنة»[1].

وفي الحديث: الحث على العمل الصالح في الدنيا:

وفيه الإيمان بالحساب. وفيه تنزيه الله تعالى عن الظلم.

وفيه الترهيب من اقتراف الذنوب حتى لو كانت صغيرة في نظر العبد فقد تكون عظيمة عند الله فيخسر بها الدنيا والآخرة كالكلمة لا يلقى لها بالاً.

وفيه إثبات صفة الكلام. وفيه رحمة الله بعباده الموحدين وشدة غضبه وعقابه على المشركين واليهود والنصارى.

---

(١) حسن. أخرجه الحاكم (١/٥٨) وصححه ووافقه الذهبي.

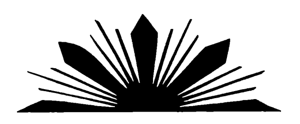
المطلب الثالث
سؤال الله تعالى لإسرافيل وجبريل عن تبليغ العهد:

ذكر ابن كثير في النهاية في الفتن والملاحم (٢/ ٢١٣) حديثاً رواه ابن أبي الدنيا ونصه ما يلي:

قال ابن أبي الدنيا: أخبرنا ابن المبارك، أخبرنا رشدين بن سعد، أخبرنا ابن أرقم المغافري، عن جبلان بن أبي جبلة، بسنده إلى النبي ﷺ قال: «**إذا جمع الله عباده يوم القيامة، كان أول من يدعى إسرافيل، فيقول له ربه: ما فعلت في عهدي؟ هل بلغت عهدي؟ فيقول: نعم قد بلغت، فيخلي عن إسرافيل، ويقال لجبريل: هل بلغت عهدي؟ فيقول: نعم قد بلغت الرسل، فيقول الله عز وجل لهم: هل بلغكم جبريل عهدي؟ فيقولون: نعم، فيخلي عن جبريل، ويقال للرسل: ما فعلتم في عهدي؟ فيقولون: بلغنا أممنا، فتدعى الأمم فيقال لهم: هل بلغكم الرسل عهدي؟ فيقولون: بلغناهم فمنهم المكذب ومنهم المصدق، وإن لنا عليهم شهداء يشهدون أن قد بلغنا مع شهادتك، فيقول: من يشهد لكم؟ فيقولون: أمة محمد، فتدعى أمة محمد فيقول الله تعالى لهم: أتشهدون أن رسلي هؤلاء قد بلغوا عهدي إلى من أرسلوا إليهم؟ فيقولون: نعم يا ربنا شهدنا أن قد بلغوا. فتقول تلك الأمم: كيف يشهد علينا من لم يدركنا؟ فيقول لهم الرب: كيف تشهدون على من لم تدركوا؟ فيقولون: ربنا بعثت إلينا رسولاً، وأنزلت إلينا عهدك وكتابك، وقصصت علينا أنهم قد بلغوا، فشهدنا بما عهدت إلينا فيقول الرب: صدقوا فذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ**

عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾ [البقرة: ١٤٣][1].

قال ابن أرقم: فبلغني أنه يشهد أمة أحمد إلا من كان في قلبه إحنة[2].



(١) مرسل بسند ضعيف. ولبعض فقرات الحديث شواهد صحيحة وأخرجه ابن المبارك في الزهد (١٢٠٢).

(٢) الإحنة: الحقد.

المبحث الثاني
سؤال الله تعالى للرسل عليهم الصلاة والسلام:

إن يوم القيامة عسير وثقيل: ثقيل بأحواله ثقيل بنتائجه فهناك موعد الرسل لعرض حصيلة الدعوة دعوة الله في الأرض طوال الأجيال، فالرسل قد أقتت لهذا اليوم وضرب لها الموعد هناك لتقديم الحساب الختامي عن ذلك الأمر العظيم الذي يرجح السموات والأرض والجبال للفصل في جميع القضايا المعلقة في الحياة الأرضية والقضاء بحكم الله فيها وإعلان الكلمة الأخيرة التي تنتهي إليها الأجيال والقرون ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾﴾ [المرسلات: ١١].

إنه مجلس الفصل بمحضر الرسل فويل يومئذ للمكذبين إنه إنذار من العزيز الجبار فاليوم نجمع الحصيلة ويضم الشتات ويقدم الرسل حساب الرسالات(١).

قال تعالى: ﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾ [المائدة: ١٠٩] ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأعراف: ٦]. إنه الاستجواب المرهوب في يوم الحشر العظيم على مشهد من الملأ الأعلى وعلى مشهد من الناس أجمعين.

الاستجواب الذي يراد به المواجهة.. مواجهة البشرية برسلها ومواجهة المكذبين من هذه البشرية خاصة برسلهم الذين كانوا يكذبونهم. ليعلن في

---

(١) انظر اليوم الآخر في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب ـ رحمه الله ـ جمع أحمد فايز ص (١٨٢).

موقف الإعلان أن هؤلاء الرسل الكرام إنما جاءوهم من عند الله بدين الله وها هم أولاء مسؤولون بين يديه - سبحانه - عن رسالاتهم وعن أقوامهم الذين كانوا من قبل يكذبون. أما الرسل فهم يعلنون أن العلم الحق لله وحده وأن ما لديهم من علم لا ينبغي أن يدلوا به في حضرة صاحب العلم تأدباً وحياءً ومعرفة بقدرهم في حضرة الله.

﴿قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾.

ثم يلتفت الخطاب إلى عيسى ابن مريم - على الملأ ممن ألهوه وعبدوه وصاغوا حوله وحول أمه - مريم - التهاويل... فكان هذا الاستجواب لعيسى عليه الصلاة والسلام في مواجهة الذين عبدوه ليسمعوه وهو يتبرأ إلى ربه في دهش وفزع من هذه الكبيرة التي افتروها عليه وهو منها بريء قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة: ١١٦ - ١١٨].

وإن الله سبحانه ليعلم ماذا قال عيسى للناس، ولكنه الاستجواب الهائل الرهيب في اليوم العظيم المرهوب. الاستجواب الذي يقصد به إلى غير المسؤول ولكن في صورته هذه وفي الإجابة عليه ما يزيد من بشاعة موقف المؤلهين لهذا العبد الصالح الكريم. إنها الكبيرة التي لا يطيق بشر عادي أن يقذف بها أن يدعي الألوهية وهو يعلم أنه عبد.. فكيف برسول من أولي العزم؟

كيف بعيسى بن مريم وقد أسلف الله له هذه النعم كلها بعدما اصطفاه بالرسالة وقبل ما اصطفاه بالرسالة وقبل ما اصطفاه؟ كيف به يواجه استجواباً عن ادعاء الألوهية وهو العبد الصالح المستقيم؟ من أجل ذلك كان الجواب الواجف الراجف الخاشع المنيب يبدأ بالتسبيح والتنزيه (قال: سبحانك) وتشير

الآيات إلى توبيخ النصارى في عرصات القيامة على تأليه عيسى ووالدته عليهما السلام، وتشير أيضاً إلى براءة عيسى عليه السلام من مشركي النصارى وأهل الكتاب. وتعذيب المشركين وتنعيم الموحدين قائم على مبدأ الحكمة الإلهية، وإذا كان الرسل الكرام على جلال قدرهم سيسألون يوم القيامة عما حصل لهم في تبليغ دعوة الله وعما أجابتهم به الأمم فما بالك بالخلائق وأفراد البشر؟ هل سيتركون من السؤال والحساب؟ أم أنهم سيرون يوماً عصيباً تطيش له الأحلام؟

ـ عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**اقرأ عليّ قال: قلت: اقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: إنِّي أشتهي أن أسمعه من غيري قال: فقرأت النساء حتى إذا بلغت: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾**[١]».

قال لي: **(كف أو أمسك فرأيت عينيه تذرفان)**[٢].

قال الحافظ ابن حجر في الفتح:

قال ابن بطال: إنما بكى ﷺ عند تلاوته هذه الآية لأنه مثل لنفسه أهوال يوم القيامة وشدة الحال الداعية له إلى شهادته لأمته بالتصديق وسؤاله الشفاعة لأهل الموقف وهو أمر يحق له طول البكاء. . . اهـ.

والذي يظهر أنه بكى رحمة لأمته لأنه علم أنه لا بد أن يشهد عليهم بعملهم، وعملهم قد لا يكون مستقيماً، فقد يفضي إلى تعذيبهم ـ والله أعلم.

ويقول ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسيره:

وقوله: **﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾** [النساء: ٤١].

يقول تعالى مخبراً عن هول يوم القيامة وشدة أمره وشأنه، فكيف يكون

---

(١) النساء: (٤١).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٥٥)، ومسلم (٨٠٠) عبد الباقي.

الأمر والحال يوم القيامة وحين يجيء من كل أمة بشهيد يعني الأنبياء عليهم السلام. كما قال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ . . .﴾ الآية [الزمر: ٦٩].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [النحل: ٨٩].

قوله تعالى: ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ قال ابن عباس يشهدون على الأمم بأنهم بلغوهم رسالات الله إليهم ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ أي الشهداء من الملائكة الحفظة على أعمال العباد من خير وشر. . . اهـ.

ـ عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**يدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب فيقول: هل بلغت؟ فيقول نعم فيقال لأمته هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير فيقول: من يشهد لك؟ فيقول محمد وأمته فيشهدون أنه قد بلغ ويكون الرسول عليكم شهيداً فذلك قوله جل ذكره:** ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[1] الآية [البقرة: ١٤٣]».

ـ عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**يجيء النبي ومعه الرجلان ويجيء النبي ومعه الثلاثة وأكثر من ذلك وأقل: فيقال له هل بلغت قومك؟ فيقول: نعم فيدعي قومه فيقال: هل بلغكم؟ فيقولان: لا فيقال من شهد لك؟ فيقول: محمد وأمته. فتدعى أمة محمد فيقال: هل بلغ هذا؟ فيقولون نعم. فيقول: وما علمكم بذلك؟ فيقولون: أخبرنا نبينا بذلك أن الرسل قد بلغوا فصدقناه. قال: فذلكم قوله تعالى:** ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[2] [البقرة: ١٤٣]».

ـ عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: **أتيت النبي ﷺ حين أتيته فقلت:**

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٨٧ ـ ٧٣٤٩).

(٢) صحيح. رواه ابن ماجه (٤٢٨٤) وانظر الصحيحة للشيخ الألباني (٢٤٤٨).

والله ما أتيتك حتى حلفت أكثر من عدد أولاء أن لا آتيك ولا آتي دينك وجمع بهز بين كفيه وقد جئت امرأ لا أعقل شيئاً إلا ما علمني الله تبارك وتعالى ورسوله، وإني أسألك بوجه الله بم بعثك الله إلينا قال بالإسلام قلت: وما آيات الإسلام قال: أن تقول أسلمت وجهي لله وتخليت وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة كل مسلم على مسلم محرم أخوان نصيران لا يقبل الله من مشرك أشرك بعدما أسلم عملاً وتفارق المشركين إلى المسلمين، ما لي أمسك بحجزكم عن النار إلا أن ربي عز وجل داعي وأنه سائلي هل بلغت عبادي وإني قائل رب إني قد بلغتهم فليبلغ الشاهد منكم الغائب ثم إنكم مدعوُّون مفدمة أفواهكم بالفدام ثم إن أول ما يبين عن أحدكم لفخذه وكفه قلت: يا نبي الله هذا ديننا قال: هذا دينكم وأينما تحسن يكفك)[1].

وقال البغوي في تفسيره (١/ ١٥٩):

قوله تعالى: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ يوم القيامة أن الرسل قد بلغتهم. قال ابن جريج: قلت لعطاء ما معنى قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس؟ قال: أمة محمد ﷺ شهداء على من يترك الحق من الناس أجمعين ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ﴾ محمد ﷺ ﴿عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ معدلاً مزكياً لكم، وذلك أن الله تعالى يجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد ثم يقول لكفار الأمم الماضية ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾[2] فينكرون ويقولون ما جاءنا من بشير ولا نذير فيسأل الله تعالى الأنبياء عليهم السلام عن ذلك فيقولون: كذبوا قد بلغناهم فيسألهم البينة ـ وهو أعلم بهم ـ إقامة للحجة فيؤتى بأمة محمد ﷺ فيشهدون لهم أنهم قد بلغوا فتقول الأمم الماضية: من أين علموا وإنما أتوا بعدنا؟ فيسأل هذه الأمة فيقولون: أرسلت إلينا رسولاً وأنزلت عليه كتاباً أخبرتنا فيه تبليغ الرسل وأنت صادق فيما أخبرت، ثم يؤتى بمحمد ﷺ فيسأل عن حال أمته فيزكيهم ويشهد بصدقهم. انتهى.

---

(١) حسن. أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٤، ٥) ومعنى الفدام: ما يوضع على الفم سداداً له.

(٢) الملك: (٨).

المبحث الثالث
سؤال الله تعالى للأمم
وأول أمة تحاسب هي أمة محمد ﷺ:

قال تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦﴾ [الأعراف: ٦].

قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٩٣﴾ [الحجر: ٩٢ ـ ٩٣].

يخبر الله تعالى أنه إذا جمع الخلائق لفصل القضاء مؤكداً الخبر بالقسم أنه يسأل كل أمة أو جماعة أو فرد أرسل إليهم رسله يسألهم عن مدى إجابتهم دعوة رسله إليهم، فهل آمنوا بما جاءتهم به الرسل وأطاعوهم فيما بلغوهم من التوحيد والعبادة والطاعة والانقياد.

ثم يقضي تعالى على الجميع بعلمه كل ما كان منهم من ظاهر الأعمال وباطنها ولا يستطيعون إخفاء شيء أبداً، ولم يكن سؤاله لهم أولاً إلا من باب إقامة الحجة وإظهار عدالته سبحانه وتعالى فيهم ولتوبيخ من يستحق التوبيخ منهم، يقول ابن مسعود: والذي لا إله غيره ما منكم من أحد إلا سيخلوا الله به يوم القيامة كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر فيقول ابن آدم ماذا غرك مني بي؟ ابن آدم ماذا عملت فيما علمت؟ ابن آدم ماذا أجبت المرسلين[١].

---

(١) تفسير الطبري (١٤/٤٦).

ـ وعن أبي العالية قال: يسأل العباد كلهم عن خلتين يوم القيامة: عما كانوا يعبدون وماذا أجابوا المرسلين.

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [القصص: ٦٥ ـ ٦٦].

وإن الله ليعلم ماذا أجابوا المرسلين ولكنه كذلك سؤال التأنيب والترذيل وأنهم ليواجهون السؤال بالذهول والصمت. ذهول المكروب وصمت الذي لا يجد ما يقول. ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾.

والتعبير يلقي ظل العمى على المشهد والحركة. وكأنما الأنباء عمياء لا تصل إليهم وهم لا يعلمون شيئاً عن أي شيء ولا يملكون سؤالاً ولا جواباً، وهم في ذهولهم صامتون ساكتون.

وقوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصافات: ٢٤]. أي قفوهم حتى يسألوا عن أعمالهم وأقوالهم التي صدرت عنهم في الدار الدنيا. كما قال الضحاك عن ابن عباس: يعني احبسوهم إنهم محاسبون.

ثم بعد ذلك مشهد الأمم وهي جاثية على ركبها. ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الجاثية: ٢٨].

تأمل هذه الآيات وهي تصف حال الأمم وهم مجموعون في ساحة العرض الهائلة، وقد تجمعت فيها الأجيال الحاشدة التي عمرت هذه الأرض في عمرها الطويل القصير وقد جثوا على ركب متميزين أمة أمة في ارتقاب الحساب المرهوب. وهو مشهد مرهوب بزحامه الهائل يوم تتجمع الأجيال كلها في صعيد واحد. ومرهوب بهيئته والكل جاثون على الركب، ومرهوب بما وراءه من حساب، ومرهوب قبل كل شيء بالوقفة أمام الجبار القاهر والمنعم المتفضل الذي لم تشكر أنعمه ولم تعرف أفضاله من أكثر هؤلاء الواقفين ثم يقال للجموع الجاثية المتطلعة إلى كل لحظة بريق جاف ونفس مخنوق. يقال لها ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

وقوله: ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٨].

قال ابن الجوزي في زاد المسير:

قوله: ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه كتابها الذي فيه حسناتها وسيئاتها قاله أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: أنه حسابها. قاله الشعبي والفراء وابن قتيبة.

والثالث: كتابها الذي أنزل على رسوله حكاه الماوردي. انتهى.

ثم بعد ذلك ينادي مناد لتقسيم هذه الأمم على حسب ما كانوا يعبدون، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح.

- عن أبي سعيد الخدري قال: **(قلنا يا رسول الله: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحواً؟ قلنا لا. قال: فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما ثم قال: ينادي منادٍ ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم وأصحاب الأوثان مع أوثانهم وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر وغُبَراتٌ من أهل الكتاب ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها سراب فيقال لليهود: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزيراً ابن الله فيقال: كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد فما تريدون قالوا: نريد أن تسقينا فيقال: اشربوا فيتساقطون في جهنم، ثم يقال للنصارى ما كنتم تعبدون؟ فيقولون كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولدٌ، فما تريدون فيقولون نريدُ أن تسقينا، فيقال اشربوا فيتساقطون حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر فيقال لهم: ما يحبسكم وقد ذهب الناس فيقولون: فارقناهم ونحن أحوج منا إليه اليوم، وإنا سمعنا منادياً ينادي ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون وإنما ننتظر ربنا... الحديث)**[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣) عبد الباقي.

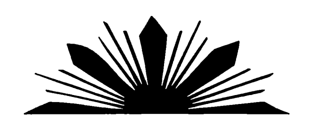
- عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**وعدني ربي عز وجل أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفاً وثلاث حثيات من حثيات ربي عز وجل**»[1].

وفي هذا اليوم يكرم الله جل ثناؤه النبي ﷺ ومن اتبعه من المؤمنين منهم، وإن كانوا آخر الأمم إلا أن الله سبحانه يجعلهم أول من يحشر وأول من يحاسب وأول من يدخل الجنة.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**نحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة بَيْدَ**[2] **أن كل أمة أوتيت الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم ثم هذا اليوم**[3] **الذي كتبه الله علينا هدانا الله له والناس لنا فيه تبع اليهود غداً والنصارى بعد غد**»[4].

وفي رواية عن أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما: (**نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق**)[5].

- عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**نحن آخر الأمم وأول من يحاسب يقال أين الأمة الأمية وبنيها؟ فنحن الآخرون الأولون**»[6].



---

(١) صحيح. أخرجه أحمد في المسند (٥/٢٦٨)، والترمذي وغيرهما. وانظر صحيح الجامع للشيخ الألباني (٧١١١).

(٢) بَيْدَ: غير.

(٣) يوم الجمعة.

(٤) أخرجه البخاري (٧٠٣٦) ومسلم واللفظ له (١٩٤٥) النووي، قلعجي، (٨٥٥) عبد الباقي.

(٥) أخرجه مسلم (١٩٤٩) النووي. قلعجي، (٨٥٦) عبد الباقي.

(٦) صحيح. أخرجه ابن ماجه (٤٢٩٠) وانظر الصحيحة للشيخ الألباني (٢٣٧٤).

المبحث الرابع
سؤال الله تعالى للإنس والجن عن الرسل والنُّذُر:

قال تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ١٣٠﴾ [الأنعام: ١٣٠] وهو سؤال للتقرير والتسجيل والتقريع لهم يوم القيامة، فالله سبحانه يعلم ما كان من أمرهم في الحياة الدنيا والجواب عليه إقرار منهم باستحقاقهم هذا الجزاء في الآخرة. والسؤال موجه إلى الجن كما هو موجه إلى الإنس.

وقال ابن عباس: الرسل من بني آدم ومن الجن نُذُر وعلى أية حال فقد أدرك المسؤولون من الجن والإنس أن السؤال ليس على وجهه، إنما هو سؤال للتقرير والتسجيل كما أنه للتأنيب والتوبيخ. فأخذوا في الاعتراف الكامل وسجلوا على أنفسهم استحقاقهم لما هم فيه. فكانت إجابتهم ﴿شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ﴾ أي أقررنا أن الرسل قد بلغونا رسالاتك وأنذرونا لقاءك وأن هذا اليوم كائن لا محالة. ﴿وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ...﴾ وهو تعقيب لتقرير حقيقة حالهم في الدنيا فقد غرتهم هذه الحياة وقادهم الغرور إلى الكفر ثم ها هم أولاء يشهدون على أنفسهم به حيث لا تجدي المكابرة والإنكار.

فأي مصير أبأس من أن يجد الإنسان نفسه في هذا المأزق الذي لا يملك أن يدفع عن نفسه فيه ولا بكلمة الإنكار وبكلمة الدفاع. فهذا ما حكاه الله تعالى من جوابهم عن السؤال عندما يؤذن لهم في بعض مواقف

القيامة بالكلام وثم مواقف أخرى لا ينطقون فيها ولا يؤذن لهم فيعتذرون. ومواقف يكذبون فيها على أنفسهم بما ينكرون من كفرهم وأعمالهم.

والسبب في هذا المصير الأليم هو غرورهم بالحياة الدنيا الذي قادهم إلى الكفر، فقد غرهم متاع الحياة الدنيا من الشهوات والمال والجاه وحب الرياسة والسلطان على الناس ورأوا من دعوة الرسل في عصرهم أن اتباعهم إياهم يجعل الرئيس منهم مرؤوساً ومساوياً لضعفاء المؤمنين في جميع الحقوق والمعاملات، وقد يكرمون عليه بما يفضلونه به من التقوى وصالح الأعمال وكذلك حال من على مقربة من الرؤساء والزعماء بشجاعتهم أو ثروتهم أو عصبيتهم، فهؤلاء كانوا يكفرون بالرسل كفر كبر وعناد يقلدهم فيه كثير من أتباعهم تقليداً فيغتر كل منهم بما يعتز به من التعاون مع الآخر.

وأما غرور هذه الأعصار بالدنيا المانع لهم من اتباع الرسل فهو ما غلب عليهم من الإسراف في الشهوات المحرمة والجاه الباطل المذمومين في كل دين، وقد زالت من أكثر البلاد والحكومات الدينية التي كان أهل الدين يعتزون بها، وحل محلها حكومات مادية لا يرتقى فيها ولا ينال الحظوة عند أهلها من يتبع الرسل.

وقد مضى قبل هذا السؤال الإخبار باستكثار الجن من الإنس، واستمتاع بعضهم ببعض فقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأنعام: ١٢٨].

قال الشوكاني في تفسير الآية:

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ أي جميع الخلائق يوم القيامة نقول: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ﴾ والمعشر الجماعة أي يوم الحشر نقول يا جماعة الجن ﴿قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ أي من الاستمتاع بهم كقوله ﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ وقيل استكثرتم من إغوائهم وإضلالهم حتى صاروا في حكم الأتباع لكم فحشرناهم معكم ومثله قولهم استكثر الأمير من الجنود، والمراد التقريع والتوبيخ وعلى

الأول فالمراد بالاستمتاع التلذذ من الجن بطاعة الإنس لهم ودخولهم فيما يريدون منهم: ﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ أما استمتاع الجن بالإنس فهو ما تقدم من تلذذهم باتباعهم لهم، وأما استمتاع الإنس بالجن فحيث قبلوا منهم تحسين المعاصي فوقعوا فيها وتلذذوا بها فذلك هو استمتاعهم بالجن. وقيل استمتاع الإنس بالجن أنه كان إذا مر الرجل بواد في سفره وخاف على نفسه قال: أعوذ برب هذا الوادي من جميع ما أحذر يعني ربه من الجن ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ [الجن: ٦] وقيل: استمتاع الجن بالإنس أنهم كانوا يصدقونهم فيما يقولون من الأخبار الغيبية الباطلة واستمتاع الإنس بالجن أنهم كانوا يتلذذون بما يلقونه إليهم من الأكاذيب، وينالون بذلك شيئاً من حظوظ الدنيا كالكهان ﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾ أي يوم القيامة اعترافاً منهم بالوصول إلى ما وعدهم الله به مما كانوا يكذبون به، ولما قالوا هذه المقالة أجاب الله عليهم فـ ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾. أي موضع مقامكم... انتهى.

وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في حادي الأرواح [ص **٢٨٩ ـ ٢٩٠**]:
وفي قوله ﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ...﴾ الآية.

نوع اعتراف واستسلام وتحسر أي استمتع الجن بنا واستمتعنا بهم فاشتركنا في الشرك ودواعيه وأسبابه، وآثرنا الاستمتاع على طاعتك وطاعة رسلك وانقضت آجالنا وذهبت أعمارنا في ذلك ولم نكتسب فيها رضاك، وإنما كان غاية أمرنا في مدة آجالنا استمتاع بعضنا ببعض فتأمل ما في هذا من الاعتراف بحقيقة ما هم عليه وكيف بدت لهم تلك الحقيقة ذلك اليوم وعلموا أن الذي كانوا فيه في مدة آجالهم هو حظهم من استمتاع بعضهم ببعض، ولم يستمتعوا بعبادة ربهم ومعرفته وتوحيده ومحبته وإيثار مرضاته وهذا على نمط قولهم: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠].

وقوله: ﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ﴾ [الملك: ١١].

وقوله: ﴿فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ﴾ [القصص: ٧٥].

المبحث الخامس
سؤال الله تعالى للفقراء والمساكين ماذا عملتم؟:

ـ عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «**تجتمعون يوم القيامة فيقال: أين فقراء هذه الأمة ومساكينها؟ قال: فيقومون، فيقال لهم: ماذا عملتم؟ فيقولون: ربنا ابتلينا فصبرنا وآتيت الأموال والسلطان غيرنا، فيقول الله: صدقتم، قال: فيدخلون الجنة قبل الناس ويبقى شدة الحساب على ذوي الأموال والسلطان. قالوا: فأين المؤمنون يومئذٍ؟ قال: يوضع لهم كراسيُّ من نور وتظلل عليهم الغمام يكون ذلك اليوم أقصر على المؤمنين من ساعة من نهار**»[(١)].

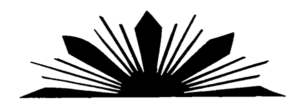
وفي الحديث:

١) فضل الفقير الصابر على فقره.

٢) الحذر من فتنة المال والسلطان.

٣) فضل المؤمنين يوم القيامة على سائر الناس.

٤) إثبات صفتي العدل والرحمة لله تعالى.



---

(١) إسناده حسن. أخرجه ابن حبان (٧٤١٩) وغيره. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٣٧) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير أبي كثير الزبيدي وهو ثقة.

المبحث السادس
سؤال الله تعالى للعبد: أظلمك كتبتي الحافظون؟

- عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله سيخلص[1] رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فَيَنْشُرُ[2] عليه تسعة وتسعين سجلاً[3] كل سجل مثل مد البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب فيقول: بلى أن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة[4] فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فيقول: أحضر وزنك فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فقال: إنك لا تظلم قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت[5] السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء»**[6].

ما يؤخذ من الحديث:

---

(١) سيخلص: أي سيميز ويختار.

(٢) ينشر: يفتح.

(٣) السجل: هو الكتاب الكبير.

(٤) البطاقة: الرقعة الصغيرة.

(٥) طاشت: أي خفت ورفعت.

(٦) صحيح. رواه الترمذي (٢٦٣٩) وابن ماجه (٤٣٠٠) بلفظ (يصاح برجل من أمتي..). وانظر السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني (١٣٥).

١) الإيمان بالبعث والنشور.

٢) الإيمان بالحشر يوم القيامة.

٣) إثبات العرض على الله يوم القيامة وتطاير الكتب وإثبات الحساب.

وسوف نتكلم على هذه الفقرة بشيء من التفصيل.

وتشمل ثلاثة مطالب:

الأول: العرض على الله يوم القيامة.

الثاني: صحف أعمال المكلفين.

الثالث: الحساب.

المطلب الأول
العرض على الله يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ [الكهف: ٤٨].

قال العلامة الشنقيطي في تفسيره (٤/ ١١٣):

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة. أن الخلائق يوم القيامة يعرضون على ربهم صفاً أي في حال كونهم مصطفين. قال بعض العلماء ﴿صَفًّا﴾ أي جميعاً. كقوله: ﴿ثُمَّ ٱئْتُواْ صَفًّاۚ﴾ [طه: ٦٤] على القول فيه بذلك.

وكقوله في الملائكة: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢].

وقوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾ [النبأ: ٣٨].

وإذا علمت أن الله جل وعلا ذكر في هذه الآية الكريمة حالاً من أحوال عرض الخلائق عليه يوم القيامة. فاعلم أنه بيَّن في مواضع أخر أشياء أخر من أحوال عرضهم عليه كقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحاقة: ١٨].

وبيَّن في مواضع أخر ما يلاقيه الكفار وما يقال لهم عند ذلك العرض على ربهم كقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [هود: ١٨].

وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾ [الكهف: ٤٨].

والمعنى: يقال لهم يوم القيامة لقد جئتمونا أي والله لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة أي حفاة عراة غرلاً أي غير مختونين كل واحد منكم فرد لا مال معه ولا ولد ولا خدم ولا حشم. وقد أوضح هذا المعنى في مواضع أخر كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنعام: ٩٤].

وقوله: ﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم: ٩٤ ـ ٩٥].

وقوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وقوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ . . .﴾ [الأعراف: ٢٩].

وقوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ عبر فيه بالماضي وأراد المستقبل لأن تحقيق وقوع ذلك ينزل منزلة الواقع بالفعل. انتهى مختصراً.

وقال الأستاذ سيد قطب[١] ـ رحمه الله ـ:

من ذا الذي لا يرتعش حسه وهو يسمع ذلك القضاء الرهيب يوم العرض يوم تتكشف الأمور فلا يخفى شيء ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحاقة: ١٨].

فالكل مكشوف الجسد مكشوف النفس مكشوف الضمير مكشوف العمل مكشوف المصير وتسقط جميع الأستار التي كانت تحجب الأسرار. وتتعرى النفوس تعري الأجساد وتبرز الغيوب بروز الشهود ويتجرد الإنسان من حيطته ومن مكره ومن تدبيره ومن شعوره ويفتضح منه ما كان حريصاً على أن يستره حتى عن نفسه. وما أقسى الفضيحة على الملأ وما أخزاها على عيون الجموع. اهـ.

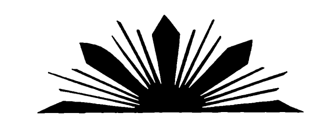
---

(١) اليوم الآخر في ظلال القرآن ص (١٩٢).

وصدق من قال:

مثل وقوفك يوم العرض عريانا	مستوحشاً قلق الأحشاء حيرانا
والنار تلهب من غيظ ومن حنق	على العصاة ورب العرش غضبانا
اقرأ كتابك يا عبدي على مهل	فهل ترى فيه حرفاً غير ما كانا
لما قرأت ولم تنكر قراءته	إقرار من عرف الأشياء عرفانا
نادى الجليل خذوه يا ملائكتي	امضوا بعبد عصا للنار عطشانا
المشركون غداً في النار يلتهبوا	والمؤمنون بدار الخلد سكانا

اللهم لا تخزنا يوم العرض عليك واجعلنا من سكان الفردوس الأعلى بفضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين



المطلب الثاني
صحف أعمال المكلفين:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ۝١٠﴾ [التكوير: ١٠].

يعني صحائف الأعمال نشرت للحساب لأنها تطوى عند الموت وتنشر عند الحساب فيقف كل إنسان على صحيفته فيعلم ما فيها حيث يكشف المخبوء ويظهر المستور ويفتضح المكنون في الصدور. فمن وجد خيراً فليحمد الله تعالى ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

قال تعالى: ﴿وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ۝٦٩ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَا يَفۡعَلُونَ ۝٧٠﴾ [الزمر: ٦٩ - ٧٠].

وقوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ﴾ [الكهف: ٤٩].

قال العلامة الشنقيطي في تفسيره[١]:

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن الكتاب يوضع يوم القيامة والمراد بالكتاب: جنس الكتاب فيشمل جميع الصحف التي كتبت فيها أعمال المكلفين في دار الدنيا وأن المجرمين يشفقون مما فيه أي يخافون منه وأنهم يقولون: ﴿يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ﴾ أي: لا يترك ﴿صَغِيرَةٗ وَلَا

(١) تفسير أضواء البيان (٣/ ٤٦٤) و (٤/ ١١٦ وما بعدها).

﴿كَبِيرَةً﴾ من المعاصي التي عملنا. ﴿إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ﴾ أي ضبطها وحصرها وهذا المعنى الذي دلت عليه هذه الآية الكريمة جاء موضحاً في مواضع أخر كقوله: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ۝١٣ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ۝١٤﴾ [الإسراء: ١٣ ـ ١٤]. وفي قوله جل وعلا في هذه الآية الكريمة ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ﴾.

وجهان معروفان في التفسير:

الأول: أن المراد بالطائر العمل من قولهم: طار له سهم إذا خرج له، أي ألزمناه ما طار له من عمل. والآيات الدالة على أن عمل الإنسان لازم له كثيرة جداً كقوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣].

وقوله: ﴿إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [التحريم: ٧].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦﴾ [الانشقاق: ٦].

وقوله: ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ﴾ [فصلت: ٤٦].

قوله: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨].

والآيات بمثل هذا كثيرة جداً.

الثاني: أنه المراد بالطائر: ما سبق له في علم الله من شقاوة أو سعادة. والقولان متلازمان لأن ما يطير له من العمل هو سبب ما يؤول إليه من الشقاوة أو السعادة. والآيات الدالة على ذلك كثيرة. كقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ﴾ [التغابن: ٢].

وقوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ﴾ [هود: ١١٩].

أي للاختلاف إلى شقي وسعيد خلقهم.

وقوله: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ﴾ [الأعراف: ٣٠].

وقوله: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ . . .﴾ [الشورى: ٧]. إلى غير ذلك من الآيات.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿فِي عُنُقِهِۦ﴾.

أي جعلنا عمله أو ما سبق له من شقاوة في عنقه أي لازماً له لزوم القلادة أو الغل لا ينفك عنه فالمعنى اللزوم وعدم الانفكاك.

وقوله جل وعلا في هذه الآية الكريمة: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا . . .﴾.

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن ذلك العمل الذي ألزم الإنسان إياه يخرجه له يوم القيامة مكتوباً في كتاب يلقاه منشوراً، أي مفتوحاً يقرؤه هو وغيره. وبين أشياء من صفات هذا الكتاب الذي يلقاه منشوراً في آيات أخر فبين أن من صفاته: أن المجرمين مشفقون أي: خائفون مما فيه وأنه لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وإنهم يجدون فيه جميع ماعملوا حاضراً ليس منه شيء غائباً وأن الله جل وعلا لا يظلمهم في الجزاء عليه شيئاً وذلك في قوله جل وعلا:

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩].

وبيّن في موضع آخر: أن بعض الناس يؤتى هذا الكتاب بيمينه ـ جعلنا الله وإخواننا المسلمين منهم ـ وأن من أوتيه بيمينه يحاسب حساباً يسيراً ويرجع إلى أهله مسروراً وأنه في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾﴾ [الانشقاق: ٧ ـ ٩].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الحاقة: ١٩ ـ ٢٣].

وبين في موضع آخر: أن من أوتيه بشماله يتمنى أنه لم يؤته وأنه يؤمر به فيصلى الجحيم ويسلك في سسلسلة من سلاسل النار ذرعها سبعون ذراعاً.

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ [الحاقة: ٢٥ ـ ٣٢].

أعاذنا الله وإخواننا المسلمين من النار ومما قرب إليها من قول أو عمل. وبين في موضع آخر: أن من أوتي كتابه وراء ظهره يصلى السعير ويدعو الثبور. وذلك في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الانشقاق: ١١ ـ ١٢].

وقوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٤].

يعني أن نفسه تعلم أنه لم يظلم ولم يكتب عليه إلا ما عمل لأنه في ذلك الوقت يتذكر كل ما عمل في الدنيا من أول عمره إلى آخره كما قال تعالى: ﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾﴾ [القيامة: ١٣].

وقال تعالى: ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ . . .﴾ [الكهف: ٤٩].

إنهم في يوم القيامة يجدون أعمالهم التي عملوها في الدنيا حاضرة محصاة عليهم. وهي كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ۛ وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ﴾ [آل عمران: ٣٠].

وقوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ﴾ [يونس: ٣٠].

وقوله ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾﴾ [الطارق: ٩].

إلى غير ذلك من الآيات. . انتهى بتصرف يسير.

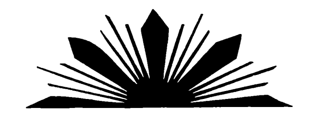
ـ عن المقداد بن الأسود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل فيكون الناس على قدر**

أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى حقويه ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً) قال: وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه[1].

- عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من حوسب يوم القيامة عذب فقلت أليس قد قال الله عز وجل: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الانشقاق: ٨] فقال: ليس ذاك الحساب إنما ذاك العرض من نوقش الحساب يوم القيامة عذب**»[2].

وقد روى ابن أبي الدنيا عن ابن المبارك أنه أنشد في ذلك شعراً[3]:

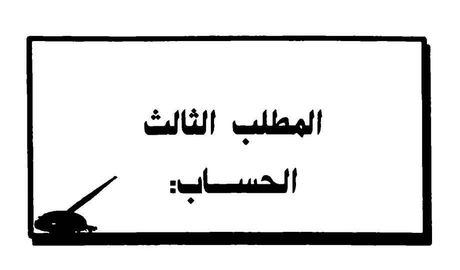
وطارت الصحف في الأيدي منشرة	فيه السرائر والأخبار تطلع
فكيف سهوك والأنباء واقعة	عما قليل ولا تدري بما تقع
أفي الجنان وفوز لا انقطاع له	أم الجحيم فلا تبقى ولا تدع
تهوى بسكانها طورا وترفعهم	إذا راجوا مخرجاً عن غمها قمعوا
طال البكاء فلم يرحم تضرعهم	فيها ولا رقة تغني ولا جزع
لينفع العلم قبل الموت عالمه	قد سأل قوم بها الرجعى فما رجعوا



(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٤) عبد الباقي. (كتاب الجنة وصفة نعيمها).

(٢) (المصدر السابق) رقم (٢٨٧٦) عبد الباقي.

(٣) انظر نهاية البداية والنهاية لابن كثير (٢/ ٧١) بتعليق إسماعيل الأنصاري.



المطلب الثالث
الحساب:

يقول الله سبحانه: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢﴾ [الأنبياء: ١ - ٢] آيات تهز الغافلين هزاً والحساب يقترب وهم في غفلة والآيات تعرض وهم معرضون عن الهدى.

فالحساب هو تعريف الله سبحانه الخلائق مقادير الجزاء على أعمالهم وتذكيره إياهم بما قد نسوه.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ﴾ [المجادلة: ٦].

والحساب متفاوت فمنه الحساب العسير ومنه الحساب اليسير.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[(١)]:

يحاسب الله الخلائق ويخلو بعبده المؤمن فيقرره بذنوبه كما وصف ذلك في الكتاب والسنة، وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته فإنه لا حسنات لهم ولكن تعرض أعمالهم وتحصى فيوقفون عليها ويقررون بها ويجزون بها. انتهى.

وقد دلت الأحاديث الصحيحة أن قوماً من أمة محمد ﷺ يتفضل عليهم ربهم ويستثنيهم من هذا الحساب ويدخلهم الجنة من غير حساب ولا سابقة عذاب.

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ١٤٦).

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفاً بغير حساب... الحديث**»[1].

قاعدة الحساب والجزاء[2]:

إن الحساب والجزاء والحكم في الآخرة إنما يقوم على عمل الناس في الدنيا ولا يحاسب الناس على ما اجترحوا في الدنيا إلا أن تكون هناك شريعة من الله تعين لهم ما يحل وما يحرم مما يحاسبون يوم القيامة على أساسه، وتوجد الحاكمية في الدنيا والآخرة على هذا الأساس فأما حين يحكم الناس في الأرض بشريعة غير شريعة الله فعلام يحاسبون في الآخرة؟ أيحاسبون وفق شريعة الأرض البشرية التي يحكمون بها ويتحاكمون إليها أم يحاسبون وفق شريعة الله السماوية التي لم يكونوا يحاكموا بها ولا يتحاكموا إليها. ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنعام: ٦٢].

فهو وحده يحكم وهو وحده يحاسب وهو لا يبطىء في الحكم ولا يمهل في الجزاء. فلا بد أن يستيقن الناس أن الله محاسبهم على أساس شريعته هو لا شريعة العباد وأنهم إن لم ينظموا حياتهم ويقيموا معاملاتهم كما يقيموا شعائرهم وعباداتهم وفق شريعة الله في الدنيا فإن هذا سيكون أول ما يحاسبون عليه بين يدي الله وإنهم يومئذ سيحاسبون على أنهم لم يتخذوا الله سبحانه إلهاً في الأرض ولكنهم اتخذوا من دونه أرباباً متفرقة وأنهم محاسبون إذن على الكفر بألوهية الله أو الشرك به باتباعهم شريعته في جانب العبادات والشعائر واتباع شريعة غيره في النظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي وفي المعاملات والارتباطات والله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء... اهـ مختصراً.

ويؤخذ من حديث البطاقة أيضاً بالإضافة إلى الثلاث السابقة:

٤ ـ إثبات عدل الله تعالى وأنه ليس بظلام للعبيد.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨١١) ومسلم (٢١٨) عبد الباقي.

(٢) اليوم الآخر في ظلال القرآن (سيد قطب) ص ١٩٠.

٥ ـ وفيه إقرار العبد على ما قدمت يداه من أعمال[(١)].

٦ ـ وفيه إحصاء الله لأعمال العباد صغيرها وكبيرها خيرها وشرها وتسجيلها في سجلات.

٧ ـ فضل شهادة التوحيد.

٨ ـ الحث على اتباع السنة.

٩ ـ إثبات ميزان الأعمال يوم القيامة وسيأتي تفصيل ذلك في موضعه.

١٠ ـ الرد على منكري البعث من الملاحدة وغيرهم.

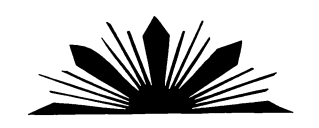
١١ ـ الحث على مراقبة الله في الدنيا والحث على مقام الإحسان.

١٢ ـ إثبات قدرة الله تعالى وأن الأمر كله لله.

١٣ ـ إثبات الألوهية.

١٤ ـ الجزاء على الأعمال.

١٥ ـ إثبات الجنة والنار.



(١) عن صفوان بن محرز (أن رجلاً سأل ابن عمر كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى؟ قال: يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كتفه عليه فيقول: أعملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم. ويقول: عملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم فيقرره ثم يقول إني سترت عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم) البخاري (٧٥١٤).

المبحث السابع
سؤال الله تعالى للعبد عن الصلاة:

ـ عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول ما يحاسب به العبد من عمله صلاته فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن فسدت فقد خاب وخسر فإن انتقص من فريضته شيء قال الرب عز وجل: انظروا هل لعبدي من تطوع؟ فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر عمله على ذلك**»[1].

وفي رواية للطبراني عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فإن صلحت صلح سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله**)[2].

وفي رواية للدارمي عن تميم الداري قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أول ما يحاسب به العبد الصلاة، فإن وجد صلاته كاملة كتبت له كاملة وإن كان فيها نقصان قال الله تعالى للملائكة: انظروا هل لعبدي من تطوع فأكملوا له ما نقص من فريضته ثم الزكاة ثم الأعمال على حسب ذلك**»[3].

وجاء في حاشية سنن الترمذي بتحقيق الشيخ أحمد شاكر ـ رحمه الله ـ

---

(١) صحيح. أخرجه الترمذي (٤١٣) واللفظ له. وأبو داود (٨٦٤) والنسائي (١/ ٢٣٢) وابن ماجه (١٤٢٥) وأحمد (٢/ ٤٢٥) وغيرهم.

(٢) صحيح. أخرجه الطبراني في الأوسط (٢/ ١٨٨٠) وانظر صحيح الترغيب (٣٦٩) للشيخ الألباني.

(٣) صحيح. أخرجه الدارمي (١٣٥٥).

ما نصه: قال الشارح عن العراقي في شرح الترمذي قال: (يحتمل أن يراد به ما انتقص من السنن والهيئات المشروعة فيها من الخشوع والأذكار والأدعية وأنه يحصل له ثواب ذلك في الفريضة وإن لم يفعله فيها وإنما فعله في التطوع، ويحتمل أن يراد به ما انتقص أيضاً من فروضها وشروطها. ويحتمل أن يراد ما ترك من الفرائض رأساً فلم يصله فيعوض عنه من التطوع والله سبحانه وتعالى يقبل من التطوعات الصحيحة عوضاً عن الصلوات المفروضة وقال القاضي أبو بكر بن العربي في العارضة[1]. (يحتمل أن يكون يكمل له ما نقص من فرض الصلاة وأعدادها بفضل التطوع ويحتمل ما نقصه من الخشوع، والأول عندي أظهر لقوله ثم الزكاة كذلك سائر الأعمال وليس في الزكاة إلا فرض أو فضل، فكما يكمل فرض الزكاة بفضلها كذلك الصلاة وفضل الله أوسع ووعده أنفذ وعزمه أعم وأتم). وهذا هو الظاهر والصواب... اهـ.

وقال الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ.

فصلاتنا آخر ديننا وهي أول ما نسأل عنه غداً من أعمالنا. فليس بعد ذهاب الصلاة إسلام ولا دين فإذا صارت الصلاة آخر ما يذهب من الإسلام، فكل شيء يذهب آخره فقد ذهب جميعه فتمسكوا رحمكم الله بآخر دينكم. وليعلم المتهاون بصلاته المستخف بها المسابق الإمام فيها أنه لا صلاة له وأنه إذا ذهبت صلاته فقد ذهب دينه فعظموا الصلاة رحمكم الله، وتمسكوا بها، واتقوا الله فيها خاصة وفي أموركم عامة[2]. وقال الشيخ عبد الرؤوف الحناوي: واعلم أن أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة الصلاة فإن صلحت سئل عما بعدها من زكاة وصوم وحج وإن ردت لم يسأل عن شيء من الخير بعدها ولو زكى وصام وحج[3].

وليس هناك تعارض بين حديث الباب: (أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة..).

---

(١) عارضه الأحوذي لشرح صحيح الترمذي (٢/٢٠٧).

(٢)(٣) انظر مجموعة رسائل في الصلاة: طبع الرئاسة العامة الإدرارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. ص (٤٣)، ص (١٩٠).

والحديث الذي مضى في السؤال عن القتل وهو: **(أول ما يقضى بين الناس في الدماء)**.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح[1]:

إن الحديث الأول محمول فيما يتعلق بعبادة الخالق، والثاني محمول على ما يتعلق بمعاملات الخلق... اهـ.

ولتمام الفائدة نذكر بعض المطالب المتعلقة بالصلاة.

الأول: فضل الصلاة.

الثاني: الأمر بالمحافظة على الصلوات المكتوبة.

الثالث: فضل الصلوات الخمس والترغيب فيها.

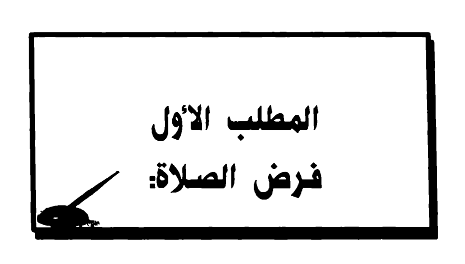
الرابع: الترهيب من ترك الصلاة.

الخامس: حُكم تارك الصلاة.

السادس: حُكم الصلاة على الميت الذي كان لا يصلي.

---

(١) فتح الباري (١١/ ٤٠٤).



المطلب الأول
فرض الصلاة:

قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾[البقرة: ٤٣].

وقوله تعالى: ﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ . . .﴾ [إبراهيم: ٣١].

وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [المزمل: ٢٠].

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ . . .﴾ [البينة: ٥].

ولا خلاف أن فرض الصلوات الخمس كان ليلة الإسراء وقد بوب لها الإمام البخاري - رحمه الله - في صحيحه في كتاب الصلاة (باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء؟) وذكر حديث الإسراء الطويل[1] وفيه: (. . . . **وفرضت الصلاة فيه على الأمة خمسين صلاة فراجع النبي ﷺ ربه حتى أصبحت خمس صلوات في اليوم والليلة**).

وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في الفتح:

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٩) و (٧٥١٧) ومسلم (٤٠٤) نووي، قلعجي، (١٦٢) عبد الباقي.

والحكمة في وقوع فرض الصلاة ليلة المعراج أنه لما قدس ظاهراً وباطناً حين غسل بماء زمزم بالإيمان والحكمة، ومن شأن الصلاة أن يتقدمها الطهور ناسب ذلك أن تفرض الصلاة في تلك الحالة. وليظهر شرفه في الملأ الأعلى ويصلي بمن سكنه من الأنبياء وبالملائكة وليناجي ربه ومن ثم كان المصلي يناجي ربه جل وعلا.

- عن أنس بن مالك قال: **(فرضت على النبي ﷺ ليلة أسري به الصلوات خمسين ثم نقصت حتى جعلت خمساً ثم نودي يا محمد إنه لا يبدل القول لدي وإن لك بهذه الخمس خمسين)**[1].

- عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أتاني جبريل من عند الله تبارك وتعالى فقال يا محمد إن الله عز وجل يقول: ﴿إني قد فرضت على أمتك خمس صلوات من وافاهن على وضوئهن ومواقيتهن وسجودهن فإن له عندي بهن عهد أن أدخله بهن الجنة ومن ليقيني قد أنقص من ذلك شيئاً فليس له عندي عهد إن شئت عذبته وإن شئت رحمته﴾**[2]».

- عن طلحة بن عبيد الله قال: **(جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ثائر الرأس يُسمع دويُّ صوته ولا يفقه ما يقول: حتى دنا فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: خمس صلوات في اليوم والليلة، فقال: هل عليّ غيرها؟ قال: لا، إلا أن تطوع، قال رسول الله ﷺ: وصيام رمضان قال: هل علي غيره؟ قال: لا. إلا أن تطوع، قال: وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة قال: هل عليّ غيرها؟ قال: لا إلا أن تطوع، قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص. قال رسول الله ﷺ: أفلح إن صدق)**[3].

---

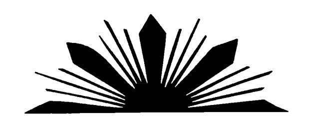
(١) صحيح. رواه أحمد (٣/ ١٦١) والترمذي (٢١٣) والنسائي (١/ ٢٢١) وابن ماجه (١٣٩٩).

(٢) صحيح. رواه الطيالسي في المسند وغيره وانظر السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني (٨٤٢).

(٣) أخرجه البخاري (٤٦) ومسلم (١٠٠) نووي. قلعجي، (١١) عبد الباقي.

قال الخطابي ـ رحمه الله ـ في معالم السنن:

فيه دليل على أن الوتر غير مفروض ولا واجب وجوب حتم ولو كان مفروضاً لكانت الصلوات المفروضة ستاً لا خمساً وفيه بيان أن فرض صلاة الليل منسوخ.



المطلب الثاني
الأمر بالمحافظة على الصلوات المكتوبات:

قال تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة: ٢٣٨].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ﴾ [الحج: ٧٧].

وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [النور: ٥٦].

وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الروم: ٣١].

وقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢].

ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: **سألت رسول الله ﷺ أي الأعمال أفضل؟ قال: (الصلاة على وقتها) قلت: ثم أي؟ قال: (بر الوالدين) قلت: ثم أي؟ قال: (الجهاد في سبيل الله)**[1].

ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **(بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان)**[2].

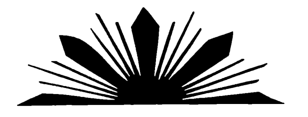
ـ وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا**

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٧ ـ ٥٩٧٠) ومسلم (٨٥٠) عبد الباقي.

(٢) أخرجه البخاري (٨) ومسلم (١٦) عبد الباقي.

إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله)[1] .



(١) أخرجه البخاري (٢٥) ومسلم (٢٢) عبد الباقي.

المطلب الثالث
فضل الصلوات الخمس والترغيب فيها:

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ۝﴾ [الأعلى: ١٤ ـ ١٥].

وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝﴾ [المؤمنون: ١ ـ ٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۝﴾ [المعارج: ١٩ ـ ٢٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه**(١) **شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا**»(٢).

وذكر الشيخ الألباني في حاشية الجزء الأول من صحيح الترغيب

---

(١) الدرن: الوسخ.

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٨) ومسلم (١٤٩٤) نووي. قلعجي، (٦٦٧) عبد الباقي، ورواه أيضاً النسائي في الصلاة (١/ ٢٣٠) والترمذي في الأمثال (٢٨٦٨) شاكر. وابن ماجه (١٣٩٧) من حديث عثمان رضي الله عنه.

(ص ١١٢، ١١٣) كلام ابن العربي رحمه الله وكذلك كلام النووي رحمه الله ما نصه:

قال ابن العربي: وجه التمثيل أن المرء كما يتدنس بالأقذار المحسوسة في بدنه وثوبه ويطهره الماء الكثير، فكذلك الصلوات تطهر العبد من أقذار الذنوب حتى لا تبقي له ذنباً إلا أسقطته وكفرته... والله أعلم.

وقال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في (شرح مسلم) معناه أن الذنوب كلها تغفر إلا الكبائر فإنها لا تغفر، وليس المراد أن الذنوب تغفر ما لم تكن كبيرة فإن كانت لا يغفر شيء من الصغائر فإن هذا وإن كان محتملاً فسياق الحديث يأباه. قال القاضي عياض رحمه الله: هذا المذكور في الحديث من غفران الذنوب ما لم تؤت كبيرة هو مذهب أهل السنة وأن الكبائر إنما تكفرها التوبة أو رحمة الله تعالى وفضله.. والله أعلم.

قلت ـ أي الشيخ الألباني حفظه الله تعالى ـ:

هنا الحصر ينافي الاستفهام التقريري في الحديث الذي قبله (هل يبقى من درنه شيء) كما هو ظاهر فإنه لا يمكن تفسيره على أن المراد به الدرن الصغير فلا يبقى منه شيء وأما الدرن الكبير فيبقى كله كما هو. فإن تفسير الحديث بهذا ضرب له في الصدر كما لا يخفى. وفي الباب أحاديث أخرى لا يمكن تفسيرها بالحصر المذكور كقوله ﷺ: «**من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه**»[1].

ثم قال الشيخ: فالذي يبدو لي ـ والله أعلم ـ أن الله تعالى زاد في تفضله على عباده فوعد المصلين منهم بأن يغفر لهم الذنوب جميعاً وفيها الكبائر بعد أن كانت المغفرة خاصة بالصغائر ولعله مما يؤيد هذا قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١] فإذا كانت الصغائر تكفر بمجرد اجتناب الكبائر فالفضل الإلهي يقتضي أن تكون للصلاة وغيرها من العبادات فضيلة أخرى تتميز بها على فضيلة اجتناب الكبائر

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٢١) ومسلم (١٣٥٠) وغيرهما من حديث أبي هريرة.

ولا يبدو أن ذلك يكون إلا بأن تكفر الكبائر.. والله أعلم.

ولكن ينبغي على المصلين أن لا يغتروا فإن الفضيلة المذكورة لا شك أنه لا يستحقها إلا من أقام الصلاة وأتمها وأحسن أداءها كما أمر وهذا صريح في حديث عُقبة بن عامر «**من توضأ كما أمر وصلى كما أُمر غفر له ما تقدم من عمل**»[1]. وأنَّى لجماهير المصلين أن يحققوا الأمرين المذكورين ليستحقوا مغفرة الله وفضله العظيم فليس لنا إلا أن ندعو الله أن يعاملنا برحمته وليس بما نستحقه بأعمالنا... اهـ.

- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تحترقون تحترقون[2] فإذا صليتم الصبح غسلتها، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم الظهر غسلتها، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم العصر غسلتها، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم المغرب غسلتها، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم العشاء غسلتها، ثم تنامون فلا يكتب عليكم حتى تستيقظوا**)[3].

- عن عمرو بن مرة الجهني رضي الله عنه قال: (**جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله وصليت الصلوات الخمس وأديت الزكاة وصمت رمضان وقمته فممن أنا؟ قال: (من الصديقين والشهداء)**)[4].

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (كان رجلان من بليّ[5] من قضاعة أسلما مع رسول الله ﷺ فاستشهد أحدهما وأخر الآخر سنة، فقال طلحة بن

(١) حسن. أخرجه ابن ماجه (١٣٩٦).

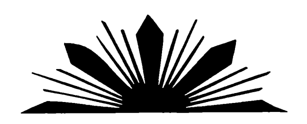
(٢) تحترقون: أي تقعون في الهلاك بسبب الذنوب الكثيرة.

(٣) حسن. رواه الطبراني في الصغير (١/ ٩١) والأوسط (٣/ ١١٩) والكبير (٩/ ١٦١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٩٩): رواه الطبراني في الثلاثة إلا أنه موقوف في الكبير، ورجال الموقوف رجال الصحيح، ورجال المرفوع فيه عاصم بن بهدلة وحديثه حسن. وانظر صحيح الترغيب للشيخ الألباني (٣٥١).

(٤) صحيح. أخرجه ابن حبان (٣٤٣٨) والبزار (٢٥) وغيرهما وانظر صحيح الترغيب للشيخ الألباني (٣٥٥).

(٥) بليّ: هم حي من قضاعة.

عبيد الله: فرأيت المؤخر منهما أدخل الجنة قبل الشهيد فتعجبت لذلك فأصبحت فذكرت ذلك للنبي ﷺ أو ذكر لرسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: **(أليس قد صام بعده رمضان وصلى ستة آلاف ركعة وكذا وكذا ركعة [صلاة] سنة)**[1].



(١) حسن. رواه أحمد (٢/٣٣٣) وانظر صحيح الترغيب للشيخ الألباني (٣٦٥).

المطلب الرابع
الترهيب من ترك الصلاة:

قال الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ۝٥٩﴾ [مريم: ٥٩].

وقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ۝٤٢ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ۝٤٣﴾ [القلم: ٤٢ - ٤٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝١٤٢﴾ [النساء: ١٤٢].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٩﴾ [المنافقون: ٩].

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ۝٣٨ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ۝٣٩ فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ۝٤٠ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝٤١ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ۝٤٢ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ۝٤٣ . . .﴾ الآيات [المدثر: ٣٨ ـ ٤٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ۝١٢٤ . . .﴾ [طه: ١٢٤].

وقوله تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون: ٤ ـ ٥].

إلى غير ذلك من الآيات، أما في السنة:

- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة)**[1].

- عن بريدة الأسلميّ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر)**[2].

- عن عبد الله بن شقيق العقيلي رضي الله عنه قال: **(كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة)**[3].

- عن ثوبان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(بين العبد وبين الكفر والإيمان الصلاة فإذا تركها فقد أشرك)**[4].

- عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: **(أوصاني خليلي ﷺ أن: لا تشرك بالله شيئاً وإن قطعت أو حرقت ولا تترك صلاة مكتوبة متعمداً فمن تركها متعمداً فقد برئت منه الذمة ولا تشرب الخمر فإنها مفتاح كل شر)**[5].

- عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها فأولهن نقضاً الحكم وآخرهن الصلاة»**[6].

- عن سمرة بن جندب قال: كان رسول الله ﷺ يعني مما يكثر أن يقول لأصحابه هل رأى أحد منكم رؤيا؟ قال فيقص عليه ما شاء الله أن يقص.

---

(١) أخرجه مسلم (٨٢) وأصحاب السنن نحوه.

(٢) صحيح. رواه أحمد (٥/٣٤٦) والترمذي (٢٦٢١) والنسائي (١/ ٢٣١) وابن ماجه (١٠٧٩) وغيرهم.

(٣) صحيح. أخرجه الترمذي (٢٦٢٢). وانظر صحيح الترغيب للشيخ الألباني (٥٦٢).

(٤) إسناده صحيح. رواه هبة الله الطبري كما قال الشيخ الألباني في صحيح الترغيب (٥٦٤).

(٥) حسن، رواه ابن ماجه (٤٠٣٤) وغيره وانظر صحيح الترغيب للشيخ الألباني (٥٦٤) وإرواء الغليل (٢٠٢٦).

(٦) صحيح. أخرجه أحمد (٥/ ٢٥١) وغيره وانظر صحيح الترغيب للشيخ الألباني (٥٦٩).

وأنه قال لنا ذات غداة: **أنه أتاني الليلة آتيان وإنهما ابتعثاني وأنهما قالا لي: انطلق. وإني انطلقت معهما وإنا أتينا على رجل مضطجع وإذا آخر قائم عليه بصخرة وإذا هو يهوى بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه فيتدهده الحجر ها هنا فيتبع الحجر فيأخذه فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل به المرة الأولى. قال: قلت لهما: سبحان الله ما هذان؟ قال: قالا لي: انطلق انطلق. . .) الحديث. إلى أن قال ﷺ: «قلت لهما: فإني قد رأيت منذ الليلة عجباً فما هذا الذي رأيت؟ قال: قالا لي: أما إنا سنخبرك: أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ بالحجر فإنه الرجل يأخذ بالقرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة. . .[1] الحديث»**.

ـ عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أول ما يرفع من الناس الأمانة وآخر ما يبقى من دينهم الصلاة، ورُبَّ مُصلٍّ لا خلاق له عند الله تعالى»**[2].

ـ عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فإن صلحت صلح له سائر عمله وإن فسدت فسد سائر علمه»**[3].

ـ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه ذكر الصلاة يوماً فقال: **(من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف)**[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٤٧).

(٢) حسن. رواه الحكيم الترمذي. وانظر صحيح الجامع للشيخ الألباني (٢٥٧٥).

(٣) صحيح وقد سبق تخريجه في أول المبحث.

(٤) إسناده جيد. رواه أحمد (٢/ ١٦٩) والدارمي (٢/ ٣٠١) والطبراني في الكبير والأوسط (١٧٨٨) وابن حبان في صحيحه (١٤٦٧) وغيرهم ووثق رجاله الهيثمي في المجمع (١/ ١٩٢).

المطلب الخامس
حكم تارك الصلاة:

قال تعالى: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ۝٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ۝٦٠﴾ [مريم: **٥٩ ـ ٦٠**].

ذكر العلامة الشنقيطي في تفسير أضواء البيان عدة مسائل تتعلق بهذه الآية الكريمة منها:

المسألة الأولى: أجمع العلماء على أن تارك الصلاة الجاحد لوجوبها كافر وأنه يقتل كفراً ما لم يتب. والظاهر أن ترك ما لا تصح الصلاة دونه كالوضوء وغسل الجنابة كتركها وجحد وجوبه كجحد وجوبها.

المسألة الثانية: اختلف العلماء في تارك صلاة عمداً تهاوناً وتكاسلاً مع اعترافه بوجوبها هل هو كافر أو مسلم؛ وهل يقتل كفراً أو حداً أو لا يقتل، فذهب بعض أهل العلم إلى أنه كافر مرتد يستتاب فإن تاب فذلك، وإن لم يتب قتل كفراً. وممن قال بهذا الإمام أحمد رحمه الله في أصح الروايتين. وهو مروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وبه قال ابن المبارك وإسحاق بن راهويه ومنصور الفقيه من الشافعية. ويروى أيضاً عن أبي الطيب بن سلمة من الشافعية. وهو رواية ضعيفة عن مالك. واحتج أهل هذا القول بأدلة منها قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝١١﴾ الآية [التوبة: ١١].

ويفهم من مفهوم الآية أنهم إن لم يقيموا الصلاة لم يكونوا من إخوان

المؤمنين ومن انتفت عنهم أخوة المؤمنين فهم من الكافرين لأن الله يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] ومنها حديث جابر الثابت في صحيح مسلم عنه عن النبي ﷺ من طريقين لفظ المتن في الأولى منهما: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**» ولفظ المتن في الأخرى: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**». انتهى منه.

وهو واضح في أن تارك الصلاة كافر لأن عطف الشرك على الكفر في تأكيد قوي لكونه كافراً، ومنها حديث أم سلمة وحديث عوف بن مالك الآتيين الدالين على قتال الأمراء إذا لم يصلوا وهما في صحيح مسلم من حديث عبادة بن الصامت المتفق عليه قال: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وألا ننازع الأمر أهله قال: (**إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان**).

فدل مجموع الأحاديث المذكورة أن ترك الصلاة كفر بواح عليه من الله برهان. وهذا من أقوى أدلة أهل هذا القول ومنها حديث بريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**)[1] أخرجه أحمد وأصحاب السنن وابن حبان والحاكم.

ـ وعن عبد الله بن شقيق عن أبي هريرة قال: (**كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة**) رواه الحاكم (١/ ٧)، **قال الذهبي لم يتكلم عليه وإسناده صحيح**.

وقال النووي في شرح المهذب: وعن عبد الله بن شقيق العقيلي التابعي المتفق على جلالته: كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة، رواه الترمذي في كتاب الإيمان بإسناد صحيح. فحديث بريدة بن الحصين وأثر بن شقيق المذكور فيهما الدلالة الواضحة على أن ترك

(١) سبق قريباً، وهو صحيح.

الصلاة عمداً تهاوناً كفر ولو أقر تاركها بوجوبها وبذلك يعتضد حديث جابر المذكور عند مسلم، ومن الأدلة الدالة على أن ترك الصلاة كفر ما رواه الإمام أحمد والطبراني في الكبير والأوسط من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه ذكر الصلاة يوماً فقال: **(من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف)**[1] اهـ.

وهذا الحديث أوضح دلالة على كفر تارك الصلاة لأن انتفاء النور والبرهان والنجاة والكينونة مع فرعون وهامان وأبي بن خلف يوم القيامة أوضح دليل على الكفر كما ترى.

وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد) في هذا الحديث: رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ورجال أحمد ثقات. . . اهـ. وفي الباب أحاديث غير ما ذكرنا منها ما هو ضعيف ومنها ما هو صالح للاحتجاج وذكر طرفاً منها الهيثمي في مجمع الزوائد وفيما ذكرناه كفاية.

وذهبت جماعة من أهل العلم إلى أن تارك الصلاة عمداً تهاوناً وتكاسلاً إذا كان معترفاً بوجوبها غير كافر وأنه يقتل حدّاً كالزاني المحصن لا كفراً وهذا هو مذهب مالك وأصحابه. وهومذهب الشافعي وجمهور أصحابه وعزاه النووي في شرح المهذب للأكثرين من السلف والخلف وقال في شرح مسلم: ذهب مالك والشافعي رحمهما الله تعالى. والجماهير من السلف والخلف، إلى أنه لا يكفر بل يفسق ويستتاب فإن تاب وإلا قتلناه حداً كالزاني المحصن ولكنه يقتل بالسيف. . . اهـ.

واعلم أن هذا القول يحتاج إلى الدليل من جهتين وهما عدم كفره وأنه يقتل وهذه أدلتهم على الأمرين معاً أما أدلتهم على أنه يقتل (فمنها) قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ فإن الله تعالى في هذه الآية اشترط في تخلية سبيلهم إقامتهم الصلاة. ويفهم من مفهوم

---

(١) سبق تخريجه قريباً وهو صحيح.

الشرط أنهم إن لم يقيموها لم يخل سبيلهم وهو كذلك.

ومنها: ما رواه الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله: **(أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها)**[1]... اهـ.

فهذا الحديث الصحيح يدل على أنهم لا تعصم دماؤهم ولا أموالهم إلا بإقامة الصلاة كما ترى (ومنها) ما أخرجه الشيخان.

ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: **بعث علي رضي الله عنه وهو باليمن إلى النبي ﷺ بذهيبة فقسمها بين أربعة فقال رجل: يا رسول الله: اتق الله. فقال: (ويلك أو لست أحق أهل الأرض أن يتقي الله؟) ثم ولى الرجل فقال خالد بن الوليد: يا رسول الله، ألا أضرب عنقه؟ فقال: (لا، لعله أن يكون يصلي) فقال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه؟ فقال رسول الله ﷺ: (إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم)** مختصر من حديث متفق عليه[2].

فقوله ﷺ في هذا الحديث (لا) يعني لا تقتله. وتعليله ذلك بقوله: (لعله أن يكون يصلي) فيه الدلالة الواضحة على النهي عن قتل المصلين ويفهم منه أنه إن لم يصلِّ يقتل وهو كذلك.

ومنها ما رواه مسلم في صحيحه عن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: **(إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون فمن كره فقد برىء ومن أنكر فقد سلم ولكن من رضي وتابع قالوا: يا رسول الله ألا نقاتلهم؟ قال: لا... ما صلوا)**[3] هذا لفظ مسلم في صحيحه. و (ما) في قوله ما صلوا مصدرية ظرفية أي لا تقاتلوهم مدة كونهم يصلون. ويفهم منه

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥) ومسلم (٢٢) عبد الباقي.
(٢) أخرجه البخاري (٤٣٥١) ومسلم (١٠٦٤) عبد الباقي.
(٣) أخرجه مسلم (١٨٥٤) عبد الباقي.

أنهم إن لم يصلوا قوتلوا وهو كذلك. مع أنه ﷺ قال في حديث عبادة بن الصامت المتفق عليه: (**إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان**[1]).

فحديث أم سلمة هذا ونحوه حديث عوف بن مالك الآتي يدل على قتل من لم يصلِّ وبضميمة حديث عبادة بن الصامت إلى ذلك يظهر الدليل على الكفر بترك الصلاة لأنه قال في حديث عبادة بن الصامت: (إلا أن تروا كفراً بواحاً. . .) الحديث.

وأشار في حديث أم سلمة وعوف بن مالك: إلى أنهم إن تركوا الصلاة قوتلوا. فدل ذلك على أن تركها من الكفر البواح وهذا من أقوى أدلة أهل القول الأول. وحديث عوف بن مالك المذكور هو ما رواه مسلم في صحيحه عنه عن رسول الله ﷺ بلفظ قال: (**خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم**) **قيل: يا رسول الله أفلا ننابذهم بالسيف؟ قال**: (**لا، ما أقاموا فيكم الصلاة**. . .)[2] الحديث.

وفيه الدلالة الواضحة على قتالهم إذا لم يقيموا الصلاة كما ترى.

ومن أدلة أهل هذا القول على قتل تارك الصلاة ما رواه الأئمة الثلاثة مالك في موطئه والشافعي وأحمد في مسنديهما عن عبيد الله بن عدي بن الخيار أن رجلاً من الأنصار حدثه أنه أتى رسول الله ﷺ وهو في مجلس يساره يستأذنه في قتل رجل من المنافقين فجهر رسول الله ﷺ فقال: «**أليس يشهد ألا إله إلا الله؟**» قال الأنصاري: بلى يا رسول الله ولا شهادة له قال: (**أليس يشهد أن محمداً رسول الله**)؟ قال: بلى ولا شهادة له قال: (**أليس يصلي**) قال بلى. ولا صلاة له قال: (**أولئك الذين نهاني الله عن قتلهم**)[3] اهـ.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٦) ومسلم (١٨٤٠).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٥).

(٣) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ١٥٦) والشافعي في المسند (٣٢٠) من كتاب الأسارى والغلول وغيره، وأحمد في المسند (٥/ ٤٣٣) وقال الهيثمي في المجمع (١/ ٢٤) رجاله رجال الصحيح. وراجع التمهيد (١٠/ ١٦٢).

وفي رواية عنهم هذا هو خلاصة أدلة أهل هذا القول على قتل تارك الصلاة. واعلم أن جمهور من قال بقتله يقولون أنه يقتل بالسيف. وقال بعضهم: يضرب بالخشب حتى يموت. وقال ابن سريج: ينخس بحديدة أو يضرب بخشبة ويقال له: صلِّ وإلا قتلناك ولا يزال يكرر عليه حتى يصلي أو يموت. واختلفوا في استتابته فقال بعضهم: يستتاب ثلاثة أيام فإن تاب وإلا قتل. وقال بعضهم: لا يستتاب لأنه يقتل حداً والحدود لا تسقط بالتوبة. وقال بعضهم إن لم يبق من الضروري إلا قدر ركعة ولم يصل قتل. وبعضهم يقول: لا يقتل حتى يخرج وقتها.

والجمهور على أنه يقتل بترك صلاة واحدة وهو ظاهر الأدلة وقيل لا يقتل حتى يترك أكثر من واحدة.

وعن الإمام أحمد روايتان: إحداهما أنه لا يقتل حتى يضيق وقت الصلاة الثانية المتروكة مع الأولى.

والأخرى لا يقتل حتى يضيق وقت الرابعة.

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له: أظهر الأقوال عندي أنه يقتل بالسيف وأن يستتاب للإجماع على قبول توبته إذا تاب. والأظهر أنه يستتاب في الحال ولا يمهل ثلاثة أيام وهو يمتنع من الصلاة لظواهر النصوص المذكورة وأنه لا يقتل حتى لا يبقى من الوقت الضروري ما يسع ركعة بسجدتيها. والعلم عند الله تعالى.

وأما أدلة أهل هذا القول على عدم كفره فمنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨] و [النساء: ١١٦].

ومنها حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه الذي رواه مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد عن محمد بن يحيى بن حبان عن ابن محرز: أن رجلاً من بني كنانة يدعى المخدجي سمع رجلاً بالشام يكنى أبا محمد يقول: إن الوتر واجب فقال المخدجي: فرحت إلى عبادة بن الصامت فاعترضت له وهو رائح إلى المسجد فأخبرته بالذي قال أبو محمد فقال عبادة: كذب أبو محمد: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **خمس صلوات كتبهن الله عز وجل**

على العباد فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيئاً استخفافاً بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة)[١] اهـ. منه بلفظه.

وفي سنن أبي داود والنسائي وفي سنن ابن ماجه.

ـ عن عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خمس صلوات افترضهن الله على عباده...**»[٢] إلى آخر الحديث المذكور بمعناه قريباً من لفظه.

وقال الزرقاني (في شرح الموطأ): وفيه ـ يعني حديث عبادة المذكور ـ أن تارك الصلاة لا يكفر ولا يتحتم عذابه بل هو تحت المشيئة بنص الحديث... وقد أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه من طريق مالك وصححه ابن حبان والحاكم وابن عبد البر.

قال النووي: هذا حديث صحيح. وقال ابن عبد البر: هو حديث صحيح ثابت. وحديث عبادة المذكور فيه الدلالة الواضحة على أن ترك الصلاة ليس بكفر لأن كونه تحت المشيئة المذكور فيه دليل على عدم الكفر لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾.

ومن أدلة أهل هذا القول على أن تارك الصلاة المقر بوجوبها غير كافر. ما رواه الإمام أحمد وأصحاب السنن.

ـ عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة المكتوبة فإن أتمها وإلا قيل انظروا هل له من تطوع فإن كان له تطوع أكملت الفريضة من تطوعه. ثم يفعل بسائر الأعمال المفروضة مثل ذلك)**[٣]. اهـ.

ووجه الاستدلال بالحديث المذكور على عدم كفر تارك الصلاة، أن

---

(١) صحيح. أخرجه مالك في الموطأ (١/ ١٢٠).

(٢) صحيح. أخرجه أبو داود (١٤٢٠) والنسائي (١/ ٢٣٠) وابن ماجه (١٤٠١).

(٣) سبق تخريجه في أول المبحث.

نقصان الصلوات المكتوبة واتمامها من النوافل يتناول بعمومه ترك بعضها عمداً كما يقتضيه ظاهر عموم اللفظ كما ترى.

وقال المجد (في المنتقى) بعد أن ساق الأدلة التي ذكرنا على عدم كفر تارك الصلاة المقر بوجوبها عمداً ما نصه: ويعضد هذا المذهب عمومات منها ما روي.

ـ عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(من شهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل)**(١) متفق عليه.

ـ وعن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال ومعاذ رديفه على الرحل: **(يا معاذ) قال: لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثاً ثم قال: (ما من عبد يشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله إلا حرمه الله على النار) قال: يا رسول الله أفلا أخبر بها الناس فيستبشروا؟ قال: (إذاً يتكلوا) فأخبر بها معاذ عند موته تأثماً أي خوفاً من الإثم بترك الخبر به**(٢). متفق عليه.

ـ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **(لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإنّي اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً)**(٣) رواه مسلم.

ـ وعنه أيضاً أن النبي ﷺ قال: **(أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه)** رواه البخاري(٤).

انتهى محل الغرض منه وقالت جماعة من أهل العلم منهم الإمام أبو حنيفة رحمه الله وأصحابه وجماعة من أهل الكوفة وسفيان الثوري والمزني

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٣٥) ومسلم (٢٨).
(٢) أخرجه البخاري (١٢٨) ومسلم (٣٢).
(٣) أخرجه مسلم (١٩٩).
(٤) أخرجه البخاري (٩٩ ـ ٦٥٧٠).

صاحب الشافعي: إن تارك الصلاة عمداً تكاسلاً وتهاوناً مع إقراره بوجوبها لا يقتل ولا يكفر بل يعزر ويحبس حتى يصلي واحتجوا على عدم كفره بالأدلة التي ذكرنا آنفاً لأهل القول الثاني. واحتجوا لعدم قتله بأدلة منها حديث ابن مسعود المتفق عليه (**لا يحل دم امرىء مسلم يشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا بإحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة**). قالوا: هذا حديث متفق عليه[1].

صرح فيه النبي ﷺ أنه لا يحل دم مسلم إلا بإحدى ثلاث ولم يذكر منها ترك الصلاة فدل ذلك على أنه غير موجب للقتل قالوا: والأدلة التي ذكرتم على قتله إنما دلت عليه بمفاهيمها أعني مفاهيم المخالفة كما تقدم إيضاحه.

وحديث ابن مسعود دل على ما ذكرنا بمنطوقه والمنطوق مقدم على المفهوم مع أن المقرر في أصول الإمام أبي حنيفة رحمه الله أنه لا يعتبر المفهوم المعروف بدليل الخطاب الذي هو مفهوم المخالفة وعليه فإنه لا يعترف بدلالة الأحاديث المذكورة على قتله لأنها إنما دلت عليه بمفهوم مخالفتها وحديث ابن مسعود دل على ذلك بمنطوقه.

ومنها قياسهم ترك الصلاة على ترك الصوم والحج مثلاً فإن كل واحد منهما من دعائم الإسلام ولم يقتل تاركها فكذلك الصلاة أما الذين قالوا بأنه كافر وأنه يقتل فقد أجابوا عن حديث ابن مسعود: بأنه عام يخصص بالأحاديث الدالة على قتل تارك الصلاة وعن قياسه على تارك الحج والصوم: بأنه فاسد الاعتبار لمخالفته للأحاديث المذكورة الدالة على قتله.

وعن الأحاديث الدالة على عدم الكفر: بأن منها ما هو ليس كذلك كحديث عبادة بن الصامت الدال على أنه تحت المشيئة، فالأحاديث الدالة على كفره مقدمة عليه لأنها أصح منه لأن بعضها في صحيح مسلم وفيه التصريح بكفره وشركه، ومنها حديث عبادة بن الصامت المتفق عليه مع

(١) أخرجه البخاري (٦٨٧٨) ومسلم (١٦٧٦).

حديث أم سلمة وعوف بن مالك في صحيح مسلم كما تقدم إيضاحه ورد القائلون بأن غير كافر أدلة مخالفيهم..

بأن المراد بالكفر في الأحاديث المذكورة كفر دون كفر. وليس المراد الكفر المخرج من ملة الإسلام واحتجوا لهذا بأحاديث كثيرة يصرح فيها النبي ﷺ بالكفر وليس مراده الخروج عن ملة الإسلام، قال المجد (في المنتقى): وقد حملوا أحاديث التكفير على كفر النعمة أو على معنى قد قارب الكفر وقد جاءت أحاديث في غير الصلاة أريد بها ذلك فروى ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **(سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)** متفق عليه[١].

- وعن أبي ذر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **(ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر ومن ادعى ما ليس له فليس منا وليتبوأ مقعده من النار)** متفق عليه[٢].

- وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **(اثنان في الناس هما بهما كفر: الطعن في النسب والنياحة على الميت)** رواه أحمد ومسلم[٣].

- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان عمر يحلف (وأبي) فنهاه النبي ﷺ وقال: **(من حلف بشيء دون الله فقد أشرك)** رواه أحمد[٤].

- وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: **(مدمن الخمر إن مات لقي الله كعابد وثن)** رواه أحمد[٥].

انتهى منه بلفظه. وأمثاله في السنة كثيرة جداً ومن ذلك القبيل تسمية **(الرياء شركاً)**[٦] ومنه الحديث الصحيح في البخاري وغيره أن النبي ﷺ قال:

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٣٥) ومسلم (٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٠٨) ومسلم (٦١).

(٣) أخرجه مسلم (٦٧) وأحمد (٢/٤٩٦).

(٤) حسن. رواه أحمد (٢/٣٤، ٦٧، ٦٩، ٨٧، ١٢٥).

(٥) حسن. رواه أحمد (١/٢٧٢) وراجع الصحيحة (٦٧٧).

(٦) صحيح. أخرجه أحمد (٥/٤٢٨و ٤٢٩) وغيره. وسيأتي تخريجه في المبحث التاسع.

(رأيت النار فلم أر منظراً كاليوم أفظع ورأيت أكثر أهلها النساء) قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: **(بكفرهن)** قيل: يكفرن بالله؟ قال: **(يكفرن العشير ويكفرن الإحسان. لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئاً قالت: ما رأيت منك خيراً قط)**[١]، هذا لفظ البخاري في بعض المواضع التي أخرج فيها الحديث المذكور وقد أطلق فيه النبي ﷺ اسم الكفر عليهن فلما استفسروه عن ذلك تبين أن مراده غير الكفر المخرج عن ملة الإسلام.. ثم قال العلامة الشنقيطي في خاتمة هذه المسألة. هذا هو حاصل كلام العلماء وأدلتهم في مسألة ترك الصلاة عمداً مع الاعتراف بوجوبها.

وأظهر الأقوال أدلة عندي: قول من قال إنه كافر. وأجرى الأقوال على مقتضى الصناعة الأصولية وعلوم الحديث قول الجمهور: إنه كفر غير مخرج عن الملة لوجوب الجمع بين الأدلة إذا أمكن. وإذا حمل الكفر والشرك المذكوران في الأحاديث على الكفر الذي لا يخرج عن الملة حصل بذلك الجمع بين الأدلة والجمع واجب إذا أمكن لأن أعمال الدليلين أولى من إلغاء أحدهما كما هو معلوم في الأصول وعلم الحديث.

وقال النووي (في شرح المهذب) بعد أن ساق أدلة من قالوا أنه غير كافر ما نصه: ولم يزل المسلمون يورثون تارك الصلاة ويورثون عنه ولو كان كافراً لم يغفر له ولم يرث ولم يورث.

وأما الجواب عما احتج به من كفره من حديث جابر وبريدة ورواية ابن شقيق ـ فهو أن كل ذلك محمول على أنه شارك الكافر في بعض أحكامه وهو القتل وهذا التأويل متعين للجمع بين نصوص الشرع وقواعده التي ذكرناها... انتهى محل الغرض منه[٢].

وهناك أحاديث أخرى تقوي الرأي الذي يقول بعدم كفره الكفر المخرج من ملة الإسلام كحديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال

---

(١) سبق تخريجه في الباب الثاني: السؤال (٧٩).

(٢) أضواء البيان (٤/ ٣١٠) وما بعدها.

رسول الله ﷺ: **(يدرس الإسلام كما يدرس وَشْيُ الثوب حتى لا يدري ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة وليسري على كتاب الله عز وجل في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة: لا إله إلا الله فنحن نقولها فقال له صلة بن زفر فما تغني عنهم لا إله إلا الله وهم لا يدرون ما صيام ولا صدقة ولا نسك فأعرض عنه حذيفة فرددها عليه ثلاثاً كل ذلك يعرض عنه حذيفة ثم أقبل عليه في الثالثة فقال: يا صلة تنجيهم من النار. ثلاثاً)**[(١)].

قال الشيخ الألباني في كتابه (سلسلة الأحاديث الصحيحة) (١/ ١٣٠) تعليقاً على هذا الحديث ما نصه:

(هذا وفي الحديث فائدة فقهية هامة وهي أن شهادة أن لا إله إلا الله تنجي قائلها من الخلود في النار يوم القيامة ولو كان لا يقوم بشيء من أركان الإسلام الخمسة الأخرى كالصلاة وغيرها، ومن المعلوم أن العلماء اختلفوا في حكم تارك الصلاة خاصة مع إيمانه بمشروعيتها فالجمهور على أنه لا يكفر بذلك بل يفسق وذهب أحمد إلى أنه يكفر وأنه يقتل ردة لا حداً[(٢)] وقد صح

---

(١) صحيح. أخرجه ابن ماجه (٤٠٤٩) وغيره. وانظر الصحيحة للشيخ الألباني (٨٧).

(٢) قلت: للإمام أحمد بن حنبل عدة روايات وقد وضحها شيخ الإسلام في كتاب الإيمان ما نصه: وقد اتفق المسلمون على أنه من لم يأت بالشهادتين فهو كافر وأما الأعمال الأربعة (الصلاة ـ الزكاة ـ الصوم ـ الحج). فاختلفوا في تكفير تاركها ونحن إذا قلنا أهل السنة متفقون على أنه لا يكفر بالذنب فإنما نريد به المعاصي كالزنا والشرب وأما هذه المباني ففي تكفير تاركها نزاع مشهور. وعن أحمد في ذلك نزاع وإحدى الروايات عنه أنه يكفر من ترك واحدة منها وهو اختيار أبي بكر (هو أبو بكر العربي المالكي) وطائفة من أصحاب مالك كابن حبيب وعنه رواية ثانية لا يكفر إلا بترك الصلاة والزكاة فقط ورواية ثالثة لا يكفر إلا بترك الصلاة، والزكاة إذا قاتل الإمام عليها، ورابعة لا يكفر إلا بترك الصلاة وخامسة لا يكفر بترك شيء منهن وهذه أقوال معروفة للسلف... اهـ من كتاب الإيمان لابن تيمية بتحقيق الشيخ محمد خليل هراس ص (٢٥٩ ـ ٢٦٠).

وذكر الشيخ الألباني في رسالته حكم تارك الصلاة ص (٤٦)، ص (٥٨). وفي المقدمة لهذه الرسالة ذكر تلميذه علي حسن عبد الحميد ص (١١، ١٢) ما نصه:

وقال الإمام أحمد المبجَّل أحمد بن حنبل في وصيته لتلميذه الإمام الحافظ مسدد بن مسرهد: =

عن الصحابة أنهم كانوا لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة)[1] رواه الترمذي والحاكم.

وأنا أرى (أي الشيخ الألباني) أن الصواب رأي الجمهور وأن ما ورد من الصحابة ليس نصاً على أنهم كانوا يريدون بـ (الكفر) هنا الكفر الذي يخلد صاحبه في النار ولا يحتمل أن يغفره الله له كيف ذلك وهذا حذيفة بن اليمان ـ وهو من كبار أولئك الصحابة ـ يرد على صلة بن زفر وهو يكاد يفهم الأمر على نحو فهم أحمد له فيقول: (ما تغني عنهم لا إله إلا الله وهم لا يدرون ما صلاة...).

فيجيبه حذيفة رضي الله عنه على أن تارك الصلاة ومثلها بقية الأركان ليس بكافر بل هو مسلم ناج من الخلود في النار يوم القيامة فاحفظ هذا فإنه قد لا تجده في غير هذا المكان.

ثم وقفت على (الفتاوى الحديثية) (٨٤/ ٢) للحافظ السخاوي فرأيته يقول بعد أن ساق بعض الأحاديث الواردة في تكفير تارك الصلاة وهي مشهورة معروفة.

ولكن كل هذا إنما يحمل على ظاهره في حق تاركها جاحداً لوجوبها مع كونه ممن نشأ بين المسلمين لأنه يكون حينئذ كافراً مرتداً بإجماع المسلمين فإن رجع إلى الإسلام قبل منه وإلا قتل. وأما من تركها بلا عذر بل تكاسلاً مع اعتقاده لوجوبها فالصحيح المنصوص الذي قطع به الجمهور أنه لا يكفر وأنه ـ على الصحيح أيضاً بعد إخراج الصلاة الواحدة عن وقتها الضروري ـ كأن يترك الظهر مثلاً حتى تغرب الشمس أو المغرب حتى يطلع

= (ولا يُخرج الرجل من الإسلام شيء إلا الشرك بالله العظيم، أو يرد فريضة من فرائض الله عز وجل جاحداً بها فإن تركها كسلاً أو تهاوناً، كان في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه..) اهـ.

قلت: وعلى هذا يحمل كلام الإمام أحمد بن حنبل بكفر تارك الصلاة على الجاحد لها... والله أعلم.

(١) سبق تخريجه ص٦٥٠.

الفجر يستتاب كما يستتاب المرتد ثم يقتل إن لم يتب ويغسل ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين مع إجراء سائر أحكام المسلمين عليه.

ويُؤَوَّلُ إطلاق الكفر عليه لكونه شارك الكافر في بعض أحكامه وهو وجوب العمل جمعاً بين هذه النصوص وبين ما صح أيضاً عنه ﷺ أنه قال: **(خمس صلوات كتبهن الله)** ـ فذكر الحديث.

وفيه: **(إن شاء عذبه وإن شاء غفر له)**[1].

وقال أيضاً: **(من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة)**[2].

إلى غير ذلك ولهذا لم يزل المسلمون يرثون تارك الصلاة ويورِّثونه ولو كان كافراً لم يغفر له ولم يرث ولم يورث)... اهـ.

وقد قام الشيخ الألباني بكتابة بحث علمي لطيف بعنوان حكم تارك الصلاة والذي قام بنشره تلميذه علي حسن عبد الحميد ومدار هذا البحث على حديث معمر بن راشد في (الجامع) الملحق بـ (مصنف عبد الرزاق) ونصه ما يلي:

ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(إذا خلص المؤمنون من النار وأمنوا فـ (والذي نفسي بيده) ما مجادلة أحدكم لصاحبه في الحق يكون له في الدنيا بأشد من مجادلة المؤمنين ربهم في إخوانهم الذين أدخلوا النار. قال: يقولون: ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويحجون معنا [ويجاهدون معنا] فأدخلتهم النار قال: فيقول اذهبوا فأخرجوا من عرفتم منهم فيأتونهم فيعرفونهم بصورهم لا تأكل النار صورهم [لم تغش الوجه] فمنهم من أخذته النار إلى أنصاف ساقيه ومنهم من أخذته إلى كعبيه «فيخرجون منها بشراً كثيراً» فيقولون: ربنا قد أخرجنا من أمرتنا. قال: ثم [يعودون فيتكلمون فـ] يقول: أخرجوا من كان في قلبه مثقال دينار من الإيمان.**

---

(١) صحيح. أخرجه أبو داود (٤٢٥) والنسائي (١/ ٢٣٠) وغيرهما. وانظر صحيح الترغيب (٣٦٦) للشيخ الألباني.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦) عن عثمان بن عفان رضي الله عنه.

[فيخرجون خلقاً كثيراً] ثم [يقولون: ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا..].

حتى يقول: أخرجوا من كان في قلبه مثقال ذرة (فيخرجون خلقاً كثيراً).

قال أبو سعيد: فمن لم يصدق بهذا الحديث فليقرأ هذه الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء: ٤٠].

قال: فيقولون: ربنا قد أخرجنا من أمرتنا فلم يبق في النار أحد فيه خير قال: ثم يقول الله: شفعت الملائكة وشفعت الأنبياء وشفع المؤمنون وبقي أرحم الراحمين. قال: فيقبض قبضة من النار - أو قال قبضتين - ناساً لم يعملوا لله خيراً قط قد احترقوا حتى صاروا حمماً. قال: فيؤتى بهم إلى ماء يقال له: (الحياة) فيصب عليهم فينبتون كما تنبت الحبَّة في حميل السيل (قد رأيتموها إلى جانب الصخرة وإلى جانب الشجرة فما كان إلى الشمس منها كان أخضر وما كان منها إلى الظل كان أبيض.

قال: فيخرجون من أجسادهم مثل اللؤلؤ وفي أعناقهم الخاتم (وفي رواية الخواتم) عتقاء الله.

قال: فيقال لهم: [ادخلوا الجنة فما تمنيتم ورأيتم من شيء فهو لكم ومثله معه]. [فيقول أهل الجنة هؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه] قال: فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين. قال: فيقول: فإن لكم عندي أفضل منه فيقولون ربنا وما أفضل من ذلك؟ [قال] فيقول: رضائي عنكم فلا أسخط عليكم أبداً).

وإسناده صحيح على شرط الشيخين وبنحوه أخرجه أحمد (٣/ ٩٤) والنسائي (٢/ ٢٧١) وابن ماجه (٦٠) وابن خزيمة في التوحيد والحاكم (٤/ ٥٨٢). وقد أخرجه البخاري (٤٥٨١ و٧٤٣٩) ومسلم (١٨٢) ولكن ليس بتمامه. وانظر تخريج الحديث في رسالة حكم تارك الصلاة للشيخ الألباني ص (٣٠، ٣١)، وذكر الشيخ الألباني فوائد عظيمة في هذا الحديث منها:

شفاعة المؤمنين الصالحين في إخوانهم المصلين الذين أدخلوا النار بذنوبهم ثم بغيرهم ممن هم دونهم على اختلاف قوة إيمانهم ثم يتفضل الله تبارك وتعالى على من بقي في النار من المؤمنين فيخرجهم من النار بغير عمل عملوه ولا خير قدموه. ولقد توهم (بعضهم) أن المراد بالخير المنفي تجويز إخراج غير الموحدين من النار.

قال الحافظ في الفتح (١٣/ ٤٣٨):

(ورد ذلك بأن المراد بالخير المنفي ما زاد على أصل الإقرار بالشهادتين كما تدل عليه بقية الأحاديث) قلت: (أي الشيخ الألباني) منها قوله ﷺ في حديث أنس الطويل في الشفاعة أيضاً: **(فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسَلْ تعط واشفع تشفع فأقول: يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله. فيقول: وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله)** متفق عليه.

وفي حديث أبي سعيد الخدري رد على استنباط ابن أبي جمرة من قوله ﷺ فيه: (لم تغش الوجه) ونحوه الحديث (إلاَّ دارات الوجوه).

إن من كان مسلماً ولكنه كان لا يصلي لا يخرج (من النار) إذ لا علامة له. ولذلك تعقبه الحافظ بقوله (١١/ ٤٦٥) لكنه يحمل على أنه يخرج في القبضة لعموم قوله: (لم يعملوا خيراً قط) وهو مذكور في حديث أبي سَعيد الآتي في التوحيد[١].

وقال الشيخ الألباني وقد فات الحافظ ـ رحمه الله ـ أن في الحديث نفسه تعقباً على ابن أبي جمرة من وجه آخر وهو أن المؤمنين لما شفعهم الله في إخوانهم المصلين والصائمين، وغيرهم في المرة الأولى فأخرجوهم من النار بالعلامة فلما شفعوا في المرات الأخرى وأخرجوا بشراً كثيراً لم يكن فيهم مصلون بداهة وإنما فيهم من الخير كل حسب إيمانهم، وهذا ظاهر جداً لا يخفى على أحد إن شاء الله تعالى، وعلى ذلك فالحديث دليل قاطع على

---

(١) الحديث رقم (٧٤٣٩) فتح الباري.

أن تارك الصلاة إذا مات مسلماً يشهد أن لا إله إلا الله: أنه لا يخلد في النار مع المشركين. ففيه دليل قوي جداً أنه دخل تحت مشيئة الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

انتهى مختصراً من بحث حكم تارك الصلاة للشيخ الألباني.

قلت: ويشهد لمن قال بعدم كفره حديث أبي طالب عند موته وحديث الرجل الذي أوصى أولاده أن يحرقوه بعد موته وكلاهما في صحيح البخاري ونصهما.

الحديث الأول: عن سعيد بن المسيب عن أبيه أنه أخبره (**أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة قال رسول الله ﷺ لأبي طالب: يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعودانِ بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله فقال رسول الله ﷺ: أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه فأنزل الله فيه**: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾ [التوبة: ١١٣])[١].

قال الحافظ بن حجر وفي الحديث أن من لم يعمل خيراً قط إذا ختم عمره بشهادة أن لا إله إلا الله حكم بإسلامه وأجريت عليه أحكام المسلمين فإن قارن نطق لسانه عقد قلبه نفعه ذلك عند الله تعالى، بشرط أن لا يكون وصل إلى حد انقطاع الأمل من الحياة وعجز عن فهم الخطاب ورد الجواب وهو وقت المعاينة وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾ [النساء: ١٨] والله أعلم. انتهى.

الحديث الثاني: ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ:

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٠).

(أن رجلاً كان قبلكم رغسه[1] الله مالاً فقال لبنيه لما حضر: أي أب كنت لكم قالوا خير أب. قال فإني لم أعمل خيراً قط فإذا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ثم ذرُّوني في يوم عاصف ففعلوا فجمعه الله عز وجل فقال: ما حملك؟ قال: مخافتك فتلقاه برحمته)[2].

قال الحافظ ابن حجر في الفتح:

قالت المعتزلة غفر له لأنه تاب عند موته وندم على فعله. فقالت المرجئة: غفر له بأصل توحيده الذي لا تضر معه معصية.

وتعقب الأول بأنه لم يرد أنه رد المظلمة فالمغفرة حينئذ بفضل الله لا بالتوبة لأنها لا تتم إلا بأخذ المظلوم حقه من الظالم وقد ثبت أنه كان نباشاً.

وتعقب الثاني بأنه وقع في حديث أبي بكر الصديق المشار إليه أولاً أنه عذب[3] فعلى هذا فتحمل الرحمة والمغفرة على إرادة ترك الخلود في النار.

وبهذا يرد على الطائفتين معاً: على المرجئة في أصل دخول النار وعلى المعتزلة في دعوى الخلود فيها.

وفيه أيضاً رد على من زعم من المعتزلة أنه بذلك الكلام تاب فوجب على الله قبول توبته.

قال ابن أبي جمرة: كان الرجل مؤمناً لأنه قد أيقن بالحساب وأن السيئات يعاقب عليها وأما ما أوصى فلعله كان جائزاً في شرعهم ذلك لتصحيح التوبة فقد ثبت في شرع بني إسرائيل قتلهم أنفسهم لصحة التوبة. قال: وفي الحديث جواز تسمية الشيء بما قرب منه لأنه قال حضره الموت

---

(١) رغسه الله مالاً: أي كثر ماله وجاء في بعض الروايات آتاه الله مالاً وولداً.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٧٨) وله أطراف أخرى (٣٤٥٢ ـ ٣٤٧٩ ـ ٣٤٨١ ـ ٦٤٨٠ ـ ٦٤٨١ ـ ٧٥٠٦ ـ ٧٥٠٨).

(٣) يشير الحافظ إلى الحديث الذي أورده في الشرح عن حذيفة عن أبي بكر الصديق أن الرجل المذكور هو آخر أهل الجنة دخولاً الجنة وهو آخر أهل النار خروجاً منها) وأشار الحافظ أنه في صحيح أبي عوانة.

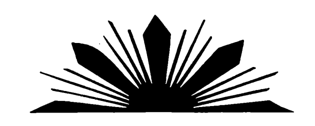
وإنما الذي حضره في تلك الحالة علاماته وفيه فضل الأمة المحمدية لما خفف عنهم من وضع مثل هذه الآصار ومنَّ عليهم بالحنيفية السمحة وفيه عظم قدرة الله تعالى أن جمع جسد المذكور بعد أن تفرق ذلك التفريق الشديد. . . انتهى.

قلت إذا كان هذا الفضل من الله تعالى للأمم السابقة فمثله لهذه الأمة أولى لما خفف الله عنهم من الأثقال. وفي النهاية بعد عرض هذه الأدلة يتضح لكل منصف أن ما ذهب إليه الجمهور هو المذهب الحق وهو أن تارك الصلاة جحوداً منكراً لوجوبها فهو كافر لا تنفعه شفاعة الشافعين وإن كان تركه لها تكاسلاً مع اعتقاده لوجوبها فهذا من كفر العمل الذي لا يخلد صاحبه في النار وتنفعه شفاعة الشافعين بإذن الله رب العالمين.

وليس معنى هذا التهاون في الصلاة وتركها. بل تركها من الكبائر ومن أعظم الذنوب بعد الشرك بالله ويتعرض تاركها لسخط الله تعالى وعقابه وشدة عذابه. ومن يستطع أن يتحمل يوماً من عذاب الله تعالى الذي يعدل ألف سنة مما تعدون.

اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون. اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



المطلب السادس
حكم الصلاة على الميت الذي كان لا يصلي

*** سئل شيخ الإسلام ابن تيمية: عن الصلاة على الميت الذي كان لا يصلي، هل لأحد فيها أجر؟ أم لا؟ وهل عليه إثم إذا تركها، مع علمه أنه كان لا يصلي؟ وكذلك الذي يشرب الخمر، وما كان يصلي، هل يجوز لمن كان يعلم حاله أن يصلي عليه أم لا؟**

أجاب: أما من كان مظهراً للإسلام فإنه تجري عليه أحكام الإسلام الظاهرة:

من المناكحة، والموارثة، وتغسيله، والصلاة عليه، ودفنه في مقابر المسلمين، ونحو ذلك، لكن من علم منه النفاق والزندقة فإنه لا يجوز لمن علم ذلك منه الصلاة عليه. وإن كان مظهراً للإسلام فإن الله نهى نبيه عن الصلاة على المنافقين. فقال: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾[(١)] وقال: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾[(٢)].

وأما من كان مظهراً للفسق مع ما فيه من الإيمان كأهل الكبائر، فهؤلاء لا بد أن يصلي عليهم بعض المسلمين. ومن امتنع من الصلاة على أحدهم زجراً لأمثاله عن مثل ما فعله، كما امتنع النبي ﷺ عن الصلاة على قاتل

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٨٤.

(٢) سورة المنافقون، الآية: ٦.

نفسه، وعلى الغال، وعلى المدين الذي لا وفاء له، وكما كان كثير من السلف يمتنعون من الصلاة على أهل البدع ـ كان عمله بهذه السنة حسناً. وقد قال لجندب بن عبد الله البجلي ابنه: إني لم أنم البارحة بشماً، فقال: أما إنك لو مت لم أصل عليك. كأنه يقول: قتلت نفسك بكثرة الأكل. وهذا من جنس هجر المظهرين للكبائر حتى يتوبوا، فإذا كان في ذلك مثل هذه المصلحة الراجحة كان ذلك حسناً، ومن صلى على أحدهم يرجو له رحمة الله، ولم يكن في امتناعه مصلحة راجحة، كان ذلك حسناً، ولو امتنع في الظاهر ودعا له في الباطن ليجمع بين المصلحتين كان تحصيل المصلحتين أولى من تفويت إحداهما.

وكل من لم يعلم منه النفاق وهو مسلم يجوز الاستغفار له، والصلاة عليه، بل يشرع ذلك، ويؤمر به. كما قال تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[1] وكل من أظهر الكبائر فإنه تسوغ عقوبته بالهجر وغيره، حتى ممن في هجره مصلحة له راجحة فتحصل المصالح الشرعية في ذلك بحسب الإمكان، والله أعلم.

*** وسئل أيضاً: عن رجل يصلي وقتاً، ويترك الصلاة كثيراً، أو لا يصلي، هل يصلى عليه؟؟**

أجاب مثل هذا ما زال المسلمون يصلون عليه، بل المنافقون الذين يكتمون النفاق يصلي المسلمون عليهم، ويغسلون، وتجري عليهم أحكام الإسلام. كما كان المنافقون على عهد رسول الله ﷺ.

وإن كان من علم نفاق شخص لم يجز له أن يصلي عليه. كما نهى النبي ﷺ عن الصلاة على من علم نفاقه.

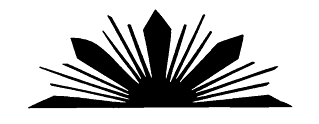
وأما من شك في حاله فتجوز الصلاة عليه، إذا كان ظاهر الإسلام. كما صلى النبي ﷺ على من لم ينه عنه، وكان فيهم من لم يعلم نفاقه. كما قال تـعـالـى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى

---

(١) سورة محمد، الآية: ١٩

ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ ﴾[(١)] ومثل هؤلاء لا يجوز النهي عنه، ولكن صلاة النبي ﷺ والمؤمنين على المنافق لا تنفعه، كما قال النبي ﷺ ـ لما ألبس ابن أبي قميصه «**وما يغني عنه قميصي من الله**»[(٢)] وقال تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ﴾[(٣)].

وتارك الصلاة أحياناً، وأمثاله من المتظاهرين بالفسق، فأهل العلم والدين إذا كان في هجر هذا، وترك الصلاة عليه منفعة للمسلمين بحيث يكون ذلك باعثاً لهم على المحافظة على الصلاة عليه [هجروه ولم يصلوا عليه]، كما ترك النبي ﷺ الصلاة على قاتل نفسه والغال، والمدين الذي لا وفاء له، وهذا شر منهم[(٤)].



(١) سورة التوبة، الآية: ١٠١.

(٢) حديث مرسل عن قتادة رواه بصيغة التمريض أخرجه الطبري في التفسير (الآية ٨٤/ التوبة) وأبو الشيخ عن قتادة (الدرر المنثور: الآية ٨٤/التوبة).

(٣) سورة المنافقون، الآية: ٦.

(٤) راجع مجموع الفتاوى (٢٤/ ٢٨٥) والفتاوى الكبرى (٣/ ١٧).

المبحث الثامن
سؤال الله تعالى للموءودة وقاتل النفس بغير حق:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾ [التكوير: ٨ ـ ٩].

الوأد: الثقل. كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة: ٢٥٥].

والموءودة: المثقلة بالتراب حتى الموت وهي الجارية كانت تدفن حية فكانوا يحفرون لها الحفرة ويلقونها فيها ثم يهيلون عليها التراب.

وقوله تعالى: ﴿بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾ إشعار بأنه لا ذنب لها فتقتل بسببه بل الجرم على قاتلها. ولكن لعظم الجرم يتوجه السؤال إليها تبكيتاً لوائدها. وكان للوأد عند العرب في الجاهلية سببان:

الأول: اقتصادي. خشية إملاق. ومن إملاق حاضر.

الثاني: حمية وغيرة.

وقد رد القرآن عليهم في السبب الأول في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الإسراء: ٣١].

وقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ﴾ [الأنعام: ١٥١].

وأخيراً كان هذا التساؤل شديد التوبيخ لهم.

﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾﴾.

وفي هذه الآية أثيرت مرة أخرى وبشكل آخر أثارها أعداء المسلمين مكيدة للسذج فأثيرت من الناحية الاقتصادية. وكان مبدؤها المعروف عند كتَّاب هذا العصر بنظرية (مالتس) والآن لغرض عسكري لتقليل عدد جنود المسلمين حينما علم العدو أن الإسلام يبيح تعدد الزوجات مثنى وثلاث ورباع فأرادوا أن يوقفوا هذا النمو.

وفي هذه الآونة نسمع ونقرأ عن المعونة الأمريكية وما أدراك ما المعونة الأمريكية هذه المعونة التي توجه إلى تحديد النسل في مصر. فأي معونة هذه ثم نجد بعد ذلك الإعلام بصوره المختلفة يتحدث عن تحديد النسل وغلاء المعيشة ويكفيك ولد واحد أو ولدين وغير ذلك. ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ . . .﴾ [الأنفال: ٣٠].

ويكفي أن نورد هنا قوله ﷺ: «**تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة ولا تكونوا كرهبانية النصارى**»(١).

- وعن معقل بن يسار قال: قال رسول الله ﷺ: «**تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم**»(٢).

والذي يهمنا في هذا المقام تنبيه المسلمين إلى أن هذه الدعوة إلى تحديد أو تنظيم النسل منشؤها من اليهود وتشجيعها في الشرق من دول الغرب، وكثير من الدول الغربية تبذل المال الطائل لتفشي هذا الأمر في دول الشرق الأوسط وخاصة الإسلامية والعربية وهؤلاء اليهود ومن والاهم مهما دبروا ومكروا فإن الله تعالى هو القاهر فوق عباده.

﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١] فقتل النفس حرام إلا بالحق.

كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۗ . . .﴾ الآية

---

(١) حسن. رواه البيهقي في الكبرى عن أبي أمامة مرفوعاً وانظر السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني (١٧٨٢).

(٢) صحيح. أبو داود (٢٠٥٠) والنسائي في النكاح. وغيرهما.

[الأنعام: ١٥١]. فإذا كان الكفار والمشركون يقتلون بناتهم خشية الفقر وغير ذلك من اعتقاد فاسد فإن القتل حرام على المؤمنين أيضاً.

ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً»**[١].

ـ وعنه قال: (إن من ورطات[٢] الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله)[٣].

ـ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يجيء الرجل آخذاً بيد الرجل فيقول: يا رب هذا قتلني، فيقول الله له: لم قتلته؟ فيقول: إن هذا قتلني فيقول الله له: لم قتلته؟ فيقول: لتكون العزة لفلان، فيقول إنها ليست لفلان فيبوء بإثمه)**[٤].

ـ وعن جندب حدثني فلان أن رسول الله ﷺ قال: **«يجيء المقتول بقاتله يوم القيامة فيقول يا رب سل هذا فيما قتلني، فيقول: قتلته على ملك فلان» قال جندب فاتقها**[٥].

ـ وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **«أول ما يقضى بين الناس في الدماء»**[٦].

قال النووي ـ رحمه الله ـ:

في الحديث تغليظ أمر الدماء وأنها أول ما يقضى فيه بين الناس يوم

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٦٢).

(٢) الورطات: جمع ورطة وهي الهلاك يقال: فلان وقع في ورطة أي في شيء لا ينجو منه.

(٣) أخرجه البخاري (٦٨٦٣).

(٤) صحيح لما بعده. أخرجه النسائي (٧/ ٨٤) تحريم الدم/ باب تعظيم الدم.

(٥) صحيح. أخرجه النسائي (٧/ ٨٤) تحريم الدم/ باب تعظيم الدم. وأحمد (٥/ ٣٦٧). ولا يضر عدم ذكر الصحابي لأن مراسيل الصحابة حجة.

(٦) أخرجه البخاري (٦٨٦٤) ومسلم (٤٣٠٢) نووي. قلعجي، (١٦٧٨) عبد الباقي.

القيامة وهذا لعظم أمرها وكثير خطرها.

وقال القاضي ابن العربي[1] في الحديث الأول: الفسحة في الدين سعة الأعمال الصالحة حتى إذا جاء القتل ضاقت لأنها لا تفي بوزره والفسحة في الذنب قبوله الغفران بالتوبة حتى إذا جاء القتل ارتفع القبول وحاصله أنه فسره على رأي ابن عمر في عدم قبول توبة القاتل... اهـ.

ويدخل في ذلك التشديد في قتل المؤمن بل أي نفس بغير حق.

قال تعالى: **﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾** [المائدة: ٣٢].

قال العوفي عن ابن عباس في قوله: **﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾** يقول: من قتل نفساً واحدة حرمها الله فهو مثل من قتل الناس جميعاً.

وقال سعيد بن جبير: من استحل دم مسلم فكأنما استحل دماء الناس جميعاً ومن حرم دم مسلم فكأنما حرم دماء الناس جميعاً. قال ابن كثير: هذا قول وهو الأظهر. وصح الحديث في الوعيد لمن قتل المعاهد بغير حق.

- عن أبي هريرة مرفوعاً قال: **(من قتل نفساً معاهدة بغير حقها لم يرح رائحة الجنة وإن ريح الجنة توجد من مسيرة مائة عام)**[2].

وقال الله تعالى في جزاء قاتل المؤمن.

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: ٩٣].

وهذا تهديد شديد ووعيد أكبر لمن تعاطى هذا الذنب العظيم. وذكر البخاري في صحيحه عن سعيد بن جبير قال: (أمرني عبد الرحمن بن أبزى أن أسأل ابن عباس عن هاتين الآيتين **﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾** فسألته فقال: لم ينسخها شيء.

---

(١) انظر فتح الباري (١٢/ ١٩٥).

(٢) صحيح. رواه الضياء في صفة الجنة وانظر الصحيحة للشيخ الألباني (٢٣٥٦).

وعن ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨] قال: نزلت في أهل الشرك)[١].

وقال الحافظ في الفتح[٢]:

وقول ابن عباس بأن المؤمن إذا قتل مؤمناً متعمداً لا توبة له مشهور عنه.

وقد جاء عنه في ذلك ما هو أصرح مما تقدم. فروى أحمد والطبري من طريق يحيى الجابر والنسائي وابن ماجه من طريق عمار الذهبي كلاهما عن سالم بن أبي الجعد قال: (كنت عند ابن عباس بعد ما كف بصره فأتاه رجل فقال: ما ترى في رجل قتل مؤمناً متعمداً؟ قال جزاؤه جهنم خالداً فيها وساق آية النساء إلى ﴿عَظِيمًا﴾.

قال: لقد نزلت في آخر ما نزل وما نسخها شيء حتى قبض رسول الله ﷺ وما نزل وحي بعد رسول الله ﷺ. قال: **أفرأيت إن تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً ثم اهتدى؟**.

قال: وأنَّى له التوبة والهدى؟

قلت: وجاءت زيادة في رواية ابن ماجه وهي قول ابن عباس بعد السؤال قال: (ويحه، وأنَّى له الهدى؟ سمعت نبيكم ﷺ يقول: **يجيء القاتل والمقتول يوم القيامة متعلق برأس صاحبه يقول: ربِّ سل هذا لم قتلني؟ والله لقد أنزلها الله عز وجل على نبيكم ثم ما نسخها بعدما أنزلها)**[٣].

ثم قال الحافظ: وجاء على وفق ما ذهب إليه ابن عباس في ذلك أحاديث كثيرة منها: ما أخرجه أحمد والنسائي من طريق ابن إدريس الخولاني عن معاوية سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا**

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٦٦) ومسلم (١٢٢) عبد الباقي.

(٢) (٨/٣٥٤).

(٣) صحيح. أخرجه ابن ماجه (٢٦٢١).

الرجل يموت كافراً والرجل يقتل مؤمناً متعمداً»[1].

وقد حمل جمهور السلف وجميع أهل السنة ما ورد من ذلك على التغليظ وصححوا توبة القاتل كغيره. وقالوا: معنى قوله ﴿**فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ**﴾ أي إن شاء الله تعالى أن يجازيه تمسكاً بقوله تعالى في سورة النساء أيضاً ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ**﴾[2].

ومن الحجة في ذلك حديث الإسرائيلي الذي قتل تسعة وتسعين نفساً ثم أتى تمام المائة فقال له: لا توبة فقتله فأكمل به مائة. ثم جاء آخر فقال: (**ومن يحول بينك وبين التوبة**..)[3] الحديث، وهو مشهور. وإذا ثبت ذلك لمن قبل من غير هذه الأمة فمثله لهم أولى لما خفف الله عنهم من الأثقال التي كانت على من قبلهم. اهـ.

ـ وعن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا من مات مشركاً أو مؤمن قتل مؤمناً متعمداً**»[4].

وعلق على هذا الحديث الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٥١١) بقوله: والحديث في ظاهره مخالف لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ**﴾.

لأن القتل دون الشرك قطعاً فكيف لا يغفره الله وقد وفق المناوي تبعاً لغيره بحمل الحديث على ما إذا استحل وإلا فهو تهويل وتغليظ وخير منه قول السندي في حاشيته على النسائي.

(وكأن المراد كل ذنب ترجى مغفرته ابتداء إلا قتل المؤمن فإنه لا يغفر بلا سبق عقوبة وإلا الكفر فإنه لا يغفر أصلاً ولو حمل على القتل مستحلاً لا

---

(١) حسن. أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٩٩) والنسائي (٧/ ٨١) في كتاب تحريم الدم.

(٢) النساء: (٤٨).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٧٠) ومسلم (٢٧٦٦) عبد الباقي.

(٤) صحيح أخرجه أبو داود (٤٢٧٠). وابن حبان والحاكم: وانظر الصحيحة للشيخ الألباني (٥١١).

يبقي المقابلة بينه وبين الكفر «يعني لأن الاستحلال كفر ولا فرق بين استحلال القتل أو غيره من الذنوب إذ كل ذلك كفر» ثم لا بد من حمله على ما إذا لم يتب وإلا فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له. كيف وقد يدخل القاتل والمقتول الجنة معاً كما إذا قتله وهو كافر ثم آمن وقتل)[١] . . اهـ.

ـ وعن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: «**لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم**»[٢].

ـ وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**لو أن أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله في النار**»[٣].

ويدخل في هذا الوعيد من يقتل نفسه. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ . . .﴾ [النساء: ٣٠].

ـ عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من حلف بملة غير الإسلام كاذباً متعمداً فهو كما قال ومن قتل نفسه بحديدة عُذِّب به في نار جهنم**»[٤].

ـ عن جندب رضي الله عنه قال: (**كان برجل جراح فقتل نفسه فقال الله: بدرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة**)[٥].

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيه خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تحسى سمًّا فقتل نفسه فسمُّه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأبها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً**»[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٢٦).

(٢) صحيح أخرجه الترمذي (١٣٩٥) والنسائي (٧/ ٨٢) وابن ماجه (٢٦١٩) بلفظ: (من قتل مؤمن بغير حق).

(٣) صحيح. أخرجه الترمذي (١٣٩٨).

(٤) أخرجه البخاري (١٣٦٣) ومسلم (٢٩٥) النووي. قلعجي، (١١٠) عبد الباقي.

(٥) أخرجه البخاري (١٣٦٤) مسلم (٣٠٠) نووي، قلعجي، (١١٣) عبد الباقي.

(٦) أخرجه البخاري (٥٧٧٨) مسلم (٢٩٣) نووي. قلعجي، (١٠٩) عبد الباقي.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **«الذي يخنق نفسه يخنقها في النار والذي يطعنها يطعنها في النار»**[1].

فقتل النفس بغير حق من كبائر الذنوب بعد الشرك بالله ومن أفظع الجرائم وأشنعها لا يرقي إلى ذلك شك، ولا يحوم حوله ريب، فإذا كان القتل محرماً في جميع الأديان وحرمته ذو العقول والعرفان فإن قتل الإنسان نفسه أشد تحريماً وأعظم شناعة لا يقدم عليه إلا قليل العقل فاقد الإيمان أو بلغ إيمانه بالله درجة من الضعف بحيث لا يقوى على حجزه عن الوقوع في هذه الخصلة الشنعاء.

وقال النووي ـ رحمه الله ـ في شرح مسلم:

وأما قوله ﷺ: «فهو في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً» فقيل فيه أقوال:

أحدهما: أنه محمول على من فعل ذلك مستحلاً مع علمه بالتحريم فهذا كافر وهذه عقوبته.

والثاني: أن المراد بالخلود طول المدة والإقامة المتطاولة لا حقيقة الدوام كما يقال خلد الله ملك السلطان.

والثالث: أن هذا جزاؤه ولكن تكرم سبحانه وتعالى فأخبر أنه لا يخلد في النار من مات مسلماً... انتهى.

بعد بيان الوعيد الشديد للقاتل سواء كان لنفسه أو لغيره فليتق الله كل من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، وليعلم أن حرمة دم المسلم أشد من حرمة الكعبة المشرفة.

وليتق الله أولئك الذين عندهم عادة الثأر هذه العادة الجاهلية وهذه العادة منتشرة في صعيد مصر، وحكى لي بعض أبناء الصعيد أن رجلاً قتل رجلاً ولكن المقتول لم يكن له أحد يأخذ بثأره من الذكور، فقامت زوجته

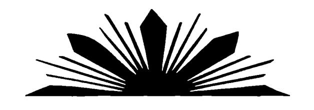
(١) أخرجه البخاري (١٣٦٥).

بتتبع القاتل لزوجها حتى قتلته في مدينة القاهرة، فليسارعوا أصحاب هذه العادة الخبيثة بالتوبة إلى الله تعالى إن كانوا يؤمنون بالله واليوم الآخر.

وليتق الله حكام المسلمين الذين يرون إخوانهم المسلمين المستضعفين في بلاد الكفر والإلحاد ولا يقدمون لهم يد المساعدة سوى كلام باهت يكتب على صفحات الجرائد أنهم يشجبوا هذا العمل. والعجب كل العجب أن قتل المؤمنين يكون في الدول التي تسمى بالدول الإسلامية وذلك لمن يصدع بالحق منهم من العلماء أو من الأفراد الذين ينادون بتحكيم شرع الله تعالى ولا نشكوا بثنا وحزننا إلا إلى الله تعالى ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٤].

فإن لهم يوماً يسألون فيه أمام ملك الملوك عن هذه الأنفس التي قتلت بغير حق ولا يجدون جواباً ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨﴾ [البروج: ٨]. فمن ينجيهم من عذاب الله وحجتهم يومئذ داحضة فليراجع هؤلاء أنفسهم ويتوبون إلى الله تعالى ويتبرؤون من اليهود والنصارى الذين يحثونهم على ذلك ويخوفونهم من المسلمين أو ما يطلقون عليهم بالأصوليين أو المتشددين أو المتطرفين.. إلخ. وحسبنا الله ونعم الوكيل. والمقصود بهذا كله هم المسلمون فيقوم الذين كفروا من أهل الكتاب والملحدين وغيرهم من أعداء المسلمين بتحذير حكام المسلمين من هؤلاء خشية أن ينزعوا الكراسي من تحتهم أو ينزعوهم من فوق الكراسي.

وأذكر هؤلاء بقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ۝١٦٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ۝١٦٧﴾ [البقرة: ١٦٥ ـ ١٦٧].



المبحث التاسع
سؤال الله تعالى للعبد عن حقيقة النية في عمله:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول الناس يقضي يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جريء. فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن. فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارىء. فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل وسَّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت. ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار**»(١).

قال النووي ـ رحمه الله ـ في شرح مسلم:

قوله ﷺ في الغازي والعالم والجواد وعقابهم على فعلهم ذلك لغير الله وإدخالهم النار دليل على تغليظ تحريم الرياء وشدة عقوبته. وعلى الحث على وجوب: الإخلاص في الأعمال كما قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٠٥) والترمذي (٢٣٨٢) والنسائي في الكبرى (٣/ ٤٣٤٥).

مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [البينة: ٥] وفيه أن العموميات الواردة في فضل الجهاد إنما هي لمن أراد الله تعالى بذلك مخلصاً وكذلك الثناء على العلماء وعلى المنفقين في وجوه الخيرات، كله محمول على من فعل ذلك لله تعالى مخلصاً. . . انتهى.

فلا بد للعبد أن يعقد بقلبه عزماً جازماً لا تردد فيه أن جميع ما يعمله من الأعمال المشروعة مقصودة بها وجه الله تعالى والتقرب إليه وطلب رضاه واحتساب ثوابه. وجاء في الحديث الصحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»**[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: إن النية المجردة من العمل يثاب عليها والعمل المجرد عن النية لا يثاب عليه، فإنه قد ثبت بالكتاب والسنة واتفاق الأئمة: أن من عمل الأعمال الصالحة بغير إخلاص لله لم يقبل منه ذلك، وقد ثبت في الصحيحين من غير وجه عن النبي ﷺ أنه قال: **«من همَّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة»**[٢].

وأن من نوى الخير وعمل منه مقدوره وعجز عن إكماله كان له أجر عامل، كما في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه: **«أن رسول الله ﷺ رجع من غزوة تبوك فدنا من المدينة فقال: إن بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم، قالوا: يا رسول الله وهم بالمدينة؟ قال: وهم بالمدينة حبسهم العذر»**[٣] فقال ابن المبارك: رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية. وقال الفضيل بن عياض: إنما يريد الله عز وجل منك نيتك وإرادتك.

---

(١) أخرجه البخاري (١) مسلم (١٩٠٧) عبد الباقي.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٩١) مسلم (١٣٠) عبد الباقي.

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٣٩) ومسلم (١٩١١) عبد الباقي.

قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وقوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

قال الفضيل بن عياض عن العمل المقبول هو: أخلصه وأصوبه، فإن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً: لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً. والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة. فالعمل الصالح لا بد أن يراد به وجه الله تعالى فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما أريد به وجهه وحده كما جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **قال الله تبارك وتعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»**[1].

وقد أمرنا الله بإخلاص الدين له قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

وقوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣].

وغير ذلك من الآيات وقد حذر الله من الرياء.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ . . .﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وقال الله على المنافقين: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

وقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۝٦﴾ [الماعون: ٤ ـ ٦].

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تعلم علماً مما**

(١) صحيح رواه أبو داود (٣٦٦٤) وغيره.

يبتغي به وجه الله عز وجل لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة»[1] يعني ريحها.

- عن جندب بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سمَّع سمَّع الله به ومن يرائي يرائي الله به**»[2].

قال الحافظ ابن حجر:

والرياء من الرؤية والمراد به إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدوا صاحبها. والسمعة مشتقة من سمع، والمراد بها نحو ما في الرياء لكنها تتعلق بحاسة السمع والرياء بحاسة البصر.

وقال الغزالي: المعنى طلب المنزلة في قلوب الناس بأن يريهم الخصال المحمودة والمرائي هو العامل.

وقال ابن عبد السلام: الرياء أن يعمل لغير الله والسمعة أن يخفي عمله لله ثم يحدث به الناس.

عن محمود بن لبيد أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله قال: الرياء، يقول الله عز وجل: جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء**»[3].

وعن محمود بن لبيد قال: خرج النبي ﷺ فقال: «**يا أيها الناس إياكم وشرك السرائر» قالوا: يا رسول الله وما شرك السرائر؟ قال: «يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته جاهداً لما يرى من نظر الناس إليه فذلك شرك السرائر**»[4].

---

(١) صحيح. رواه أبو داود (٣٦٦٤)، وابن ماجه (٢٥٢) وغيرهما.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٩٩) ومسلم (٢٩٨٧) عبد الباقي.

(٣) صحيح. رواه أحمد (٥/٤٢٨، ٤٢٩) وابن أبي الدنيا والبيهقي وغيرهم وانظر صحيح الترغيب (٢٩) للشيخ الألباني.

(٤) حسن. رواه ابن خزيمة في صحيحه (٩٣٧) وغيره وانظر صحيح الترغيب للشيخ الألباني (٢٨).

وقال الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ: ترك العمل لأجل الناس رياء والعمل لأجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما.

وقال بعض السلف: الإخلاص أن لا تطلب على عملك شاهداً غير الله ولا مجازياً سواه.

*** أسباب الرياء أو السمعة[1]:**

للرياء أو السمعة أسباب أو بواعث توقع فيه وتؤدي إليه نذكر منها:

(١) النشأة الأولى:

إذ قد ينشأ الولد في أحضان بيت دأبه وديدنه الرياء أو السمعة فما يكون منه إلا التقليد والمحاكاة وبمرور الزمن تتأصل هذه الآفة في نفسه وتصبح وكأنما هي جزء لا يتجزأ من شخصيته.

(٢) الصحبة أو الرفقة السيئة:

وقد تحتويه صحبة أو رفقة سيئة لا هم لها إلا الرياء أو السمعة فيقلدهم ويحاكيهم لا سيما إذا كان ضعيف الشخصية شديد التأثر بغيره وبتوالي الأيام يتمكن هذا الداء من نفسه ويطبعها بطابعه. فلا بد من ضرورة أن تكون الصحبة طيبة تحترم شرع الله وتعمل به.

(٣) عدم المعرفة الحقيقية بالله ـ عز وجل ـ:

هو السبب أو الباعث على الرياء أو السمعة. إذ أن الجهل بالله أو نقصان المعرفة به يؤدي إلى عدم تقديره حق قدره ومن ثمَّ يظن هذا الجاهل بالله الذي لم يعرفه حق المعرفة ولم يقدره حق قدره، أن العباد يملكون شيئاً من الضر أو النفع فيحرص على مراءاتهم وتسميعهم كل ما يصدر عنه من الصالحات ليمنحوه شيئاً مما يتصور أنهم مالكوه، ولعل ذلك هو السر في دعوة الإسلام إلى المعرفة بالله أولاً: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

---

(١) انظر كتاب آفات على الطريق: د. السيد محمد نوح ج ٢.

بل وتطبيقه ذلك حيث دار القرآن المكي وعمل الرسول ﷺ طوال المرحلة المكية حول التعريف بأصول العقيدة وتأكيدها وترسيخها في النفس.

(٤) الرغبة في الصدارة أو المنصب:

وقد تدفع الرغبة في الصدارة أو في المنصب إلى الرياء أو السمعة حتى يثق به من بيدهم هذا الأمر فيجعلوه في الصدارة أو يبوئوه المنصب.

(٥) الطمع فيما في أيدي الناس:

وقد يحمله الطمع فيما بين أيدي الناس والحرص على الدنيا على الرياء أو السمعة ليثق به الناس وترق قلوبهم له فيعطونه ما يملأ جيبه ويشبع بطنه وفي سؤال الأعرابي للنبي ﷺ: «**الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله؟ قال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**»[(١)].

(٦) إشباع غريزة حب المحمدة أو الثناء من الناس:

وقد يدعوه حب المحمدة أو الثناء من الناس إلى الرياء أو السمعة حتى يكون حديث كل لسان وذكر كل مجلس فتنتفش نفسه وتنتفخ بذلك ـ والعياذ بالله ـ ويشير إلى ذلك الحديث سابق الذكر.

(٧) شدة ذوي المسؤولية في المحاسبة:

وقد تكون شدة ذوي المسؤولية في المحاسبة هي السبب في الرياء أو السمعة لا سيما إذا كان هناك ضعف في الإرادة وفتور في العزيمة وكأنه يحاول بهذا الرياء أو بهذه السمعة ستر ضعفه وفتوره. وصدق رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إذ يقول لعائشة: «**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه**»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٠) مسلم (١٩٠٤) عبد الباقي.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٩٤) عبد الباقي.

(٨) إظهار الآخرين إعجابهم به وبما يصدر عنه من أعمال:

وقد يكون إظهار الآخرين إعجابهم به وبما يصدر عنه من أعمال هو الباعث على الرياء أو السمعة كي يكون هناك مزيد من هذا الإعجاب.

(٩) الخوف من قالة الناس لا سيما الأقران:

وقد يكون الخوف من قالة الناس لا سيما الأقران هو الباعث على الرياء أو السمعة حتى يظهر أمامهم بالصورة التي ترضيهم وتسكت ألسنتهم عنه وإذا ما خلا بنفسه انتهك محارم الله.

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾ [النساء: ١٠٨].

(١٠) الجهل والغفلة عن العواقب أو الآثار الناجمة عن الرياء أو السمعة:

وأخيراً قد يكون الجهل أو الغفلة عن العواقب أو الآثار الناجمة عن الرياء أو السمعة هي السبب في مراءاة الناس أو تسميعهم، فإن من جهل أو غفل عن عاقبة شيء ما لا سيما إذا كانت هذه العاقبة ضارة تعاطي هذا الشيء حتى يصير خلقاً له.

*** آثار الرياء أو السمعة:**

وللرياء أو للسمعة آثار ضارة وعواقب مهلكة منها:

(١) الحرمان من الهداية والتوفيق:

ذلك أن الله عز وجل هو وحده الذي يملك الهداية والتوفيق وهو وحده الذي يمن بهما عن من يشاء ويمنعهما ممن يشاء لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه وقد مضت سنته وجرى قضاؤه أنه لا يمنحهما إلا لمن علم منه الإخلاص وصدق التوجه إليه.

قال تعالى: ﴿وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [الرعد: ٢٧].

وقوله تعالى: ﴿وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣].

والمرائي والمسمع بدد هذا الإخلاص وضيع ذلك الصدق فأنى له الهداية والتوفيق.

وصدق الله إذ يقول ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الصف: ٥].

(٢) الضيق والاضطراب النفسي:

ذلك أن المرائي أو المسمع إنما يفعل ما يفعل طلباً لمرضاة الناس وطمعاً فيما بأيديهم. وقد يحول قضاء الله وقدره دون تحقيق ذلك نظراً لأن الأمور عنده سبحانه تجري بالمقادير. قال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨] وحينئذ يعتريه الضيق والاضطراب النفسي فلا هو بالذي ظفر برضا الله عز وجل ولا هو بالذي حصل ما كان يؤمله ويرجوه من الناس.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١٧].

(٣) نزع الهيبة من قلوب الناس:

ذلك أن الله وحده هو الذي يملك غرس هذه الهيبة في قلوب من يشاء من عباده، بيد أن ذلك مرهون بتقديم الإخلاص بين يدي كل سلوك أو تصرف. والمرائي أو المسمع أضاع هذه الرهينة فضيع الله عليه الهيبة ونزعها من قلوب الناس فصار هيناً عليهم.

قال تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍۚ﴾ [الحج: ١٨].

(٤) الإعراض من الناس وعدم التأثر:

ذلك أن القلب هو محل التأثر من الإنسان، والقلوب بيد الرحمن يقلبها كيف يشاء ومن راءى أو سمَّع بعمله فقد قطع ما بينه وبين الله، وأنَّى لذلك أن يمنحه الله إقبالاً من الناس أو تأثيراً فيهم لذا تراه إذا تكلم لا يسمع وإذا عمل لا يحرك.

(٥) عدم إتقان العمل:

ذلك أن المرائي أو المسمع إنما يراقب الخلق لا الخالق، والخلق مهما كانت طاقاتهم وإمكاناتهم عاجزون عن المتابعة في كل بيئة وفي كل وقت وفي كل ظرف أو ملابسة لذا فإن عجزهم هذا ينتهي بالمرائي أو بالمسمِّع إلى عدم إتقان العمل الأمر الذي يفقده ثقة الناس ويكون بذلك قد ضيع نفسه من حيث أراد مصلحتها أو منفعتها وصدق الحق ـ تبارك وتعالى ـ إذ يقول: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣].

وقد أشار الله عز وجل إلى هذا في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

(٦) الفضيحة في الدنيا وعلى رؤوس الأشهاد يوم القيامة:

ذلك أن المرائي أو المسمع إنما يقصد بعمله هذا خداع غيره ليعطيه هذا الغير زمامه وليسلم إليه قياده ويأبى الله عز وجل ذلك نظراً لما يمكن أن يصنعه هذا المرائى أو هذا المسمع من إفساد في الأرض وإهلاك للحرث والنسل.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [البقرة: ٢٠٤ ـ ٢٠٦].

لذا فإنه يفضحه في الدنيا ولو بعد حين حتى يحذره الناس ولا يغتروا به، أما في الآخرة فإن الفضيحة تكون مزيداً من الانتقام والعذاب كما سبق التصريح بهذا السبب في قول النبي ﷺ: **«من سمَّع سمَّع الله به ومن يرائي يرائي الله به» متفق عليه.**

(٧) الوقوع في غوائل الإعجاب بالنفس ثم الغرور ثم التكبر:

ذلك أن المرائي أو المسمع يخدع كثيراً من الناس فترة زمنية معينة، وخلال هذه الفترة تلهج ألسنة الناس وأفئدتهم بحمده والثناء عليه وقد يحمله ذلك على الإعجاب بنفسه ثم الغرور ثم التكبر ثم يعيث في الأرض فساداً

ويؤكد ذلك ما نشاهده في الوقت الحاضر من أن كثيراً من ذوي القيادة في أمتنا يسلكون سبيل الرياء أو التسميع، حتى إذا انخدع بهم الدهماء والعامة وسبحوا بحمدهم انقلبوا إلى معجبين بأنفسهم ثم مغرورين ثم متكبرين، ثم سلطوا على الذين يفهمونهم منذ اللحظة الأولى يسومونهم سوء العذاب وأخيراً يسلطون على أولئك الذين ضيعوهم فيأكلونهم.

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾ [إبراهيم: ٢٨ - ٢٩].

(٨) بطلان العمل:

ذلك أن الحق ـ سبحانه وتعالى ـ مضت سنته في خلقه ألا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً له وابتغى به وجهه. قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]. والمرائي جعل لنفسه وللناس حظاً من عمله وأنَّى لذلك أن يقبل الله منه عملاً أو أن يثيبه عليه.

قال تعالى: ﴿۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾ [طه: ١١١].

وقوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣].

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**قال الله عز وجل: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل لي عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه بريء، وهو للذي أشرك**»[١].

وهكذا ينتهي الرياء أو السمعة بصاحبه إلى بطلان العمل ورده وعدم قبوله.

---

(١) صحيح. رواه ابن ماجه (٤٢٠٢) وابن خزيمة والبيهقي وغيرهم.

(٩) العذاب الشديد في الآخرة:

وأخيراً فإن من حبط عمله على النحو الذي قدمنا ليس له من جزاء إلا العذاب الشديد في الآخرة ولذلك العذاب صور أبرزها صورتان:

الأولى: أنه يكون أول من تسعر بهم النار كما سبق الحديث. ولذلك حذرنا الله من هذا المصير بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

الأخرى: الإلقاء في النار بحيث تخلع مفاصله وتنفك أوصاله وتسقط أمعاؤه ويدور بها على مشهد ومرأى من أهل النار جميعاً.

- عن أسامة بن زيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيجتمع إليه أهل النار، فيقولون: يا فلان ما لك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول: بلى. قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه**» متفق عليه[١].

*** هذا والطريق لعلاج الرياء والسمعة يتلخص في:**

(١) تذكر عواقب الرياء أو السمعة الدنيوية والأخروية على النحو الذي قدمنا آنفاً فإن ذلك له أثر كبير في تحريك القلوب لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

(٢) الانسلاخ من صحبة المعروفين بالرياء أو السمعة ومصاحبة المخلصين الصادقين.

(٣) معرفة الله عز وجل حق المعرفة فإن هذه المعرفة تعين على تقدير الله حق قدره الأمر الذي يؤدي إلى التخلص من الرياء أو السمعة ثم التحلي بالإخلاص وسبيل ذلك معايشة الكتاب والسنة.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٦٧) مسلم (٢٩٨٩) عبد الباقي.

(٤) مجاهدة النفس حتى تهذب من الغرائز التي تملي على الإنسان الرياء أو السمعة والتي من جملتها التي في الصدارة أو المنصب وكذلك الطمع فيما في أيدي الناس وحب الثناء أو المحمدة.

(٥) رفق ذوي المسؤولية في المحاسبة فإن الرفق ما كان في شيء إلا زانه وما نزع من شيء إلا شانه.

(٦) الالتزام بآداب الإسلام في المعاملة وغيرها فلا غلو في الاحترام والتقدير ولا إهمال ولا تقصير وإنما هو الأمر الوسط وخير الأمور أوساطها.

(٧) الوقوف على أخبار المرائين ومعرفة عواقبهم فإن ذلك مما يساعد على تجنب هذا الداء أو هذه الآفة لئلا تكون العاقبة كعاقبة هؤلاء.

(٨) دوام النظر أو السماع للنصوص المرغبة في الإخلاص والمحذرة من الرياء.

(٩) محاسبة النفس أولاً بأول للوقوف على عيوبها ثم التخلص من هذه العيوب.

(١٠) وعن الدواء النافع أن يعود نفسه إخفاء العبادات وإغلاق الأبواب دونها كما تغلق الأبواب دون الفواحش فإنه لا دواء في الرياء مثل إخفاء الأعمال فعلى العبد المجاهدة ومن الله التوفيق.

(١١) اللجوء التام إلى الله والاستعانة به فإن من لجأ إلى الله واستعان به وكان صادقاً في ذلك أيده الله وأعانه.

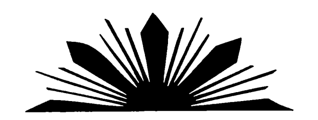
(١٢) التذكر بأن كل شيء يجري في هذا الكون بقضاء وقدر:

قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد: ٢٢].

وأن الخلق مهما كانت قوتهم ومهما كان سلطانهم فإنهم عاجزون عن أن يجلبوا لأنفسهم نفعاً أو يدفعوا عنها ضراً فضلاً عن أن يملكوا هذا لغيرهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الأعراف: ١٩٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [الجاثية: ١٩].



المبحث العاشر
سؤال الله تعالى للعباد عن النعيم:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [التكاثر: ٨].

جاء في تتمة أضواء البيان للعلامة الشنقيطي[1]:

أصل النعيم كل حال ناعمة من النعومة والليونة ضد الخشونة واليبوسة والشدائد كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

ثم قال: ﴿إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ [النحل: ٥٣].

فقابل النعمة بالضر ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ﴾ [هود: ١٠] وعلى هذا فإن نعم الله عديدة.

كما قال: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨].

وبهذا تعلم أن كل ما قاله المفسرون فهو من قبيل التمثيل لا الحصر كما قال تعالى: ﴿لَا تُحْصُوهَآ﴾.

وأصول هذه النعم **أولها** الإسلام ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] ويدخل فيها نعم التشريع والتخفيف عما كان على الأمم الماضية.

كما يدخل فيها نعمة الإخاء في الله ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ

---

(١) التتمة من عمل تلميذه عطية محمد سالم.

﴿أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾ [آل عمران: ١٠٣]. وغير ذلك كثير.

وثانيها: الصحة وكمال الخلقة والعافية فمن كمال الخلقة الحواس ﴿أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ۝٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ۝٩﴾ [البلد: ٨ ـ ٩].

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾[١] [الإسراء: ٣٦].

وثالثها: المال في كسبه وإنفاقه سواء ففي كسبه من حله نعمة وفي إنفاقه في أوجهه نعمة.

هذه أصول النعم فماذا يسأل عنه منها. جاءت السنة بأنه سيسأل عن كل ذلك جملة وتفصيلاً.

أما عن الدين والمال والصحة.

عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «**لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه وعن شبابه فيم أبلاه وماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وماذا عمل فيما علم**»[٢].

---

(١) قال الطبري في تفسيره: وأم قوله ﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ فإن معناه إن الله سائل هذه الأعضاء عما قال صاحبها من أنه سمع أو أبصر أو علم تشهد عليه جوارحه عند ذلك بالحق.. اهـ

وقال الحافظ ابن كثير: قوله تعالى ﴿كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ أي سيسأل العبد عنها يوم القيامة وتسأل عنه وعما عمل فيها.

(٢) صحيح. رواه الترمذي (٢٤١٦) وانظر السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني (٩٤٦).

قلت: وهناك رواية أخرى رواها الترمذي أيضاً (٢٤١٧) وهي صحيحة عن أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه وعن علمه فيم فعل وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن جسمه فيم أبلاه».

ومن هذه النعم الفراغ لقوله ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ» البخاري (٦٤١٢) عن ابن عباس، فكما سبق أن الصحة من النعم فكذلك الفراغ من النعم فسارع إلى التقرب إلى الله بالعمل الصالح ولا تضيع أوقاتك فيما يغضب الله تعالى حتى لا تكون عليك نقمة. واغتنم فراغك قبل شغلك.

ولعظم هذه الآية وشمولها فإنها أصبحت من قبيل النصوص مضرب المثل فقد فصلت السنة جزئيات ما كانت تخطر ببال أصحاب رسول الله ﷺ.

وجاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **(خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر. فقال: ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟ قالا: الجوع، يا رسول الله قال: «وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما. قوموا» فقاموا معه فأتى رجلاً من الأنصار. فإذا هو ليس في بيته. فلما رأته المرأة قالت: مرحباً وأهلاً. فقال لها رسول الله ﷺ «أين فلان؟» قالت: ذهب يستعذب لنا من الماء. إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه. ثم قال: الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافاً مني. قال فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب. فقال: كلوا من هذه وأخذ المدية فقال له رسول الله ﷺ: «إياك والحلوب» فذبح لهم. فأكلوا من الشاة. ومن ذلك العذق وشربوا فلما أن شبعوا ورووا قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة. أخرجكم من بيوتكم الجوع. ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم»**[(١)].

وأخرجه الترمذي وفيه: **(هذا والذي نفسي بيده من النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة ظل بارد ورطب طيب وماء بارد)**[(٢)].

وكنى الرجل الذي من الأنصار فقال: أبو الهيثم بن التيهان. قال القرطبي: اسم هذا الرجل مالك بن التيهان ويكنى أبا الهيثم. وقد ذكر ابن كثير هذه القصة من عدة طرق. ومنها عند أحمد أن عمر رضي الله عنه أخذ بالعذق وضرب به الأرض وقال: (إنا لمسؤولون عن هذا يا رسول الله؟ قال: **نعم إلا من ثلاثة: خرقة لف**[(٣)] **الرجل بها عورته أو كسرة يسد بها جوعته أو**

---

(١) أخرجه مسلم (٥٢١٥) نووي. قلعجي، (٢٠٣٨) عبد الباقي.

(٢) صحيح. الترمذي (٢٣٦٩).

(٣) في المسند (كف لها).

حجراً يدخل فيه من الحر والقر)[1].

وقال سفيان بن عيينة: (إن ما سد الجوع وستر العورة من خشن الطعام لا يسأل عنه المرء يوم القيامة وإنما يسأل عن النعيم والدليل عليه أن الله أسكن آدم الجنة: فقال له: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ۝١١٩﴾) [طه: ١١٨ ـ ١١٩]. .

فكانت هذه الأشياء الأربعة ما يسد به الجوع وما يدفع به العطش وما يسكن فيه من الحر ويستر به عورته لآدم عليه السلام بالإطلاق لا حساب عليه فيها لأنه لا بد له منها.

وذكر عن أحمد أيضاً بسنده (**أنهم كانوا جلوساً فطلع عليهم النبي ﷺ وعلى رأسه أثر ماء فقلنا: يا رسول الله نراك طيب النفس؟ قال: أجل قال: خاض الناس في ذكر الغنى فقال رسول الله ﷺ: لا بأس بالغنى لمن اتقى الله والصحة لمن اتقى الله خير من الغنى وطيب النفس من النعيم)**[2].

وبهذا فقد ثبت من الكتاب والسنة أن النعيم الذي هو محل السؤال يوم القيامة عام في كل ما يتنعم به الإنسان في الدنيا حسّاً كان أو معنى حتى قالوا: النوم مع العافية. وقالوا: إن السؤال عام للكافر والمسلم فهو للكافر توبيخ وتقريع وحساب، وللمؤمن تقرير بحسب شكر النعمة وجحودها وكيفية تصريفها والعلم عند الله تعالى. وكل ذلك يراد منه الحث على شكر النعمة والإقرار للمنعم والقيام بحقه سبحانه فيها كما قال تعالى عن نبي الله ﴿رَبِّ

---

(١) المسند (٥/ ٨١) وهو حديث حسن. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٦٧): رواه أحمد ورجاله ثقات. وأخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٤٦٨) وفي آخره (من الحر والبرد) وإسناده حسن.

وقال الطحاوي ـ رحمه الله ـ في مشكل الآثار (١/ ٤٠٩):

إنهم مسؤولون على البسر الذي أكلوه وعن الماء الذي شربوه لأنهما فضل عن الكِسْرَةِ التي يسدون بها جوعهم وعن الخرقة التي يوارون بها عوراتهم وعن الحِجر الذي يقيهم الحر والبرد. اهـ.

(٢) صحيح. أخرجه ابن ماجه (٢١٤١) وانظر الصحيحة للشيخ الألباني (١٧٤).

أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[1] [الأحقاف: ١٥] اللهم أوزعنا شكر نعمتك واجعل ما أنعمت به علينا عوناً لنا على طاعتك. . . انتهى.

وقال ابن القيم رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾[2] [التكاثر: ٨].

فكل أحد يسأل عن نعيمه الذي كان فيه في الدنيا. هل ناله من حلاله ووجهه أم لا؟ فإذا تخلص من هذا السؤال سئل سؤالاً آخر. هل شكر الله تعالى عليه فاستعان به على طاعته أم لا؟

فالأول: سؤال عن سبب استخراجه.

والثاني: عن محل صرفه. كما في جامع الترمذي من حديث عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «**لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة عند ربه حتى يسأل عن خمس**». . . الحديث. وقد سبق تخريجه.

وفيه أيضاً عن أبي برزة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره**. . .» الحديث. وقد سبق تخريجه أيضاً.

وفيه أيضاً من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أول ما يسأل عنه يوم القيامة يعني العبد من النعيم أن يقال له ألم نصح لك جسمك ونرويك من الماء البارد**»[3] **وفيه أيضاً من حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: «لما نزلت: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ قال الزبير: يا رسول الله فأي النعيم نسأل عنه وإنما هما الأسودان التمر والماء قال: أما إنه سيكون**»[4].

---

(١) كذا في الأصل ذكر آية الأحقاف ولعل الصواب هي آية سورة النمل على لسان نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام. قال تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾. [النمل: ١٩].

(٢) التفسير القيم (تفسير سورة التكاثر).

(٣) صحيح. أخرجه الترمذي (٣٣٥٨) وغيره.

(٤) حسن. أخرجه الترمذي (٣٣٥٦) وابن ماجه (٤١٥٨).

وقوله ﷺ: «إن ذلك سيكون» إما أن يكون المراد به أن النعيم سيكون ويحدث لكم وإما أن يرجع إلى السؤال أي أن السؤال يقع عن ذلك وإن كان تمراً وماء فإنه من النعيم. ويدل عليه قوله ﷺ في الحديث الصحيح وقد أكلوا معه رطباً ولحماً وشربوا من الماء البارد... «**هذا من النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة**»[1] فهذا سؤال من شكره والقيام بحقه...اهـ.

وقال الطحاوي ـ رحمه الله ـ:

الذي يسألون عنه هو الفضل عن الأسودين مما يتجاوز ما تقوم أنفسهم به وأنهم غير مسؤولين عما لا تقوم أنفسهم إلا به[2].

وعن أبي هريرة قال: (**قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: (هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة؟» قالوا: لا. قال: «فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة؟» قالوا لا. قال: فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما. قال: فيلقى العبد فيقول أي فل[3] ألم أكرمك وأسودك[4] وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس[5] وتربع[6]؟ فيقول: بلى قال: فيقول: أفظننت أنك ملاقي فيقول: لا فيقول: فإني أنساك كما نسيتني ثم يلقى الثاني فيقول: أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى. أي رب فيقول: أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا فيقول: فإني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول: يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع فيقول: ها هنا إذاً.**

---

(١) سبق الحديث بنصه.. رواه مسلم (٢٠٣٨) عبد الباقي ـ الترمذي (٢٣٦٩).

(٢) شرح مشكل الآثار (١/٤٠٨).

(٣) أي فُل: ومعناه يا فلان.

(٤) أسودك: أجعلك سيداً على غيرك.

(٥) ترأس: أي رئيس القوم وكبيرهم.

(٦) تربع: أي تأخذ ربع الغنيمة.

قال: ثم يقال له: الآن نبعث شاهدنا عليك ويتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد عليّ فيختم على فيه، ويقال لفخذه ولحمه وعظامه انطقي فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي يسخط الله عليه)[1].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليلقين أحدكم ربه يوم القيامة فيقول له: ألم أسخر لك الخيل والإبل؟ ألم أذرك ترأس وتربع؟ ألم أزوجك فلانة خطبها الخُطَّاب فمنعتهم وزوجتك**»[2].

وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول الله له: ألم أجعل لك سمعاً وبصراً ومالاً وولداً وسخرت لك الأنعام والحرث وتركتك ترأس وتربع فكنت تظن أنك ملاقي يومك هذا؟ قال: فيقول: لا. فيقول له: اليوم أنساك كما نسيتني**»[3].

وقد زعم طائفة من المفسرين: أن هذا الخطاب خاص بالكفار وأنهم هم المسؤولون عن النعيم. وذكروا ذلك عن الحسن ومقاتل. قلت: (أي ابن القيم) ليس في اللفظ ولا في السنة الصحيحة ولا في أدلة العقل ما يقتضي اختصاص الخطاب بالكفار بل ظاهر اللفظ وصريح السنة والاعتبار يدل على عموم الخطاب لكل من اتصف بأنه ألهاه التكاثر فلا وجه لتخصيص الخطاب ببعض المتصفين بذلك. ويدل على ذلك قول النبي ﷺ عن قراءة هذه السورة: «**يقول ابن آدم مالي مالي، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت**»[4]. وقائل ذلك قد يكون مسلماً وقد يكون كافراً ويدل عليه أيضاً الأحاديث التي تقدمت. وسؤال الصحابة

---

(١) أخرجه مسلم (٧٢٩٥) نووي. قلعجي، (٢٩٦٨) عبد الباقي. وهذا الحديث والذي بعده لم يذكرهما ابن القيم فذكرتهما لتمام الفائدة.

(٢) صحيح. أخرجه ابن خزيمة في التوحيد ص ١٥٤ وابن حبان في صحيحه (٧٣٦٧) واللفظ له.

(٣) صحيح. أخرجه الترمذي (٢٤٢٨).

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٥٨) عبد الباقي.

النبي ﷺ وفهمهم العموم حتى قالوا له: (وأي نعيم نسأل عنه وإنما هما الأسودان)[1].

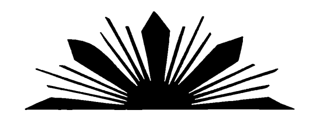
فلو كان الخطاب مختصاً بالكفار لبين لهم ذلك. وقال ما لكم ولها؟ إنما هي للكفار. فالصحابة فهموا العموم والأحاديث صريحة في التعميم والذي أنزل عليه القرآن أقرهم على فهم العموم... انتهى مختصراً من التفسير القيم.

وقال أبو حامد الغزالي في الإحياء (٤/ ١٩١):

اعلم أنه لم يقصر بالخلق عن شكر النعمة إلا الجهل والغفلة فإنهم منعوا بالجهل والغفلة عن معرفة النعم ولا يتصور شكر النعمة إلا بعد معرفتها ثم أنهم إن عرفوا نعمة ظنوا أن الشكر عليها أن يقول بلسانه الحمد لله. الشكر لله. ولم يعرفوا أن معنى الشكر أن يستعمل النعمة في إتمام الحكمة التي أريد بها وهي طاعة الله عز وجل فلا يمنع من الشكر بعد حصول هاتين المعرفتين إلا غلبة الشهوة واستيلاء الشيطان. ا.هـ.

فاعلم يرحمك الله تعالى أن السؤال عن النعيم سؤال عن شكر العبد لما أنعم الله به عليه. فإذا شكر فقد أدى حق النعمة وإن أبى وكفر أغضب عليه الله. ففي الحديث الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها**»[2].

اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.



(١) سبق تخريجه قريباً.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٣٤).

المبحث الحادي عشر
سؤال الله تعالى لكل راع عما استرعاه:

- عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله سائل كل راع عما استرعاه أحفظ ذلك أم ضيع؟ حتى يسأل الرجل عن أهل بيته»**[١].

- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، قال: وحسبت أن قد قال: والرجل راع في مال أبيه ومسؤول عن رعيته وكلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته»**[٢].

قال النووي ـ رحمه الله ـ في شرح مسلم:

قال العلماء: الراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه وما هو تحت نظره ففيه أن كل من كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته... اهـ.

وقوله ﷺ: **«الإمام راع ومسؤول عن رعيته»**.

---

(١) صحيح. أخرجه النسائي في الكبرى (٥/ ٩١٧٤) وابن حبان في صحيحه وغيرهما وصححه الحافظ ابن حجر في الفتح (١٣/ ١٢١). وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (١٦٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (٨٩٣) ومسلم (١٨٢٩) عبد الباقي، (٤٦٤٣) نووي. قلعجي.

والمراد بالإمام صاحب الولاية العظمى ويلتحق به كل من ولي شيئاً من أمور المسلمين.

- عن معقل بن يسار قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **«ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصحه لم يجد رائحة الجنة»**[1].

- وعن معقل بن يسار قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من وال يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة»**[2].

- ورواه مسلم بلفظ: **(ما من أمير يلي أمر المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح إلا لم يدخل معهم الجنة)**[3].

قال القاضي عياض - رحمه الله - معناه بين في التحذير من غش المسلمين لمن قلده الله تعالى شيئاً من أمرهم واسترعاه عليهم ونصّبه لمصلحتهم في دينهم أو دنياهم، فإذا خان فيما اؤتمن عليه فلم ينصح فيما قلده إما بتضييعه تعريفهم ما يلزمهم من دينهم وأخذهم به، وإما بالقيام بما يتعين عليه من حفظ شرائعهم والذب عنها لكل متصد لإدخال داخلة فيها أو تحريف لمعانيها، أو إهمال حدودهم أو تضييع حقوقهم أو ترك حماية حوزتهم ومجاهدة عدوهم أو ترك سيرة العدل فيهم فقد غشهم.

قال القاضي: وقد نبّه ﷺ على أن ذلك من الكبائر الموبقة المبعدة عن الجنة والله أعلم... اهـ. وقال ابن بطال: هذا وعيد شديد على أئمة الجور فمن ضيع من استرعاه الله أو خانهم أو ظلمهم فقد توجه إليه الطلب بمظالم العباد يوم القيامة فكيف يقدر على التحلل من ظلم أمة عظيمة. ومعنى «حرم الله عليه الجنة» أي أنفذ الله عليه الوعيد ولم يرض عنه المظلومين.

- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«كانت بنو إسرائيل تسوسهم**

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٥٠) ومسلم (٤٦٤٧) نووي. قلعجي، (١٤٢ - ١٨٢٩) عبد الباقي.

(٢) أخرجه البخاري (٧١٥١) مسلم (٤٦٤٧) و(٤٦٤٩) نووي. قلعجي.

(٣) أخرجه مسلم (٤٦٤٩) نووي. قلعجي، (١٨٢٩) عبد الباقي.

الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وأنه لا نبي بعدي وسيكون خلفاء فيكثرون. قالوا: فما تأمرنا قال: فوا ببيعة الأول فالأول أعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم»[1].

قال ابن حجر في الفتح (١٣/ ٥٧٤٠):

قوله: «أعطوهم حقهم» أي أطيعوهم وعاشروهم بالسمع والطاعة فإن الله يحاسبهم على ما يفعلونه بكم.

وقوله: «فإن الله سائلهم عما استرعاهم» وهو كحديث ابن عمر المتقدم «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».

وفي الحديث تقديم أمر الدين على أمر الدنيا لأنه ﷺ أمر بتوفية حق السلطان لما فيه من إعلاء كلمة الدين وكف الفتنة والشر وتأخير أمر المطالبة بحقه لا يسقطه وقد وعده الله أن يخلصه ويوفيه إياه ولو في الدار الآخرة.

- عن عائذ بن عمر وكان من أصحاب رسول الله ﷺ أنه دخل على عبيد الله بن زياد. فقال: أي بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن شر الرعاء الحطمة فإياك أن تكون منهم**»[2].

الرعاء: جمع راع. (والحطمة) العنيف برعاية الإبل. وقد ضربه رسول الله ﷺ مثلاً لوالي السوء الذي يظلم رعيته ولا يرق لهم ولا يرحمهم ولا يرفق بهم بل يحطمهم في المأكل والمشرب ويؤذيهم.

- عن أبي مريم الأزدي رضي الله عنه أنه قال لمعاوية رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من ولاه الله عز وجل شيئاً من أمر المسلمين فاحتجب دون حاجتهم خلتهم وفقرهم احتجب الله عنه دون حاجته وخلته وفقره» قال: «فجعل معاوية رجلاً على حوائج الناس»**[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٥) مسلم (١٨٤٢) عبد الباقي.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٣٠) عبد الباقي.

(٣) صحيح. أخرجه أبو داود (٢٩٤٨) والترمذي (١٣٣٢) وغيرهما، وانظر الصحيحة للشيخ الألباني (٦٢٩).

وفي الحديث وعيد شديد لمن ولاه أمر المسلمين ولم يقض حاجتهم ويسد فقرهم بأن الله لم يجب له دعاءًا ولم يحقق له أملاً.

- عن عبد الرحمن بن شماسة قال: أتيت عائشة أسألها عن شيء، فقالت: ممن أنت فقلت رجل من أهل مصر، فقالت: كيف كان صاحبكم لكم، في غزاتكم هذه فقال: ما نقمنا منه شيئاً[1] إن كان ليموت للرجل منا البعير فيعطيه البعير والعبد فيعطيه العبد ويحتاج إلى النفقة فيعطيه النفقة، فقالت: أما أنَّه لا يمنعني الذي فعل في محمد بن أبي بكر أخي أن أخبرك ما سمعت من رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا: «**اللهم من وَلِيَ من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم[2] فاشقق عليه ومن وَلِيَ من أمر أمتي شيئاً فرفق[3] بهم فارفق به**»[4].

- عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ما من رجل يلي أمر عشرة فما فوق ذلك إلا أتى الله عز وجل يوم القيامة يده مغلولة إلى عنقه فكَّه بِرُّه، أو أوثقه إثمه، أوَّلُها ملامة وأوسطها ندامة وآخرها خزي يوم القيامة**»[5].

*** الحث على العدل وفضل الإمام العادل:**

قال تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ . . .﴾ الآية [النحل: ٩٠].

وقوله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص: ٢٦].

---

(١) أي ما عبنا عليه أو ما كرهنا منه شيئاً.
(٢) أي أوقعهم في المشقة.
(٣) أي عاملهم باللطف. والرفق خلاف العنف.
(٤) أخرجه مسلم (١٨٢٨) عبد الباقي.
(٥) إسناده حسن وأخرجه أحمد (٥/ ٢٦٧).

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره:

هذه وصية من الله عز وجل لولاة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالى ولا يعدلوا عنه فيضلوا عن سبيله، وقد توعد تعالى من ضل عن سبيله وتناسى يوم الحساب بالوعيد الأكيد والعذاب الشديد.

وقال العلامة الشنقيطي في تفسيره:

ومعلوم أن نبي الله داود لا يحكم بغير الحق ولا يتبع الهوى فيضله عن سبيل الله ولكن الله تعالى يأمر أنبياءه عليهم الصلاة والسلام وينهاهم ليشرع لأممهم. ولذلك أمر نبينا ﷺ بمثل ما أمر به داود ونهاه أيضاً عن مثل ذلك في آيات من كتاب الله.

كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ [المائدة: ٤٢].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩].

وكقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [الأحزاب: ١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ . . .﴾ [الكهف: ٢٨].

والأحاديث في فضل الإمام العادل كثيرة منها:

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إنِّي أخاف الله، ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٠) ومسلم (١٠٣١) عبد الباقي، (٢٣٤٢) نووي. قلعجي، والنسائي في الكبرى (٣/ ٤٦١) والترمذي (٢٣٩١) وغيرهم.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٢/ ١٦٩):

والمراد بالإمام صاحب الولاية العظمى، ويلتحق به كل من ولي شيئاً من أمور المسلمين فعدل فيه، ويؤيده رواية مسلم من حديث عبد الله بن عمرو رفعه: (**إن المقسطين على منابر من نور: الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا**)[١]. وأحسن ما فسر به العادل أنه الذي يتبع أمر الله بوضع كل شيء في موضعه من غير إفراط ولا تفريط. وقدمه في الذكر لعموم النفع به... اهـ.

- عن عوف بن مالك عن رسول الله ﷺ قال: «**خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ويصلون عليكم وتصلون عليهم**[٢]**، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم». قيل يا رسول الله: أفلا ننابذهم بالسيف؟ فقال: «لا. ما أقاموا فيكم الصلاة وإذا رأيتم من ولاتكم شيئاً تكرهونه فاكرهوا عمله ولا تنزعوا يداً من طاعة**»[٣].

- وعن عياض بن حمار رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط مُوَفّق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى، ومسلم وعفيف متعفف ذو عيال**»[٤].

- قال علي رضي الله عنه: (رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه على قتب يعدو، فقلت: يا أمير المؤمنين أين تذهب، فقال: بعير ند من إبل الصدقة أطلبه، فقلت: لقد أذللت الخلفاء بعدك أو أتعبت، فقال: لا تلمني يا أبا الحسن فوالله الذي لا إله إلا هو لو أن عناقاً ذهبت بشاطىء الفرات لأخذت بها)[٥].

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٢٧) والنسائي وأحمد.

(٢) تصلون عليهم: تدعون لهم.

(٣) أخرجه مسلم (١٨٥٥) عبد الباقي.

(٤) أخرجه مسلم (٢٨٦٥) عبد الباقي.

(٥) أثر صحيح. ذكره ابن الجوزي في مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

- وقال سالم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (يدخل يده في دبر البعير ويقول: إني لخائف أن أسأل عما بك)[1].

- وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (دخلت على عمر وبين يديه مال فسبح حتى اختلفت أضلاعه ثم قال: وددت أن أنجو منه كفافاً لا لي ولا علي)[2].

- عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: (خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى السوق فلحقت عمر امرأة شابة فقالت: يا أمير المؤمنين هلك زوجي وترك صبية صغاراً والله ما ينضجون كراعاً، ولا لهم زرع ولا ضرع وخشيت أن تأكلهم الضبع وأنا بنت خفاف بن إيماء الغفاري وقد شهد أبي الحديبية مع النبي ﷺ فوقف معها ولم يمض، ثم: قال مرحباً بنسب قريب. ثم انصرف إلى بعير ظهير كان مربوطاً في الدار فحمل عليه غرارتين ملأهما طعاماً وحمل بينهما نفقة وثياباً ثم ناولها بخطامه ثم قال: اقتاديه فلن يفنى حتى يأتيكم الله بخير. فقال رجل: يا أمير المؤمنين أكثرت لها. قال عمر: ثكلتك أمك والله إني لأرى أبا هذه وأخاها قد حاصرا حصناً زماناً فافتتحاه ثم أصبحنا نستفيء سهماننا فيه)[3].

فأشد الناس سؤالاً يوم القيامة من يسأل عن المسلمين جميعاً، وقد قال رسول الله ﷺ لأبي ذر: «**إنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها**»[4].

ولقد تبين لك بعض ما كان عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه من الاهتمام بأمر الرعية ومع هذا كله ماذا قال عند موته.

---

(١) رجاله ثقات أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٢٠٥).

(٢) أثر صحيح. ابن سعد في الطبقات (٣/ ٢٥٤).

(٣) أخرجه البخاري (٤١٦٠). ومعنى الكراع: هو ما دون الكعبْ من الشاه. قال الخطابي: معناه أنهم لا يكفون أنفسهم معالجة ما يأكلونه ويحتمل أن يكون المراد لا كراع لهم فينضجونه.

(٤) أخرجه مسلم (١٨٢٥) عبد الباقي.

عن ابن عمر قال: (كان رأس أبي في حجري وقد احتضر، فقال: ضع رأسي على الأرض فوضعته فقال: ويلي وويل أمي إن لم يرحمني ربي)[1].

وقوله ﷺ: «**والرجل راع في أهل بيته وهو مسئول عن رعيته**».

قال تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ . . .﴾ الآية [التحريم: ٦].

قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٩/ ١٦٣):

إن الله تعالى أمرنا في هذه الآية بوقاية النفس والأهل وذلك لأن أهل المرء ونفسه من جملة رعيته وهو مسؤول عنهم لأنه أمر أن يحرص على وقايتهم من النار وامتثال أوامر الله واجتناب مناهيه. . . اهـ.

وقال الحافظ في موضع آخر (٣/ ١٨٠):

وقوله تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا . . .﴾.

وقول النبي ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» إن هذا الأمر عام في جهات الوقاية، ومن جملتها أن لا يكون الأصل مولعاً بأمر منكر لئلا يجري أهله عليه بعده، أو يكون قد عرف أن لأهله عادة بفعل أمر منكر وأهمل نهيهم عنه فيكون لم يق نفسه ولا أهله.

«كلكم راع» ومن جملة رعايته لهم أن يكون الشر من طريقته فيجري أهله عليه أو يراهم يفعلون الشر فلا ينهاهم عنه فيسأل عن ذلك ويؤاخذ به. . . اهـ. وقال قتادة. قوله تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا . . .﴾ الآية. يقيهم أن يأمرهم بطاعة الله وينهاهم عن معصيته وأن يقوم عليهم بأمر الله يأمرهم به ويساعدهم عليه فإذا رأيت لله معصية ردعتهم عنها وزجرتهم عنها[2].

---

(١) أثر صحيح. أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٥٢).

(٢) تفسير الطبري.

وقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢] فأول واجبات الرجل المسلم أن يحول بيته إلى بيت مسلم وأن يوجه أهله إلى أداء الفريضة التي تصلهم معه بالله فتوحد اتجاههم العلوي في الحياة وما أروح الحياة في ظلال بيت أهله كلهم يتجهون إلى الله.

﴿وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ على إقامتها كاملة وعلى تحقيق آثارها، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر.

وهذه هي آثارها الصحيحة وهي في حاجة إلى اصطبار على البلوغ بالصلاة إلى الحد الذي تثمر ثمارها هذه في المشاعر والسلوك وإلا فما هي صلاة مقامة إنما هي حركات وكلمات[1].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **(قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله عز وجل: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ قال: يا معشر قريش ـ أو كلمة نحوها ـ اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً)**[2].

وقال العلامة الشنقيطي: في تفسيره (٦/ ٣٨٥).

هذا الأمر في هذه الآية الكريمة بإنذاره خصوص عشيرته الأقربين لا ينافي الأمر بالإنذار العام كما دلت على ذلك الآيات القرآنية، كقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان: ١].

وقوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩].

وقوله تعالى: ﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾ [مريم: ٩٧].

---

(١) في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب (٤/ ٢٣٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٥٣) ومسلم (٢٠٤) عبد الباقي.

والآيات بمثل ذلك كثيرة... اهـ.

ومن المسؤوليات الكبرى التي جعلها الإسلام أمانة في عنق الآباء والمربين جميعاً توعية الأبناء وتعليمهم دين الإسلام منذ حداثة سنهم إلى أن يصلوا إلى سن الرشد والبلوغ. وأسوتنا في ذلك رسول الله ﷺ، وقد وردت بعض الأحاديث في تعليم الأبناء وتنشئتهم التنشئة الإسلامية الصحيحة.

- عن عبد الملك بن الربيع بن سبرة عن أبيه عن جده قال: قال النبي ﷺ: **(مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين وإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها)**(١).

- عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: **«مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر (سنين) وفرقوا بينهم في المضاجع»**(٢).

وفي التعليق على هذا الحديث قال النووي في المجموع (٣/ ١٠): حديث سبرة صحيح والاستدلال به واضح لأنه يتناول بمنطوقه الصبي والصبية فالأمر بالصلاة والضرب عليها. وفيه زيادة أخرى وهي التفريق في المضاجع. واعلم أن قوله ﷺ: «مروا أولادكم بالصلاة» ليس أمراً منه ﷺ للصبي وإنما هو أمر للولي فأوجب على الولي أن يأمر الصبي وهذه قاعدة معروفة في الأصول أن الأمر بالأمر بالشيء ليس أمراً بالشيء ما لم يدل عليه دليل كقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة: ١٣].

وهذا الأمر والضرب واجب على الولي سواء كان أباً أو جداً أو وصياً أو قيماً من جهة القاضي. ودليل هذه القاعدة قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ [طه: ١٣٢].

وقوله تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦].

---

(١) صحيح. أخرجه أبو داود (٤٩٤) واللفظ له والترمذي (٤٠٧).

(٢) صحيح أخرجه أبو داود (٤٩٥).

وقوله ﷺ: «**وإن لولدك عليك حقاً**»[1] رواه مسلم.

وقوله ﷺ: «**كلكم راع ومسؤول عن رعيته والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته**» رواه البخاري ومسلم.

قال الشافعي في المختصر: (وعلى الآباء والأمهات أن يؤدبوا أولادهم ويعلموهم الطهارة والصلاة ويضربوهم على ذلك إذا عقلوا). قال أصحابنا: ويأمره الولي بحضور الصلوات في الجماعة وبالسواك وسائر الوظائف الدينية ويعرفه تحريم الزنا واللواط والخمر والكذب والغيبة وشبهها... انتهى مختصراً.

وقال ابن العربي المالكي في عارضة الأحوذي لشرح صحيح الترمذي (**٢/ ١٩٨**): قال ابن حبيب: إنما يؤدب لعشر وهذا على طريق التمرين على الطاعة واعتقاد العبادة ليبلغ حد الوجوب فيسهل عليه.. اهـ.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال رسول الله ﷺ: «**كخ كخ ارم بها أما علمت أنّا لا نأكل الصدقة**»[2]. وقال الحافظ في الفتح: وقوله: «كخ» هي كلمة تقال لردع الصبي عند تناوله ما يستقذر وذكر الحافظ من فوائد الحديث: جواز إدخال الأطفال المساجد وتأديبهم بما ينفعهم ومنعهم مما يضرهم ومن تناول المحرمات وإن كانوا غير مكلفين ليتدربوا بذلك.

- عن أبي حفص عمر بن أبي سلمة عبد الله بن الأسد ربيب رسول الله ﷺ قال: كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ: «**يا غلام سم الله تعالى وكل بيمينك وكل مما يليك**» فما زالت تلك طعمتي بعد[3].

---

(١) أخرجه البخاري نحوه (٦١٣٩) ومسلم (٢٦٨٥ ـ ٢٦٨٦) نووي. قلعجي، (١١٥٩) عبد الباقي.

(٢) أخرجه البخاري (١٤٨٠ ـ ١٤٩١ ـ ٣٠٧٢) مسلم (١٠٦٩) عبد الباقي.

(٣) أخرجه البخاري (٥٣٧٦) مسلم (٢٠٢٢) عبد الباقي.

وذكر الحافظ ابن حجر في الفتح عدة فوائد منها: قوله: فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى حال الأكل.. وفيه استحباب تعليم أدب الأكل والشرب... اهـ.

فتعليم الأولاد وتأديبهم فريضة على أبويهم ولذلك قال الفقهاء: إن للأب أن يُكره ولده الصغير على تعلم القرآن والأدب والعلم لأن ذلك فرض على الوالدين وولي الولد والمشرف عليه هو أبوه فهو المسؤول في الأصل عن تعليمه وتأديبه[١]. وقال ابن القيم: فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه، وتركه سدى، فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغاراً فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوا آباءهم كباراً، كما عاتب بعضهم ولده على العقوق فقال: يا أبت إنك عققتني صغيراً فعققتك كبيراً، وأضعتني وليداً فأضعتك شيخاً كبيراً[٢]. اهـ.

ويجب على الرجل أن يراعي العدل بين أولاده في العطية كما جاء في حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: أعطاني أبي عطيَّة، فقالت عمرة بنت رواحة لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ فأتى رسول الله ﷺ فقال: إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطيَّة، فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله. قال: «**أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟**» قال: لا. قال: «**فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم**». قال: فرد عطيته[٣] وفي رواية: «**لا تشهدني على جور**»[٤] وفي رواية: «**أشهد على هذا غيري**»[٥]. وفي رواية: «**فليس يصلح هذا وإني لا أشهد إلا على حق**»[٦].

---

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للعمري ص ١٩٢.

(٢) تحفة المودود ص (٤٢٨) تحقيق الشيخ صلاح الدين مقبول وبعض طلبة العلم.

(٣) أخرجه البخاري (٢٥٨٦) ومسلم (١٦٢٣).

(٤) أخرجه البخاري (٢٦٥٠) ومسلم (١٦٢٣).

(٥) أخرجه مسلم (١٦٢٣).

(٦) أخرجه مسلم (١٦٢٤).

وذكر الحافظ في الفتح (٥/ ٢٥٥) عدة فوائد في الحديث منها:

١) الندب إلى التألف بين الأخوة وترك ما يوقع بينهم الشحناء أو يورث العقوق للآباء.

٢) المبادرة إلى قبول الحق وأمر الحاكم والمفتي بتقوى الله في كل حال.

٣) الإشارة إلى سوء عاقبة الحرص والتنطع.

وقال ابن القيم في تحفة المودود: قوله: «أشهد على هذا غيري» وهذا أمر تهديد لا إباحة فإن العطية كانت جوراً بنص الحديث ورسول الله ﷺ لا يأذن لأحد أن يشهد على صحة الجور ومن ذا الذي كان يشهد على تلك العطية وقد أبى رسول الله ﷺ أن يشهد عليها، وأخبر أنها لا تصلح وأنها جور وأنها خلاف العدل. وكان السلف يستحبون أن يعدلوا بين الأولاد في القبلة. وقال بعض أهل العلم: إن الله سبحانه يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة قبل أن يسأل الولد عن والده. فإنه كما أن للأب على ابنه حقاً فللابن على أبيه حق[1]. اهـ.

والرجل مسؤول عن امرأته. قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣٤].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية: الرجل قيم على المرأة وهو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدبها إذا اعوجت... اهـ.

وللرجل تعزير زوجه إذا لم تقض حقه وخالفت أمره. يقول الله عز وجل: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ﴾ [النساء: ٣٤].

وله أن يستخدم هذا الحق في أخذها بفعل المعروف وردعها عن

---

(١) تحفة المودود ص (٤٢٦) بتحقيق الشيخ صلاح الدين مقبول وجماعة من طلبة العلم وأنا منهم حيث قمت بتحقيق الصفحات (٣٧٧ إلى ٤٢٨).

ارتكاب المنكر. وعلى الولد أيضاً إذا كان أبواه يهملان المعروف ويرتكبان المنكر عن جهل أن يعظهما ويلقنهما حكم الشريعة وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة. والرجل مسؤول أيضاً عن خادمه هل نصحه لله وهل أحسن إليه أم أساء إليه هل كان رفيقاً معه أم فظاً غليظاً إلى غير ذلك ممن للرجل عليه ولاية فرعاية الرجل في أهله سياسته لأمرهم وإيصالهم حقوقهم.

وقوله ﷺ: «**والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها..**».

قال الحافظ في الفتح (١٣/ ١٢١):

ورعاية المرأة تدبير أمر البيت والأولاد والخدم والنصيحة للزوج في كل ذلك.. اهـ.

وللأم أيضاً ضرباً من الولاية على أبنائها وكان من دعاء أم مريم: ﴿**رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ**﴾ [آل عمران: ٣٥].

يقول العلامة أبو بكر الجصاص بعد إيراد هذه القصة: (يدل على أن للأم ضرباً من الولاية على الولد في تأديبه وتعليمه وإمساكه وتربيته لولا أنها تملك ذلك لما نذرت في ولدها)[١] فظهر من ذلك أن للأم أيضاً من حق تأديب أولادها وتعزيرهم ما لأبيهم.

- عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: جاءتني امرأة معها ابنتان تسألني فلم تجد عندي غير تمرة واحدة فأعطيتها فقسمتها بين ابنتيها ثم قامت فخرجت، فدخل النبي ﷺ فحدثته فقال: «**من يلي من هذه البنات شيئاً فأحسن كن له ستراً من النار**»[٢] وفي رواية مسلم «**من ابتلي من البنات..**».

قال الحافظ في الفتح (١٠/ ٤٤٣):

---

(١) أحكام القرآن (٢/ ١٤) بتحقيق عبد السلام محمد شاهين.

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٩٥) ومسلم (٦٥٧٠) نووي. قلعجي، (٢٦٢٩) عبد الباقي.

ومعنى يلي: من الولاية وفي رواية مسلم (من ابتلي من البنات في شيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار).

قال النووي تبعاً لابن بطال: إنما سماه ابتلاء لأن الناس يكرهون البنات فجاء الشرع بزجرهم عن ذلك ورغب في إبقائهم وترك قتلهم بما ذكر من الثواب الموعود به، من أحسن إليهن وجاهد نفسه في الصبر عليهن. ويحتمل أن يكون معنى الابتلاء هنا الاختبار أي من اختبر بشيء من البنات لينظر ما يفعل أيحسن إليهن أو يسيء. فإن من لا يتقي الله لا يأمن أن يتضجر بمن وكّله الله إليه أو يقصر عما أمر بفعله أو لا يقصد بفعله امتثال أمر الله وتحصيل ثوابه والله أعلم.

وقوله ﷺ: «**والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته..**».

ورعاية الخادم حفظ ما تحت يده والقيام بما يجب عليه من خدمته وطاعته لسيده وأن يؤدي إليه ما استعمله فيه دون أن يبخس منه شيئاً ويعلم أنه مسؤول عن ما استحفظ عليه من مال سيده.

وقوله ﷺ: «**والرجل راع في مال أبيه ومسؤول عن رعيته..**».

فليعلم الولد أنه مسؤول أمام الله تعالى عن مال والده أحفظ أم ضيع فيجب على الولد أن يأخذ من مال أبيه بإذنه وأن لا يضع هذا المال فيما حرّم الله تعالى. وقد يطمع بعض الأبناء في مال أبيهم بعد موته فيحرموا أخواتهم من الميراث والله قد أمرنا بالعدل.

﴿**اَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ**﴾ [المائدة: ٨] فليتقوا الله ولا يتعدوا ولا يظلموا حتى لا تكون عاقبة أمرهم خسراً.

وقوله ﷺ: «**وكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**».

قال الحافظ في الفتح: **(١٣/ ١٢١)**:

دخل في هذا العموم المنفرد الذي لا زوج له ولا خادم ولا ولد فإنه يصدق عليه أنه راع على جوارحه حتى يعمل المأمورات ويجتنب المنهيات فعلاً ونطقاً واعتقاداً فجوارحه وقواه وحواسه رعيته ولا يلزم من الاتصاف بكونه راعياً أن لا يكون مرعياً باعتبار آخر.

وقال الأستاذ سيد قطب ـ رحمه الله ـ:

إن المؤمن يشعر بضخامة سؤال الله له يوم القيامة. سؤال الحواس والقلب: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

إنها أمانة الجوارح والحواس والعقل والقلب جميعاً أمانة يرتعش الوجدان لدقتها وجسامتها كلما نطق اللسان بكلمة وكلما روى الإنسان رواية وكلما أصدر حكماً عن شخص أو أمر أو حادثة فلا تتبع ما لم تعلمه علم اليقين وما لم تتثبت من صحته. فهناك يوم القيامة فلا حاجة إلى كلمة تقال أو إلى صوت يرتفع ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الزمر: ٦٩]... [1] اهـ.

ويدخل في ذلك رعاية الحيوان والرفق به وقد ذكر الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٢٨) بعض الأحاديث والآثار وسأذكر بعضها:

- عن عبد الله بن جعفر قال: أردفني رسول الله ﷺ خلفه ذات يوم فأسر إلى حديثاً لا أحدث به أحداً من الناس، وكان أحب ما استتر به رسول الله ﷺ لحاجته هدف أو حائش النخل فدخل حائطاً لرجل من الأنصار فإذا جمل، فلما رأى النبي ﷺ حنَّ وذرفت عيناه فأتاه النبي ﷺ فمسح سراته إلى سنامه وذفراه فسكن فقال: **من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟** فجاء فتى من الأنصار فقال لي يا رسول الله فقال: **أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؟ فإنه شكا إليَّ أنَّك تجيعه وتدئبه)**[2].

- عن ابن عباس قال: «مر رسول الله ﷺ على رجل واضع رجله على صفحة شاة، وهو يحد شفرته وهي تلحظ إليه ببصرها فقال: **أفلا قبل هذا؟ أتريد أن تميتها موتتين؟**»[3].

- عن وهب بن كيسان أن ابن عمر رأى راعي غنم في مكان قبيح وقد رأى

---

(١) اليوم الآخر في ظلال القرآن ص ١٩١.

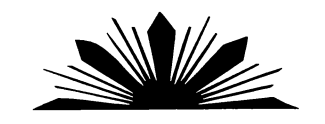
(٢) رواه أبو داود (٢٥٤٩) وغيره وانظر الصحيحة (٢٠) ومعنى تدئبه: تكده وتتعبه.

(٣) رواه الطبراني وغيره وانظر الصحيحة للشيخ الألباني (٢٤).

ابن عمر مكاناً أمثل منه، فقال ابن عمر: ويحك يا راعي حولها فإنِّي سمعت النبي ﷺ يقول: «**كل راع مسؤول عن رعيته**»[1].

- عن معاوية بن قرة قال: كان لأبي الدرداء جمل يقال له: «دمون» فكان إذا استعاروه منه قال: لا تحملوا عليه إلا كذا وكذا فإنه لا يطيق أكثر من ذلك، فلما حضرته الوفاة قال: (يا دمون لا تخاصمني غداً عند ربي فإني لم أكن أحمل عليك إلا ما تطيق)[2].

فاعلم رحمك الله تعالى أنك مسؤول أمام الله تعالى عن جوارحك وعن ولدك وعن زوجك وعن بهيمتك وعن كل ما استرعاك الله عليه، فأعد لهذا السؤال عدته ولهذا الموقف الرهيب جوابه.



---

(١) رواه أحمد (٢/١٠٨) وانظر الصحيحة (١/٣٦).

(٢) رواه أبو الحسن الأخميمي في حديثه: وانظر الصحيحة (١/٣٧)، ومن أراد الزيادة في هذا الباب فليراجع الصحيحة (١/٢٨).

المبحث الثاني عشر
سؤال الله تعالى للعبد
عن تركه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[١]

- عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله ليسأل العبد يوم القيامة حتى يقول: ما منعك إذا رأيت المنكر أن تنكره؟ فإذا لقن الله عبداً حجته قال: يا رب رجوتك وفرقت من الناس**»[٢].

قال الشيخ محمد عبد الباقي في حاشيته على سنن ابن ماجه:

قوله: «وفرقت الناس» أي خفتهم. فسامحت في حقك اعتماداً على أنك كريم مرجو لكمال فضلك ولطفك. اهـ.

وللحديث السابق شاهد عند ابن ماجه (٤٠٠٨) ورجاله ثقات، إلا أنه منقطع من طريق أبي البختري عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يحقر أحدكم نفسه» قالوا: يا رسول الله كيف يحقر أحدنا نفسه؟ قال: «يرى أمر الله عليه فيه مقال ثم لا يقول فيه فيقول الله عز وجل له يوم القيامة: ما منعك أن تقول في كذا وكذا؟ فيقول: خشية الناس فيقول: فإياي كنت أحق أن تخشى**» وقال صاحب فتح المجيد شرح كتاب

---

(١) ولقد أفردت كتابا في هذا الموضوع شاملاً كل التساؤلات التي تدور حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسميته الجواب الأبهر لمن سأل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولذلك أوجزت الكلام فيه هنا.

(٢) صحيح. أخرجه ابن ماجه (٤٠١٧) وانظر الصحيحة للشيخ الألباني (٩٢٩).

التوحيد[1]: والخوف من حيث هو على ثلاثة أقسام، ولكن نذكر النوع الثاني فقط: وهو أنه يترك الإنسان ما يجب عليه خوفاً من بعض الناس فهذا محرم وهو نوع من الشرك بالله المنافي لكمال التوحيد، وهذا هو سبب نزول هذه الآية، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣ ـ ١٧٥].

ومعنى قوله: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾.

أي خوفكم أولياءه ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾.

وهذا نهي من الله تعالى للمؤمنين أن يخافوا غيره وأمر لهم أن يقصروا خوفهم على الله، فلا يخافون إلا إياه، وهذا هو الإخلاص الذي أمر الله به عباده ورضيه منهم، فإذا أخلصوا له الخوف وجميع العبادة أعطاهم ما يرجون وأمنهم من مخاوف الدنيا والآخرة. كما قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ الآية [الزمر: ٣٦] انتهى محل الغرض.

وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في إغاثة اللهفان[2]: ومن كيد عدو الله أنه يخوف المؤمنين من جنده وأوليائه فلا يجاهدوهم ولا يأمرونهم بالمعروف ولا ينهونهم عن المنكر، وهذا من أعظم كيده بأهل الإيمان وقد أخبرنا الله سبحانه عنه بهذا فقال: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾.

قال: والمعنى عند جميع المفسرين: يخوفهم بأوليائه. قال قتادة: يعظمهم في صدوركم ولهذا قال: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

فكلما قوي إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان، وكلما

---

(١) الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ـ رحمهم الله ـ.

(٢) إغاثة اللهفان ١/ ١١٠ تعليق الشيخ محمد حامد الفقي.

ضعف إيمانه قوي خوفه منهم. . . اهـ.

فدلت هذه الآية على أن إخلاص الخوف من كمال شروط الإيمان، ثم إن فائدة الإيمان إنما تكون بإذعان النفس الذي يحرك فيها الخوف والرجاء وغيرهما من وجدانات الدين التي يترتب عليها ترك المنكر المنهي عنه وفعل المعروف المأمور به، ولولا ذلك لم يكن للدين فائدة في إصلاح حال البشر.

وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قام خطيباً فكان فيما قال: **«ألا يمنعن رجلاً هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه»**[١].

قال: فبكى أبو سعيد وقال: قد والله رأينا أشياء فهبنا.

ولكن الواجب علينا ألا نهاب الناس ولا نخشاهم إذا رأينا المنكر، ويجب علينا تغيير المنكر إما باليد أو باللسان أو بالقلب وذلك حسب الاستطاعة كما جاء في الحديث الصحيح عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»**[٢].

قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في شرح مسلم:

وأما صفة النهي فقد قال النبي ﷺ في هذا الحديث الصحيح فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه. فقوله ﷺ: «فبقلبه» معناه فليكرهه بقلبه وليس ذلك بإزالة وتغيير منه للمنكر، ولكنه هو الذي في وسعه.

وقال أيضاً رحمه الله:

واعلم أن هذا الباب أعني باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد ضيع أكثره في أزمان متطاولة ولم يبق منه في هذه الأزمان إلا رسوم قليلة جداً، وهو باب عظيم به قوام الأمر وملاكه، وإذا كثر الخبث عم العقاب

---

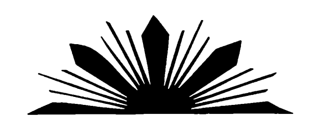
(١) صحيح. ابن ماجه (٤٠٠٧) وانظر الصحيحة للشيخ الألباني (١٦٨).

(٢) أخرجه مسلم (٤٩) عبد الباقي.

الصالح والطالح، وإذا لم يأخذوا على يد الظالم أوشك أن يعمهم الله تعالى بعقابه فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم، فينبغي لطالب الآخرة والساعي في تحصيل رضا الله عز وجل أن يعتني بهذا الباب، فإن لفظه عظيم لا سيما وقد ذهب معظمه ويخلص نيته، ولا يهابن من ينكر عليه لارتفاع مرتبته، فإن الله تعالى قال: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩] وقال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت: ٢].

واعلم أن الأجر على قدر النصب ولا يتاركه أيضاً لصداقته ومودته ومداهنته وطلب الوجاهة عنده ودوام المنزلة لديه، فإن صداقته ومودته توجب له حرمة وحقاً ومن حقه أن ينصحه ويهديه إلى مصالح آخرته وينقذه من مضارها، وصديق الإنسان ومحبه هو من سعى في عمارة آخرته وإن أدى ذلك إلى نقص في دنياه وعده من يسعى في ذهاب أو نقص آخرته، وإن حصل بسبب ذلك صورة تقع في دنياه وإنما كان إبليس عدواً لنا لهذا وكانت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أولياء للمؤمنين لسعيهم في مصالح آخرتهم وهدايتهم إليها، ونسأل الله الكريم توفيقنا وأحبابنا وسائر المسلمين لمرضاته وأن يعمنا بجوده ورحمته والله أعلم... انتهى.



المبحث الثالث عشر
سؤال الله تعالى للعبد
عن عيادة المريض ورد السائل:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده؟ أما أنك لو عدته لوجدتني عنده؟ يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني. قال: يا رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي. يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي**»[1].

قال النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم:

قوله عز وجل: «مرضت فلم تعدني قال يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده».

قال العلماء إنما أضاف المرض إليه سبحانه وتعالى والمراد العبد تشريفاً للعبد وتقريباً له. اهـ.

---

(١) رواه مسلم (٢٥٦٩) عبد الباقي.

وقال الشيخ محمد بن العثيمين:

إن السلف أخذوا بهذا الحديث ولم يصرفوه عن ظاهره بتحريف يتخبطون فيه بأهوائهم وإنما فسروه بما فسره به المتكلم به فقوله تعالى: «مرضت واستطعمتك واستسقيتك» بينه الله ـ تعالى ـ بنفسه حيث قال: «أما علمت أن عبدي فلاناً مرض وأنه استطعمك عبدي فلان، واستسقاك عبدي فلان» وهو صريح في أن المراد به مرض عبد من عباد الله، واستطعام عبد من عباد الله واستسقاء عبد من عباد الله والذي فسره بذلك هو الله المتكلم به وهو أعلم بمراده، فإذا فسرنا المرض المضاف إلى الله والاستطعام المضاف إليه والاستسقاء المضاف إليه بمرض العبد واستطعامه واستسقائه لم يكن في ذلك الكلام صرف عن ظاهره لأن ذلك تفسير المتكلم به فهو كما لو تكلم بهذا المعنى ابتداء، وإنما أضاف الله ذلك إلى نفسه أولاً للترغيب والحث كقوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ﴾[1].

وهذا الحديث من أكبر الحجج الدافعة لأهل التأويل الذين يحرفون نصوص الصفات عن ظاهرها بلا دليل من كتاب الله تعالى ولا من سنة رسوله ﷺ، وإنما يحرفونها بشبه باطلة هم فيها متناقضون مضطربون، إذ لو كان المراد خلاف ظاهرها كما يقولون لبينه الله تعالى ورسوله، ولو كان ظاهرها ممتنعاً على الله كما زعموا لبينه الله ورسوله كما في ذلك الحديث، ولو كان ظاهرها اللائق بالله ممتنعاً على الله لكان في الكتاب والسنة من وصف الله تعالى بما يمتنع عليه ما لا يحصى إلا بكلفة وهذا من أكبر المحال[2]. . انتهى.

وقد وردت أحاديث كثيرة للحث على عيادة المريض منها:

عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من عاد مريضاً لم يزل في خرفة الجنة قيل يا رسول الله: وما خرفة الجنة قال: جناها**»[3].

---

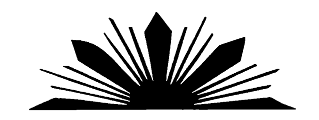
(١) البقرة: ٢٤٥.

(٢) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى. ص ١٠٢ ـ ١٠٣.

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٦٨) عبد الباقي، ومعنى جناها: هو ما يجتنى من الثمر.

وعن علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من مسلم يعود مسلماً غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وإن عاده عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وكان له خريف في الجنة**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام وعيادة المريض واتباع الجنائز وإجابة الدعوة وتشميت العاطس**»(٢).



---

(١) صحيح. رواه الترمذي (٩٦٩) وأبو داود (٣٠٩٨) وابن ماجه (١٤٤٢). ومعنى الخريف: الثمر المخروف أي المجتبى.

(٢) أخرجه البخاري (١٢٤٠) ومسلم (٢١٦٢) عبد الباقي.

المبحث الرابع عشر
سؤال الله تعالى للمؤمن أتعرف ذنب كذا؟

عن صفوان بن محرز المازني قال: (بينما أنا أمشي مع ابن عمر رضي الله عنهما آخذ بيده إذا عرض رجل) فقال: كيف سمعت رسول الله ﷺ في النجوى؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي ربِّ. حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك قال: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطي كتاب حسناته**». **وأما الكفار والمنافقون فيقول الأشهاد:** ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١٠/ ٥٠٤):

قال المهلب: في الحديث تفضل الله على عباده بستره لذنوبهم يوم القيامة، وأنه يغفر ذنوب من شاء منهم بخلاف قول من أنفذ الوعيد على أهل الإيمان لأنه لم يستثني في هذا الحديث ممن يضع عليه كنفه وستره أحداً إلا الكفار والمنافقين فإنهم الذين ينادي عليهم على رؤوس الأشهاد باللعنة. انتهى.

---

(١) أخرجه البخاري/ المظالم/ باب قول الله تعالى: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨] ح (٢٤٤١) ومسلم (٢٧٦٨).

المبحث الخامس عشر
سؤال الله تعالى للعبد هل عملت خيراً قط؟

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: **«إن رجلاً لم يعمل خيراً قط وكان يداين الناس فيقول لرسوله: خذ ما تيسر واترك ما عسر وتجاوز لعل الله تعالى أن يتجاوز عنا، فلما هلك قال الله عز وجل له: هل عملت خيراً قط؟ قال: لا، إلا أنه كان لي غلام وكنت أداين الناس فإذا بعثته ليتقاضى قلت له: خذ ما تيسر واترك ما عَسُرَ وتجاوز لعل الله يتجاوز عنا، قال الله تعالى: قد تجاوزت عنك»**(1).

في الحديث: الحث على إنظار الغريم المعسر.

وفيه فضل إنظار الغريم المعسر.

وفيه الحث على أخذ ما تيسر من الغريم المعسر ولا نكلفه ما لا يطيق.

وفيه التحذير من أكل الربا. وفيه الحث على مسامحة الغريم المعسر والتجاوز عنه إذا كان لا يستطيع سداد دينه.

وفيه الحث على فعل الخيرَات ولا تحقرن شيئاً من المعروف لعل فيه رحمتك وسعادتك فلا تشقى.

وفيه الطاعة لولي الأمر في المعروف.

وفيه حسن الظن بالله وفيه إثبات صفتي الكلام والرحمة لله تعالى.

---

(١) حديث حسن. أخرجه النسائي (٧/٣١٨) البيوع/ حسن المعاملة والرفق في المطالبة. وبلفظ آخر أخرجه البخاري (٢٠٧٧) ومسلم (١٥٦١).

المبحث السادس عشر
سؤال الله تعالى لرجل أوصى بنيه
أن يحرقوه بعد موته: ما حملك على ما صنعت؟

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«كان رجل يسرف على نفسه، فلما حضره الموت قال لبنيه: إذا أنا مت فأحرقوني ثم اطحنوني ثم ذروني في الريح فوالله لئن قدر الله عليّ ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً. فلما مات فعل به ذلك فأمر الله الأرض فقال: اجمعي ما فيك منه ففعلت. فإذا هو قائم، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: يا رب خشيتك فغفر له»**[1].

قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٦/ ٦٠٤):

وهذا جميعه كما قال ابن عقيل أخبار عما سيقع له يوم القيامة وليس كما قال بعضهم أنه خاطب روحه فإن ذلك لا يناسب قوله: (فجمعه الله) لأن الجمع والتفريق إنما وقع على الجسد وهو الذي يجمع ويعاد عند البعث.. انتهى.

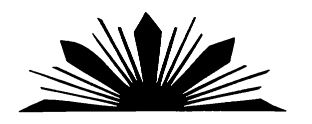
قلت: ويرجح هذا القول قوله في الحديث الآخر: **«فقال الله كن فإذا رجل قائم»**[2] والرجل جسد وروح.

---

(١) رواه البخاري (٣٤٨١) وأطرافه في: (٦٤٨٠ ـ ٦٤٨١ ـ ٧٥٠٦ ـ ٧٥٠٨) ومسلم (٢٧٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٨١).

وقال الحافظ ابن حجر قوله: «فوالله لئن قدر الله على»: قال الخطابي قد يستشكل هذا فيقال كيف يغفر له وهو منكر للبعث والقدرة على إحياء الموتى؟ والجواب: أنه لم ينكر البعث وإنما جهل، فظن أنه إذا فعل به ذلك لا يعاد فلا يعذب، وقد ظهر إيمانه باعترافه بأنه إنما فعل ذلك من خشية الله[(١)].. انتهى.



(١) فتح الباري (٦/ ٦٠٤).

المبحث السابع عشر
سؤال الله تعالى عن المتحابين بجلاله سبحانه:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي**»[١].

في الحديث: الحث على المحبة وتنبغي أن تكون لله وفي الله.

وفيه فضل الحب في الله.

وفيه أن المحبة من كمال الإيمان.

وفيه إثبات صفة الكلام لله تعالى وأنه سبحانه يتكلم بصوت مسموع متى شاء وكيف شاء.

وفيه إثبات ظل الله يوم القيامة.

قال الشيخ محمد بن العثيمين:

نتكلم على مسألة ضل فيها كثير من الجهال وهي قوله ﷺ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**»[٢]. حيث توهموا جهلاً منهم أن هذا

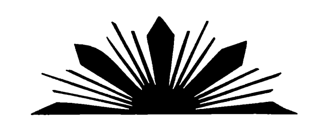
---

(١) رواه مسلم (٢٥٦٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٠) كتاب الآذان/ باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة ومسلم (١٠٣١). وتمام الحديث (إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه).

هو ظل الله نفسه، وأن الله تعالى يظلهم من الشمس بذاته عز وجل، وهذا فهم خاطىء منكر يقوله بعض المتعالمين الذين يقولون: إن مذهب أهل السنة إجراء النصوص على ظاهرها فيقال أين الظاهر؟ وكيف يكون ظاهر الحديث وأن الرب جل وعلا يظلهم من الشمس؟ فإن هذا يقتضي أن تكون الشمس فوق الله عز وجل، وهذا شيء منكر لا أحد يقول به من أهل السنة، لكن مشكلات الناس ولا سيما في هذا العصر أن الإنسان إذا فهم لم يعرف التطبيق وإذا فهم مسألة ظن أنه أحاط بكل شيء علماً. والواجب على الإنسان أن يعرف قدر نفسه وألا يتكلم ـ لا سيما في باب الصفات ـ إلا بما يعلم من كتاب وسنة رسوله ﷺ وكلام الأئمة فمعنى «يوم لا ظل إلا ظله». أو «يظلهم الله في ظله» يعني الظل الذي لا يقدر أحد عليه في ذلك الوقت لأنه في ذلك الوقت لا بناء يبنى ولا شجر يغرس ولا رمال تقام ولا أحجار تصفف ولا شيء من هذا. قال الله عز وجل: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ [طه: ١٠٥ ـ ١٠٧].

ولا يظل الخلائق من الشمس شيء لا بناء ولا شجر ولا حجر ولا غير ذلك، لكن الله عز وجل يخلق شيئاً يظلل به من شاء من عباده يوم لا ظل إلا ظله. هذا هو معنى الحديث ولا يجوز أن يكون له معنى سوى هذا[١].. انتهى.



---

(١) شرح رياض الصالحين (٥/٣٠٥ ـ ٣٠٦).

المبحث الثامن عشر
سؤال الله تعالى للأنامل:

- عن حميضة بنت ياسر عن جدتها يُسَيْرة وكانت من المهاجرات قالت: قال لنا رسول الله ﷺ: «**يا نساء المؤمنات عليكن بالتهليل والتسبيح والتقديس ولا تغفلن فتنسين الرحمة واعقدن بالأنامل فإنهن مسؤولات مستنطقات**»[1].

الأنامل: جمع أنملة وهي المفصل الأعلى الذي فيه الظفر من الإصبع أي رؤوس الأصابع.

وفي الحديث: الحث على التهليل أي قول لا إله إلا الله.

وعلى التسبيح أي بقول سبحان الله.

وعلى التقديس أي قول سبحان الملك القدوس أو سبوح قدوس ونحو ذلك.

وفيه الحث على الذكر وأن المداومة عليه من أسباب الرحمة.

وفيه التحذير من الغفلة وأنها من موانع الرحمة.

وفيه أفضلية الذكر بالأنامل وأنهن أولى من السبحة والحصى ونحو ذلك.

---

(١) حسن. أخرجه أبو داود (١٥٠١) والترمذي (٣٥٨٣) وأحمد (٦/ ٣٧١) واللفظ له.

وفيه أن الأنامل كسائر الأعضاء مسؤولات أي يسألهن الله تعالى يوم القيامة عما اكتسبن وبأي شيء استعملن.

وفيه قدرة الله تعالى على نطق الأنامل وهو سبحانه الذي أنطق كل شيء وهو على كل شيء قدير.

وفيه شهادة هذه الأنامل المستنطقة على صاحبها بما كسبت يداه.

وفيه الحث على استعمال الجوارح فيما يرضي الله والبعد عما يغضب الله.



المبحث التاسع عشر
سؤال الله تعالى لأحد المقنطين من رحمة الله: أكنت بي عالماً؟

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كان رجلان من بني إسرائيل متواخيين**[١] **فكان أحدهما يذنب والآخر مجتهد في العبادة، فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول: أقصر**[٢] **فوجده يوماً على ذنب فقال له: أقصر. فقال: خلني وربي أبعثت علي رقيباً؟ فقال: والله لا يغفر الله لك أو لا يدخلك الله الجنة، فقبض أرواحهما، فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد أكنت بي عالماً؟ أو كنت على ما في يدي قادراً؟ وقال: للمذنب اذهب فادخل الجنة برحمتي وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار**»[٣].

- عن جندب أن رسول الله ﷺ حدث أن رجلاً قال والله لا يغفر الله لفلان وأن الله تعالى قال: «**من ذا الذي يتألّى**[٤] **عليّ أن لا أغفر لفلان فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك**»[٥] وكما قال.

---

(١) متواخين: أي متقابلين في القصد والسعي، فهذا كان قاصداً وساعياً في الخير وهذا كان قاصداً وساعياً في الشر.

(٢) أقصر: من الإقصار وهو الكف عن الشيء.

(٣) صحيح لغيره. رواه أبو داود (٤٩٠١). وأحمد (٢/ ٣٢٣ ـ ٣٦٣) وابن حبان (٥٧١٢).

(٤) يتألّى: يحلف ويبالغ في يمينه.

(٥) رواه مسلم (٢٦٢١).

وفي الحديثين: النهي عن تقنيط العصاة من رحمة الله تعالى.

وفيه النهي عن القول على الله بغير علم.

وفيه عدم الاغترار بالطاعة.

وفيه إنما الأعمال بالخواتيم.

وفيه أن الله يدخل من يشاء برحمته الجنة ويدخل من يشاء بعدله النار.

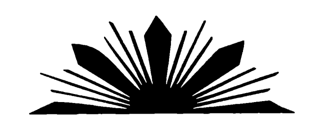
وفيه إثبات صفة الكلام لله تعالى.

وفيه الترهيب من غضب الحليم سبحانه وتعالى.

وفيه الحث على القول بما يرضي الله تعالى، ولعل الرجل يقول الكلمة فيغضب الله تعالى فتوبق دنياه وآخرته.

وفيه الحث على التوبة والله يغفر الذنوب جميعاً.

وفيه سعة رحمة الله تعالى.



المبحث العشرون
سؤال الله تعالى للعباد عن العهود والمواثيق:

العهد أعم من الميثاق، فالعهد يشمل الميثاق وكل ما يراعي ويتعهد كالقول والقرار واليمين والوصية والضمان والحفظ والزمان والأمر وغير ذلك. والميثاق العهد المحكم.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢ - ١٧٣].

يقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أي: أخرج من أصلابهم ذريتهم، وجعلهم يتناسلون، ويتوالدون، قرناً بعد قرن.

وحين أخرجهم من بطون أمهاتهم وأصلاب آبائهم ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ أي: قررهم، بإثبات ربوبيته، بما أودعه في فطرهم، من الإقرار، بأنه ربهم، وخالقهم، ومليكهم.

قالوا: ﴿بَلَىٰ﴾ قد أقررنا بذلك، فإن الله تعالى، فطر عباده على الدين الحنيف القيم.

فكل أحد، فهو مفطور على ذلك، ولكن الفطرة قد تغير، وتبدل، بما يطرأ على العقول من العقائد الفاسدة، ولهذا ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾.

أي: إنما امتحناكم، حتى أقررتم بما تقرر عندكم، من أن الله تعالى ربكم، خشية أن تنكروا يوم القيامة، فلا تقروا بشيء من ذلك، وتزعمون أن حجة الله، ما قامت عليكم، ولا عندكم بها علم، بل أنتم غافلون عنها لاهون.

فاليوم، قد انقطعت حجتكم، وثبتت الحجة البالغة لله عليكم.

أو تحتجون أيضاً بحجة أخرى، فتقولون: ﴿إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ﴾ فحذونا حذوهم، وتبعناهم في باطلهم.

﴿أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾، فقد أودع الله في فطركم، ما يدلكم على أن ما مع آبائكم باطل، وأن الحق ما جاءت به الرسل، وهذا يقاوم ما وجدتم عليه آباءكم، ويعلو عليه.

نعم قد يعرض للعبد من أقوال آبائه الضالين، ومذاهبهم الفاسدة ما يظنه هو الحق، وما ذاك إلا لإعراضه عن حجج الله وبيناته، وآياته الأفقية، والنفسية.

فإعراضه ذلك، وإقباله على ما قاله المبطلون، ربما صيره بحالة يفضل بها الباطل على الحق.

وقال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ لِتُؤۡمِنُواْ بِرَبِّكُمۡ وَقَدۡ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٨﴾ [الحديد: ٨].

قال الطبري: عنى بذلك: وقد أخذ منكم ربكم ميثاقكم في صلب آدم بأن الله ربكم لا إله لكم سواه.

قال تعالى: ﴿وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ﴾ [الأنعام: ١٥٢] وقوله تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ﴾ [النحل: ٩١]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلۡأَدۡبَٰرَۚ وَكَانَ عَهۡدُ ٱللَّهِ مَسۡـُٔولٗا ١٥﴾ [الأحزاب: ١٥] سيسألهم الله تعالى عن ذلك العهد فيجدهم قد نقضوه فما ظنهم إذاً بربهم؟.

وقال تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء: ٣٤]. فأوفوا بالعهد الذي عاهدتم الله عليه والذي عاهدتم الخلق عليه لأنكم

مسؤولون عن الوفاء به، فإن وفيتم فلكم الثواب الجزيل وإن لم تفعلوا فعليكم الإثم العظيم. وكذا يتكرر الأمر تعظيماً بشأن العهد وتنبيهاً على وجوب الوفاء به وعدم الإخلال بمقتضاه تحقيقاً لعبودية الله وطاعته. وكما جاء الأمر فقد ورد النهي عن نقض العهد والميثاق. قال تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ﴾ [النحل: ٩٥] وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾ [الرعد: ٢٠].

فالعهود ثلاثة: عهد مع الله بتوحيده وعدم الشرك به، وعهد مع الناس فيجب الوفاء به كعقود النكاح والبيوع ونحو ذلك، وعهد الإنسان على نفسه بفعل الطاعات وترك المنكرات، واعلم أن من صفات المنافقين عدم الوفاء بالعهد.



المبحث الحادي والعشرون
سؤال الله تعالى للكفار والمشركين عن شركائهم:

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ . . .﴾ [الأنعام: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [القصص: ٦٢] وقال تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الشعراء: ٩٢ ـ ٩٣].

وقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النحل: ٥٦].

هذه الأسئلة الموجهة للكفار والمشركين يوم القيامة الغرض منها التوبيخ والتقريع على اتخاذهم الأنداد في الحياة الدنيا من دون الله تعالى، وهي لم تكن شركاء لله في الحقيقة بل سموها شركاء فأضيفت إليهم وهي ما كانوا يعبدونه من دون الله تعالى أو مع الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أي تزعمونها شركاء لم ينفعوهم في تلك الحال أو كانت حاضرة ولكن لا ينتفعون بها بوجه من الوجوه، فكان وجودها كعدمها فوبخهم بندائه لهم: أين هي لتنفعكم؟

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٧].

هنا في هذا اليوم الذي لا يجدي فيه جدال ولا تحريف للكلم ولا محال فماذا هم قائلون؟ ﴿قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ أعلمناك أن ليس منا

اليوم من يشهد أنك لك شريك. وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُواْ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾؟ [النمل: ٨٤] أي: ويسألون عن اعتقادهم وأعمالهم فلما لم يكونوا من أهل السعادة وكانوا كما قال الله تعالى عنهم: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾﴾ [القيامة: ٣١ ـ ٣٢] فحينئذ قامت عليهم الحجة ولم يكن لهم عذر يعتذرون به كما قال تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [المرسلات: ٣٥ ـ ٣٧].

وهكذا قال ها هنا ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [النمل: ٨٥] أي بهتوا فلم يكن لهم جواب لأنهم كانوا في الدار الدنيا ظلمة لأنفسهم، وقد ردوا إلى عالم الغيب والشهادة الذي لا تخفى عليه خافية.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [غافر: ٧٣ ـ ٧٤].

يسأل الكفار والمشركون هذا السؤال تبكيتاً لهم وخزياً، فيجيبون إجابة المخدوع الذي انكشفت له خدعته وهو يائس حسير.

﴿قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا﴾ أي ذهبوا عنا وغابوا عنا فلم نرهم ولم ينفعونا. ﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا﴾ أي جحدوا عبادتهم لغير الله تعالى من الملائكة والشياطين والبشر والأوثان والأموال والسلطان وغير ذلك من الأنداد، فقد كانت كلها أوهاماً وأضاليل وعلى أثر الجواب البائس يجيء التعقيب العام ﴿ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ وكذلك سؤال الله لهم عن جعلهم الملائكة إناثاً.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الزخرف: ١٩] قال العلامة الشنقيطي في تفسير الآية: (٧/ ٢١٩).

وقد ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أربع مسائل:

الأولى: أن الكفار افتروا على الملائكة أنهم إناث زاعمين أنهم بنات الله.

الثانية: أنه وبخهم على ذلك توبيخاً شديداً وأنكر عليهم ذلك في قوله: ﴿أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْۚ﴾ يعني هل حضروا خلق الله لهم فعاينوهم إناثاً.

الثالثة: أن شهادتهم الكاذبة بذلك ستكتب عليهم.

الرابعة: أنهم يسألون عنها يوم القيامة.

وهذه المسائل الأربع التي تضمنتها هذه الآية الكريمة جاءت موضحة في غير هذا الموضع.

أما الأولى منها: وهي كونهم اعتقدوا الملائكة إناثاً فقد ذكرها تعالى في مواضع من كتابه كقوله تعالى: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الإسراء: ٤٠] وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾﴾ [النجم: ٢٧].

وقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا﴾ [الصافات: ١٤٩ ـ ١٥٠].

إلى غير ذلك من الآيات.

وأما المسألة الثانية: وهي سؤاله تعالى لهم على وجه الإنكار والتوبيخ والتقريع هل شهدوا خلق الملائكة وحضروه حتى علموا أنهم خلقوا إناثاً، فقد ذكرها في قوله تعالى: ﴿أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ [الصافات: ١٥٠] وبين تعالى أنه لم يشهد الكفار خلق شيء في قوله: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ [الكهف: ٥١].

وأما المسألة الثالثة: التي هي كون شهادتهم بذلك الكفر ستكتب عليهم فقد ذكرها تعالى في مواضع من كتابه كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١٢] وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الزخرف: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف: ٨٠].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ [يونس: ٢١].

وقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ [الإسراء: ١٣ ـ ١٤].

وقوله تعالى: ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٩].

وأما المسألة الرابعة: وهي كونهم يسألون عن ذلك الإفتراء والكفر فقد ذكرها تعالى في آيات من كتابه، كقوله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [العنكبوت: ١٣].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف: ٤٤].

وقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ۗ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النحل: ٥٦]. إلى غير ذلك من الآيات.. اهـ.

وقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ۗ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النحل: ٥٦].

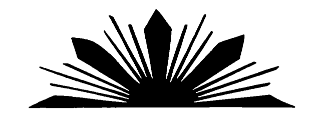
فالسؤال هنا سؤال تقريع وتوبيخ للكفار الذين أشركوا معبوداتهم من الإنس والجن والملائكة والأصنام وغير ذلك مع الله تعالى، فهذا افتراء على الله تعالى. وقال صاحب الظلال ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية:

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ۗ﴾.

فإذا هم يحرمون على أنفسهم بعض الأنعام لا يركبونها أو لا يذوقون لحومها أو يبيحونها للذكور دون الإناث باسم الآلهة المدعاة التي لا يعلمون عنها شيئاً، إنما هي أوهام موروثة من الجاهلية الأولى والله هو الذي رزقهم هذه النعمة التي يجعلون لما لا يعلمون نصيباً منها، فليست هي من رزق الآلهة المدعاة لهم ليردوها عليها، إنما هي من رزق الله الذي يدعوهم إلى توحيده فيشركون به سواه. وهكذا تبدوا المفارقة في تصورهم وفي تصرفهم

على السواء الرزق كله من الله والله يأمر ألا يعبد سواه، فهم يخالفون عن أمره فيتخذون الآلهة وهم يأخذون من رزقه فيجعلونه لما نهاهم عنه، وبهذا تتبدى المفارقة واضحة جاهرة عجيبة مستنكرة.

وما يزال أناس بعد أن جاءت عقيدة التوحيد وتقررت يجعلون نصيباً من رزق الله لهم موقوفاً على ما يشبه آلهة الجاهلية، ما يزال بعضهم يطلق عجلاً يسميه (عجل السيد البدوي) يأكل من حيث شاء لا يمنعه أحد ولا ينتفع به أحد حتى يذبح على اسم السيد البدوي لا على اسم الله، وما يزال بعضهم ينذرون للأولياء ذبائح يخرجونها من ذمتهم لا لله ولا باسم الله ولكن باسم ذلك الولي على ما كان أهل الجاهلية يجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقهم الله وهو حرام نذره على هذا الوجه حرام لحمه ولو سمى اسم الله عليه لأنه أهل لغير الله به... انتهى.



المبحث الثاني والعشرون
سؤال الله تعالى للمكذبين بيوم البعث:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنعام: ٣٠ - ٣١]. وقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥].

هذا مصير الذين قالوا: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام: ٢٩].

وهذا هو مشهدهم البائس المخزي المهين وهم موقوفون في حضرة ربهم الذين كذبوا بلقائه وكأنما أخذ بأعناقهم حتى وقفوا في هذا المشهد الجليل الرهيب.

﴿قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۚ﴾ [الأنعام: ٣٠].

أي قال لهم ربهم أليس هذا الذي أنتم فيه من البعث هو الحق الذي لا ريب فيه وأنه ليس بباطل كما كنتم تظنون. والسؤال للتقريع والتوبيخ أي أليس هذا البعث الذي ينكرونه كائناً موجوداً وهذا الجزاء الذي يجحدونه حاضراً.

﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ﴾.

الآن وهم موقوفون على ربهم قالوا بلى هذا الحق الذي لا ريب فيه ولا باطل يحوم حوله، اعترفوا وأكدوا اعترافهم بالقسم فشهدوا بذلك على أنفسهم أنهم كانوا كافرين.

وكقوله تعالى: ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ۝١٥﴾ [الطور: ١٥] أفسحر هذا الذي ترون وتشاهدون كما كنتم تقولون لرسل الله المرسلة ولكتبه المنزلة.

﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ أي أم أنتم عمي عن هذا كما كنتم عمياً عن الحق في الدنيا. وإنكار البعث ذكر في أكثر من موضع في كتاب الله تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝٤٧ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ۝٤٨ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ۝٤٩ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ۝٥٠﴾ [الواقعة: ٤٧ ـ ٥٠] لما أنكر الكفار بعثهم وآباءهم الأولين في الآية المتقدمة، أمر الله نبيه ﷺ أن يخبرهم خبراً مؤكداً بأن الأولين والآخرين كلهم مجموعون يوم القيامة للحساب والجزاء بعد بعثهم، وما تضمنته هذه الآية الكريمة من بعث الأولين والآخرين وجمعهم يوم القيامة جاء موضحاً في آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ [التغابن: ٩].

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ [آل عمران: ٩].

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [النساء: ٨٧].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾ [هود: ١٠٤].

وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٨﴾ [المرسلات: ٣٨]. وقد بين الله تعالى حالة خروج الناس من قبورهم فقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ [المعارج: ٤٣] أي يخرجون من الأجداث وهي القبور وهي أنهم يخرجون سراعاً، وبيَّن في موضع آخر أنهم يخرجون مبعثرين هنا وهناك في قوله تعالى: ﴿۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩﴾ [العاديات: ٩].

وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦﴾ [الزلزلة: ٦].

وقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤﴾ [القارعة: ٤]. وقد قيل إن وصفها بالفراش في أول حالها في الاضطراب والحيرة. ووصفهم

كالجراد في الكثرة ووحدة الاتجاه.

وقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝٥١﴾ [يس: ٥٢].

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة النفخة الأخيرة والصور قرن من نور ينفخ فيه الملك نفخة البعث، وهي النفخة الأخيرة وإذا نفخها قام جميع أهل القبور من قبورهم أحياء إلى الحساب والجزاء.

﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ أي يسرعون في المشي من القبور إلى المحشر.

كقوله تعالى: ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: ٨].

أي مسرعين فادى أعناقهم.

فاعلم يرحمك الله أن وعد الله حق وأن الساعة حق وأن لقاء الله حق، مهما زعم الذين كفروا بإنكار البعث ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟﴾ [التغابن: ٧]، ﴿بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾ [الكهف: ٥٨].

أما جزاؤهم جهنم وبئس المصير.

﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ [الفرقان: ١١]. فاعلم أن وقوع البعث من القبور قد دل عليه الكتاب والسنة والعقل والفطرة السليمة أخبر الله عنه في كتابه العزيز، وأقام عليه الدليل ورد على منكريه في آيات كثيرة من القرآن العظيم، وقد أخبرت عنه جميع الأنبياء أممها وطالبت المنكرين بالإيمان به، ولما كان نبينا محمد ﷺ خاتم الأنبياء وكان قد بعث هو والساعة كما ثبت في الحديث الصحيح عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: **(رأيت رسول الله ﷺ قال بإصبعيه هكذا الوسطى والتي تلي الإبهام، وقال: بعثت أنا والساعة كهاتين)**[1].

وقد بيَّن ﷺ تفصيل الآخرة تفصيلاً لا يوجد في شيء من كتب الأنبياء قبله.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٣) ومسلم (٢٩٥٠) عبد الباقي.

والقيامة الكبرى معروفة عند جميع الأنبياء من آدم إلى نوح إلى إبراهيم موسى وعيسى وغيرهم عليهم الصلاة والسلام، وقد أخبر الله من حين أهبط آدم بالقيامة فقال تعالى: ﴿قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف: ٢٥] ولما قال إبليس اللعين ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الحجر: ٣٦]، [ص: ٧٩] وقال الله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾﴾ [الحجر: ٣٧ ـ ٣٨]، [ص: ٨٠ ـ ٨١].

ونوح عليه السلام قال لقومه: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [نوح: ١٧ ـ ١٨].

وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء: ٨٢].

وموسى عليه السلام قال الله له: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [طه: ١٥ ـ ١٦].

وقال موسى عليه السلام في دعائه: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ٥٦]. وقد أخبر الله تعالى أن الكفار إذا أدخلوا يقرون أن رسلهم أنذرتهم هذا اليوم كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١].

فجميع الرسل أنذروا بما أنذر به خاتمهم عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه.

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**قال رسول الله ﷺ ما بين النفختين أربعون قال: أربعون يوماً؟ قال: أبيت، قال أربعون شهراً؟ قال أبيت، قال أربعون سنة؟ قال أبيت. قال: ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت**

البقل ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً وهو عَجْبُ الذَّنبِ ومنه يركب الخلق يوم القيامة»[1].

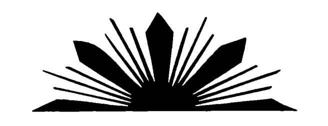
والقائل أبيت هو أبو هريرة، كما ثبت في الحديث الآخر: «قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوماً؟ قال: أبيت. قال: أربعون سنة؟ قال: أبيت... الحديث»[2].

ومعنى أبيت أي: امتنعت عن القول بتعيين ذلك لأنه ليس عندي في ذلك توقيف أو أبيت أن أقول ما لم أسمع أو أنه غيب لا أعرفه.

وقال ابن التين: ويحتمل أيضاً أن يكون علم ذلك، لكن سكت ليخبرهم في وقت أو اشتغل عن الإعلام حينئذٍ[3].

فاعلم يرحمك الله أنك تبعث وأنك تحاسب وتجازى على عملك، فإما إلى جنة عالية وإما إلى نار حامية.

اللهم قنا عذابك يوم تبعث عبادك.



---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٣٥) ومسلم (٢٩٥٥) عبد الباقي.

(٢) أخرجه البخاري (٤٨١٤) ومسلم (٢٩٥٥) عبد الباقي.

(٣) انظر فتح الباري لابن حجر العسقلاني (٨/ ٤١٤، ٥٥٨).

المبحث الثالث والعشرون
سؤال الله تعالى للمكذبين عن اعتقادهم وأعمالهم:

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [النمل: ٨٤ ـ ٨٥].

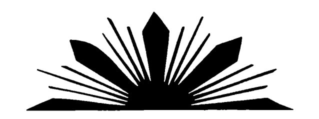
قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسيره:

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو﴾ ووقفوا بين يدي الله عز وجل في مقام المساءلة ﴿قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي فيسئلون عن اعتقادهم وأعمالهم، فلما لم يكونوا من أهل السعادة وكانوا كما قال الله عنهم: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾﴾ [القيامة: ٣١ ـ ٣٢] فحينئذ قامت عليهم الحجة، ولم يكن لهم عذر يعتذرون به كما قال الله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المرسلات: ٣٥ ـ ٣٦]. وهكذا قال ههنا ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾﴾ أي بهتوا فلم يكن له جواب لأنهم كانوا في الدار الدنيا ظلمة لأنفسهم وقد ردوا إلى عالم الغيب والشهادة الذي لا تخفى عليه خافية.

وقال الشيخ الشنقيطي في تفسيره (٦/ ٤٤٠).

ومقصوده بسؤالهم عن اعتقادهم قوله تعالى: ﴿أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى﴾ لأن التصديق بآيات الله التي هي هذا القرآن من عقائد الإيمان التي لا بد منها كما هو معلوم في حديث جبريل وغيره ومقصوده بسؤالهم عن أعمالهم قوله تعالى

﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ والسؤال المذكور سؤال توبيخ وتقريع، فقد وبخهم تعالى منه على فساد الاعتقاد وفساد الأعمال، والتوبيخ عليهما معاً المذكور هنا جاء مثله في قوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾﴾ كما أشار له ابن كثير رحمه الله. فقوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ ﴾ وقوله: ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ﴾ توبيخ على فساد الاعتقاد. وقوله: ﴿وَلَا صَلَّىٰ ﴾ توبيخ على إضاعة العمل... اهـ.



المبحث الرابع والعشرون
سؤال الله تعالى لجهنم هل امتلأت؟

قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ۝٣٠﴾ [ق: ٣٠].

قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسيره:

يخبر تعالى أنه يقول لجهنم يوم القيامة هل امتلأت؟ وذلك لأنه تبارك وتعالى وعدها أن سيملؤها من الجِنَّة والناس أجمعين، فهو سبحانه وتعالى يأمر بمن يأمر به إليها ويلقى وهي تقول هل من مزيد: أي هل بقي شيء تزيدوني؟ هذا هو الظاهر من سياق الآية وعليه تدل الأحاديث.

- عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد حتى يضع رب العرش فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط. قط، بعزتك وكرمك، ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشىء الله له خلقاً فيسكنهم فضل الجنة**»[١].

- عن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه وأكثر ما كان يوقفه أبو سفيان (**يقال لجهنم هل امتلأت؟ وتقول هل من مزيد؟ فيضع الرب تبارك وتعالى قدمه عليها فتقول قط قط**)[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٨٤) ومسلم واللفظ له (٧٠٣٩) نووي. قلعجي، (٢٨٤٨) عبد الباقي.

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٤٩).

- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة مالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم، قال الله تبارك وتعالى للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار: إنما أنت عذابٌ أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منهما ملؤها، فأما النار فلا تمتلىء حتى يضع رجله فيها فتقول قط قط قط، فهنالك تمتلىء وينزوي بعضها إلى بعض ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحداً، وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشىء لها خلقاً»**[1].

- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«احتجت النار والجنة فقالت هذه: يدخلني الجبارون والمتكبرون، وقالت هذه يدخلني الضعفاء والمساكين، فقال الله عز وجل لهذه أنت عذابي أعذب بك من أشاء (وربما قال: أصيب بك من أشاء) وقال لهذه أنت رحمتي أرحم بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها»**[2].

وقال العلامة الشنقيطي في تفسيره (٧/ ٦٥٢):

واعلم أن الاستفهام في قوله: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ فيه للعلماء قولان معروفان:

الأول: أن الاستفهام إنكاري كقوله تعالى: ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: ٤٧].

أي ما يهلك إلا القوم الظالمون، وعلى هذا فمعنى هل من مزيد لا محل للزيادة لشدة امتلاء النار، واستند بعضهم لهذا الوجه بآيات من كتاب الله تعالى كقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣] قال: ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [ص: ٨٤ ـ ٨٥].

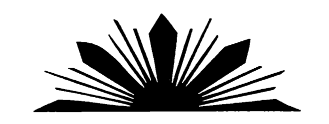
---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٥٠) مسلم (٧٠٣٥) نووي. قلعجي، (٢٨٤٦) عبد الباقي.

(٢) أخرجه مسلم (٧٠٣٢) نووي. قلعجي، (٢٨٤٦) عبد الباقي.

لأن أقسامه في هذه الآية المدلول عليه بلام التوطئة في ﴿لأملأن﴾ على أنه يملأ جهنم من الجنَّة والناس، دليل على أنها لا بد أن تمتلىء. ولذا قالوا: إن معنى ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ لا مزيد لأني قد امتلأت فليس فيّ محل للمزيد، وأما القول الآخر فهو أن المراد بالاستفهام في قوله للنار: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾؟ هو طلبها للزيادة وأنها لا تزال كذلك حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط، أي كفاني قد امتلأت، وهذا الأخير هو الأصح لما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن النبي ﷺ: «**أن جهنم لا تزال تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول قط قط**»، وسبق تخريجه في أول المبحث.

لأن في هذا الحديث المتفق عليه التصريح بقولها قط قط أي كفاني قد امتلأت، وأن قولها قبل ذلك هل من مزيد لطلب الزيادة. واعلم أن قول النار في هذه الآية ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ قول حقيقي ينطقها الله به. والعلم عند الله تعالى.



المبحث الخامس والعشرون
سؤال الله تعالى لأهل النار
عن تكذيبهم بالآيات وعن مدة لبثهم في الأرض:

إن الأسئلة التي توجه لأهل النار كلها للتقريع والتوبيخ فمنها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٥ ـ ١٠٦].

قال العلامة الشنقيطي في التفسير:

ما ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة: من أن أهل النار يسألون يوم القيامة فيقول لهم ربهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ أي في دار الدنيا على ألسنة الرسل فكنتم بها تكذبون وأنهم اعترفوا بذلك وأنهم لم يجيبوا الرسل لما دعوهم إليه من الإيمان، لأن الله أراد بهم الشقاء وهم ميسرون لما خلقوا له، فلذلك كفروا وكذبوا الرسل.

وقوله: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾﴾ الظاهر أن معنى قولهم ﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾،أن الرسل بلغتهم، وأنذرتهم وتلت عليهم آيات ربهم، ولكن ما سبق في علم الله من شقاوتهم الأزلية، غلب عليهم، فكذبوا الرسل، ليصيروا إلى ما سبق في علمه جل وعلا، من شقاوتهم. ونظير الآية على هذا الوجه قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾ [يونس: ٩٦ ـ ٩٧] وقوله عن أهل النار: ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ

﴿كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١].

إلى غير ذلك من الآيات ويزيد ذلك إيضاحاً قوله ﷺ: «**كل ميسر لما خلق له**»[1].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢] وقوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨ ـ ١١٩]، وقوله عنهم: ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ اعتراف منهم بضلالهم حيث لا ينفع الاعتراف بالذنب ولا الندم عليه. كقوله تعالى: ﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ [الملك: ١١] ونحو ذلك من الآيات... انتهى.

أما سؤالهم عن مدة لبثهم فيدل عليه قوله تعالى: ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١١٢ ـ ١١٦].

قال العلامة الشنقيطي في التفسير:

في هذه الآية سؤال معروف: وهو أنهم لما سئلوا يوم القيامة عن قدر مدة لبثهم في الأرض في الدنيا أجابوا بأنهم لبثوا يوماً أو بعض يوم، مع أنه قد دلت آيات أخر على أنهم أجابوا بغير هذا الجواب كقوله تعالى: ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾﴾ [طه: ١٠٣].

والعشر أكثر من يوم أو بعضه. وكقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: ٥٥] والساعة أقل من يوم أو بعضه وقوله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس: ٤٥].

وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ

---

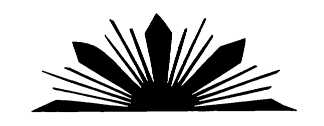
(١) أخرجه البخاري (٤٩٤٩) ومسلم (٢٦٤٧) عبد الباقي.

ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [الأحقاف: ٣٥]. وحاصل هذا أن بعضهم يقول لبثنا يوماً أو بعض يوم، ويقول بعض آخر منهم لبثنا ساعة، ويقول بعض آخر منهم لبثنا عشراً.

والدليل على هذا الجواب من القرآن أنه تعالى بين أنه أقواهم إدراكاً وأرجحهم عقلاً وأمثلهم طريقة هو من يقول: إنهم ما لبثوا إلا يوماً واحداً وذلك في قوله تعالى: ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾﴾ [طه: ١٠٣ ـ ١٠٤] فالآية صريحة في اختلاف أقوالهم وعلى ذلك فلا إشكال والعلم عند الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾ أي الحاسبين الذين يضبطون مدة لبثنا. وقد صدقهم الله جل وعلا في قلة لبثهم في الدنيا بقوله: ﴿قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾.

لأن مدة مكثهم في الدنيا قليلة جداً بالنسبة إلى طول مدتهم خالدين في النار والعياذ بالله... انتهى.



المبحث السادس والعشرون
سؤال الله تعالى
لأهون أهل النار عذاباً يوم القيامة: أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتدياً به؟:

- عن أنس يرفعه: **إن الله تعالى يقول لأهون أهل النار عذاباً: لو أن لك ما في الأرض من شيء كنت تفتدي به؟ قال: نعم. قال: (فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي فأبيت إلا الشرك)**[1].

والذي أخذه الله على ذرية بني آدم يتضح في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢]. أخبر سبحانه أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم وأنه لا إله إلا هو، وقد وردت أحاديث في أخذ الذرية من صلب آدم عليه السلام وتمييزهم إلى أصحاب اليمين وإلى أصحاب الشمال وفي بعضها الأشهاد عليهم بأن الله ربهم. فمنها ما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يوم عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرها بين يديه ثم كلمهم قبلاً. قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٣٤) مسلم (٢٨٠٥) عبد الباقي.

وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [1] [الأعـــراف: ١٧٢ - ١٧٣].

وفي الحديث: الحث على الزهد في الدنيا والوعيد لمن مات على الشرك. وأن الغني والجاه والسلطان لا يغني من عذاب الله من شيء.



(١) صحيح. أخرجه أحمد (١/ ٢٧٢) والحاكم (٢/ ٥٤٤) وانظر الصحيحة (٦٢٣).

المبحث السابع والعشرون
سؤال الله تعالى لآخر أهل النار خروجاً
«أتذكر الزمان الذي كنت فيه»؟

ـ عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني لأعرف آخر أهل النار خروجاً رجل يخرج منها زحفاً فيقول: يا رب قد أخذ الناس المنازل قال: فيقال له انطلق فادخل الجنة، قال: فيذهب ليدخل فيجد الناس قد أخذوا المنازل فيرجع فيقول: يا رب قد أخذ الناس المنازل. قال: فيقال له أتذكر الزمان الذي كنت فيه؟ فيقول: نعم. فيقال له: تمنَّ قال: فيتمنى، فيقال له: فإن لك ما تمنيت وعشرة أضعاف الدنيا. قال: فيقول أتسخر بي وأنت الملك قال: فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه**»[(١)].

وفي الصحيحين قوله ﷺ: رجل يخرج من في رواية الباب «زحفاً». وقال الإمام النووي في شرح مسلم: قال أهل اللغة: الحبو: المشي على اليدين والرجلين وربما قالوا على اليدين والركبتين وربما قال على يديه ومقعدته.

وأما الزحف فقال ابن دريد وغيره: هو المشي على الأست مع إفراشه بصدره. فحصل من هذا أن الحبو والزحف متماثلان أو متقاربان لو ثبت اختلافهما حمل على أنه في حالة يزحف وفي حالة يحبو ـ والله أعلم ـ.

---

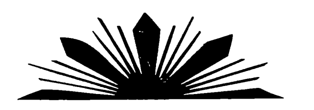
(١) أخرجه البخاري (٦٥٧١ و٧٥١١) مسلم (٤٥٤) نووي. قلعجي، (١٨٦) عبد الباقي.

وأما معنى أتسخر بي هنا ففيه أقوال:

(أحدها): قال المازري أنه خرج على المقابلة الموجودة في معنى الحديث دون لفظه لأنه عاهد الله مراراً أن لا يسأله غير ما سأل، ثم غدر فحل غدره محل الاستهزاء والسخرية فقدر الرجل أن قول الله تعالى له أدخل الجنة وتردده إليها وتخييل كونها مملوءة ضرب من الإطماع له والسخرية به جزاء لما تقدم من غدره وعقوبة له، فسمى الجزاء على السخرية سخرية فقال أتسخر بي أي: تعاقبني بالأطماع.

(والقول الثاني): قاله أبو بكر الصوفي أن معناه نفي السخرية التي لا تجوز على الله تعالى كأنه قال أعلم أنك لا تهزأ بي لأنك رب العالمين مما أعطيتني من جزيل العطاء وأضعاف مثل الدنيا حق، ولكن العجب أنك أعطيتني هذا وأنا غير أهل له، قال: والهمزة في أتسخر بي همزة نفي وهذا كلام منبسط متدلل.

(والقول الثالث): قاله القاضي عياض أن يكون هذا الكلام صدر من هذا الرجل وهو غير ضابط لما قاله لما ناله من السرور ببلوغ ما لم يخطر بباله، فلم يضبط لسانه دهشاً وفرحاً فقاله وهو لا يعتقد حقيقة معناه. وجرى على عادته في الدنيا في مخاطبة المخلوق وهذا كما قال النبي ﷺ في الرجل الآخر (أنه لم يضبط نفسه من الفرح فقال: **أنت عبدي وأنا ربك**)[1] والله أعلم.



---

(١) رواه مسلم (٢٧٤٧)، : عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: **«لله أشدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ، حِينَ يَتُوبُ إِلَيهِ، مِنْ أحَدِكُم كَانَ علىٰ رَاحِلَتِهِ بأرْضِ فَلاَةٍ فانْفَلَتَتْ مِنْهُ. وعَلَيهَا طَعَامُهُ وشَرَابُهُ. فأيِسَ مِنها. فأتىٰ شَجَرَةً. فاضْطَجَعَ في ظِلِّهَا قَدْ أيسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ فَبَيْنَا هُوَ كَذٰلِكَ إذَا هُوَ بِهَا، قائمةً عِنْدَهُ. فأخَذَ بِخِطَامِهَا. ثُمَّ قَال مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ: اللَّهُمَّ! أنتَ عَبْدِي وأنا رَبُّكَ أخطأ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ»**.

المبحث الثامن والعشرون
سؤال الله تعالى لأهل الجنة: هل أحببتم لقائي؟:

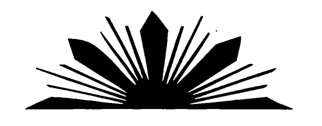
عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **إن شئتم أنبأتكم ما أول ما يقول الله عز وجل للمؤمنين يوم القيامة، وما أول ما يقولون له؟ قلنا: نعم يا رسول الله. قال: «إن الله عز وجل يقول للمؤمنين: هل أحببتم لقائي»؟ فيقولون: نعم يا ربنا. فيقول: لم؟ فيقولون: رجونا عفوك ومغفرتك. فيقول: «قد وجبت[1] لكم مغفرتي»[2].**

وفي الحديث:

١) المؤمن يطمع ويرجو عفو الله ورحمته ولا ييأس أبداً من مغفرته.

٢) الله عفو غفور لمن تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً.

٣) حسن الظن بالله تعالى وعدم اليأس من رحمته التي وسعت كل شيء.



---

(١) وجبت: حقت تفضلاً مني.

(٢) حسن. أخرجه أحمد (٥/٢٣٨) وغيره.

المبحث التاسع والعشرون
سؤال الله تبارك وتعالى لأهل الجنة:
تريدون شيئاً أزيدكم؟:

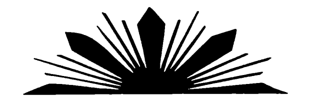
عن صهيب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة قال: يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾**»[1] [يونس: ٢٦].

في الحديث عدة فوائد منها:

١) إثبات صفة الكلام لله تعالى وأنه يتكلم بما شاء متى شاء بصوت مسموع مفهوم.

٢) إثبات صفة التجلي لعباده.

٣) إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة رؤية بصرية لا مرية فيها، وأن الواجب على كل مؤمن أن يقر بذلك.



(١) أخرجه مسلم (١٨١) عبد الباقي. وابن حبان (٧٤٤١).

المبحث الثلاثون
سؤال الله تعالى لعباده في الجنة ماذا تريدون؟:

عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «**أتاني جبريل بمثل هذه المرآة البيضاء فيها نكتة سوداء قلت: يا جبريل ما هذه؟ قال: هذه الجمعة جعلها الله عيداً لك ولأمتك فأنتم قبل اليهود والنصارى، فيها ساعة لا يوافقها عبد يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه» قال: «قلت: ما هذه النكتة السوداء»؟ قال: هذا يوم القيامة تقوم في يوم الجمعة ونحن ندعوه عندنا (المزيد) قال: «قلت: ما يوم المزيد؟ قال: إن الله جعل في الجنة وادياً أفيح وجعل فيه، كثباناً من المسك الأبيض فإذا كان يوم الجمعة ينزل الله فيه فوضعت فيه منابر من ذهب للأنبياء وكراسي من درٍّ للشهداء وينزلن الحور العين من الغرف فحمدوا الله ومجدوه»**.

قال: «ثم يقول الله: اكسوا عبادي فيكسون ويقول: أطعموا عبادي فيطعمون ويقول: اسقوا عبادي فيسقون ويقول: طيبوا عبادي فيطيبون ثم يقول: ماذا تريدون؟ فيقولون: ربنا رضوانك قال: يقول: رضيت عنكم ثم يأمرهم فينطلقون وتصعد الحور العين الغرف وهي من زمردة خضراء ومن ياقوتة حمراء)[1].

---

(١) صحيح. أخرجه أبو يعلى (٤٢١٣) له شاهد عنده أيضاً (٤٠٧٥) وابن أبي شيبة (٥٥١٦) والطبراني في الأوسط (٢١٠٥) (طبعة د. الطحان). وراجع مجمع الزوائد (٢/ ١٦٣).

المبحث الحادي والثلاثون
سؤال الله تعالى لأهل الجنة: أتشتهون شيئاً؟:

- عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أدخل أهل الجنة الجنة قال الله: أتشتهون شيئاً فأزيدكم، فيقولون: ربنا وما فوق ما أعطيتنا؟ قال: فيقول: بلى رضاي أكثر**»[1].

- عن مسروق قال: سألنا عبد الله عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[2] قال: **أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال: أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعه فقال هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى فلما رأى أن ليس لهم حاجة تُركوا)**[3].

في الحديث:

- إثبات صفة الرضا لله تعالى وهي كسائر الصفات نثبتها من غير تأويل ولا تمثيل ولا تشبيه.

---

(١) إسناده صحيح. أخرجه الحاكم ١/ ٨٢، ابن حبان (٧٤٣٩) وغيرهما.

(٢) آل عمران: (١٦٩).

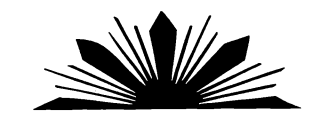
(٣) أخرجه مسلم (١٨٨٧).

- الحث على الجهاد في سبيل الله.

- وفيه فضل الشهادة وأن الجنة مخلوقة موجودة.

وفيه إثبات صفة الكلام وهي صفة ثابتة لله على الحقيقة وكذا جميع صفاته جل وعلا.

ومذهب السلف رحمة الله عليهم الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه التي وصف بهما نفسه في آياته وتنزيله أو على لسان رسوله ﷺ من غير زيادة عليها ولا نقص منها ولا تجاوز لها ولا تفسير لها ولا تأويل لها بما يخالف ظاهرها، ولا تشبيه بصفات المخلوقين ولا سمات المحدثين بل أقرُّوها كما جاءت وردوا علمها إلى قائلها ومعناها إلى المتكلم بها فنؤمن بما جاء عن الله على مراد الله وبما جاء عن رسول الله ﷺ على مراد رسول الله ﷺ.



المبحث الثاني والثلاثون
سؤال الله تعالى لأهل الجنة: هل رضيتم؟

- عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك. فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك قالوا: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً**»[1].

قال الحافظ في الفتح (١١/ ٤٣٠) و(١٣/ ٤٩٧):

قوله: (رضواني) وفيه تلميح بقوله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢]لأن رضاه سبب كل فوز وسعادة وكل من علم أن سيده راض عنه كان أقر لعينه وأطيب لقلبه من كل نعيم لما في ذلك من التعظيم والتكريم، وفي هذا الحديث أن النعيم الذي حصل لأهل الجنة لا مزيد عليه:

قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة:

في هذا الحديث:

جواز إضافة المنزل لساكنه وإن لم يكن في الأصل له فإن الجنة ملك الله عز وجل وقد أضافها لساكنها بقوله يا أهل الجنة. قال: والحكمة في

(١) أخرجه البخاري (٦٥٤٩) و(٧٥١٨) ومسلم (٧٠٠١) نووي. قلعجي، (٢٨٢٠) عبد الباقي.

ذكر دوام رضاه بعد الاستقرار أنه لو أخبر به قبل الاستقرار لكان خبراً من باب علم اليقين فأخبر به بعد الاستقرار ليكون من باب عين اليقين وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧].

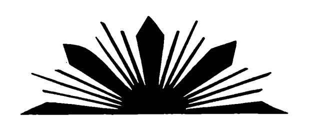
قال: ويستفاد من هذا أنه لا ينبغي أن يخاطب أحد بشيء حتى يكون عنده ما يستدل به عليه ولا على بعضه، وكذا ينبغي للمرء أن لا يأخذ من الأمور إلا قدر ما يحمله. وفيه الأدب في السؤال لقولهم: وأي شيء أفضل من ذلك لأنهم لم يعلموا شيئاً أفضل مما هم فيه فاستفهموا عما لا علم لهم به.

وفيه أن الخير كله والفضل والاغتباط إنما هو في رضا الله سبحانه وتعالى وكل شيء ما عداه، وإن اختلفت أنواعه فهو من أثره وفيه دليل على رضا كل من أهل الجنة بحاله مع اختلاف منازلهم وتنويع درجاتهم لأن الكل أجابوا بلفظ واحد وهو: (أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك) وبالله التوفيق. . . اهـ.

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله جل وعلا: أتشتهون شيئاً؟ قالوا: ربنا وما فوق ما أعطيتنا؟ فيقول: بل رضاي أكبر**»[1].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في التفسير:

قوله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢]. أي: رضا الله عنهم أكبر وأجل وأعظم مما هم فيه من النعيم.



(١) إسناده صحيح. رواه ابن حبان (موارد الظمآن) ح (٢٦٤٧) والحاكم ١/ ٨٢. وانظر الصحيحة (١٣٣٦).

المبحث الثالث والثلاثون
سؤال الله تعالى لرجل من أهل الجنة وآخر من أهل النار: كيف وجدت منزلك؟

- عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى بالرجل من أهل الجنة فيقول له: يا ابن آدم كيف وجدت منزلك؟ فيقول: أي رب خير منزل فيقول: سل وتمن فيقول: ما أسأل وأتمنى إلا أن تردني إلى الدنيا فأقتل في سبيلك عشر مرات لما يرى من فضل الشهادة. ويؤتى بالرجل من أهل النار فيقول له: يا ابن آدم كيف وجدت منزلك فيقول: أي رب شر منزل فيقول له: أتفتدي منه بطلاع الأرض ذهب؟ فيقول: أي رب نعم، فيقول: كذبت قد سألتك أقل من ذلك وأيسر فلم تفعل فيرد إلى النار**»[1].

قوله: «قد سألتك أقل من ذلك...».

وقد صرح بهذا السؤال في رواية البخاري[2] ومسلم[3] وهي: (**فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي فأبيت إلا الشرك**) وسبق ذكره (ص٧٥٦).

---

(١) صحيح. رواه أحمد (٣/٢٠٨) واللفظ له، والحاكم (٢/٧٥). وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي. وأخرج النسائي الشطر الأول منه. (٦/٣٦) /الجهاد/ باب ما يتمنى أهل الجنة.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٣٤).

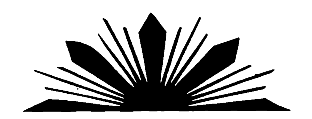
(٣) أخرجه مسلم (٢٨٠٥).

وفي الحديث الترغيب في الشهادة في سبيل الله.

وفيه الترهيب من الشرك.

وفيه فضل التوحيد.

وفيه إثبات صفتي الكلام والعدل لله تعالى.



المبحث الرابع والثلاثون
سؤال الله تعالى لأنعم أهل الدنيا من أهل النار وسؤاله لأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة:

- عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار فيصبغ في النار صبغة ثم يقال له: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط؟ هل مرَّ بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب. ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط**»[1]. **قال النووي في شرح مسلم: قوله: (فيصبغ في النار صبغة) الصبغة بفتح الصاد أي يغمس غمسة والبؤس بالهمز هو الشدة والله أعلم.**

قلت من فوائد الحديث:

١) إن النعيم الذي يعيش فيه الكافر لا يغني عنه شيئاً من عذاب الله تعالى.

٢) غمسة واحدة في النار تنسى أنعم الناس في الدنيا نعيمه.

٣) بؤس الدنيا كله للمؤمن يزول بغمسة واحدة في الجنة.

٤) وفيه فضل الصبر على الشدائد في الدنيا.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٠٧).

المبحث الخامس والثلاثون
سؤال الله تعالى لأهل الجنة وأهل النار عن الموت؟:

- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي منادٍ: يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت وكلهم قد رآه ثم ينادى: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت. وكلهم قد رآه، فيذبح ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت. ثم قرأ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ - وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا - وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾**»[1] [مريم: ٣٩].

قوله ﷺ: «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح... الحديث» قال المازري: الموت عند أهل السنة عرض يضاد الحياة. وقال بعض المعتزلة: ليس بعرض بل معناه عدم الحياة، وهذا خطأ لقوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملك: ٢].

فأثبت الموت مخلوقاً وعلى المذهبين ليس الموت بجسم في صورة كبش أو غيره فيتأول الحديث على أن الله يخلق هذا الجسم ثم يذبح مثالاً

(١) أخرجه البخاري (٤٧٣٠) ومسلم (٢٨٤٩) والترمذي (٣١٥٦) والنسائي في التفسير (سورة مريم). وانظر شرح الحديث في فتح الباري (٤٢٧/١١) وشرح النووي على صحيح مسلم (٢٥٩/٨) بتحقيق د. قلعجي.

لأن الموت لا يطرأ على أهل الآخرة. وقال القرطبي في التذكرة: الموت معنى من المعاني لا تنقلب جوهراً، وإنما يخلق الله أشخاصاً من ثواب الأعمال، وكذا الموت يخلق الله كبشاً يسميه الموت ويلقى في قلوب الفريقين أن هذا الموت يكون ذبحه دليلاً على الخلود في الدارين.

وقال غيره: لا مانع أن ينشىء الله من الأعراض أجساداً يجعلها مادة كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اقرأوا الزهراوين البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان... الحديث**»[1] ونحو ذلك من الأحاديث.

وقوله: «كهيئة كبش أملح».

قال القرطبي: الحكمة في الإتيان بالموت، هكذا الإشارة إلى أنهم حصل لهم الفداء كما فدى ولد إبراهيم بالكبش وفي الأملح إشارة إلى صفتي أهل الجنة والنار لأن الأملح ما فيه بياض وسواد.

وقوله: «فيشرئبون: أي يمدون أعناقهم ويرفعون رؤوسهم للنظر إلى المنادي».

قال القرطبي: وفي هذه الأحاديث التصريح بأن خلود أهل النار فيها لا إلى غاية أمد وإقامتهم فيها على الدوام بلا موت ولا حياة نافعة ولا راحة.

كما قال تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠] قال: فمن زعم أنهم يخرجون منها وأنها تبقى خالية أو أنها تفنى وتزول فهو خارج عن مقتضى ما جاء به الرسول ﷺ وأجمع عليه أهل السنة.

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن حديث «**سبعة لا تموت ولا تفنى ولا**

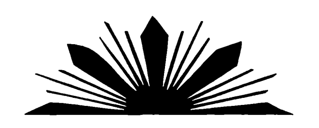
---

(١) أخرجه مسلم (٨٠٤) عبد الباقي.

تذوق الفناء: **النار وسكانها واللوح والقلم والكرسي والعرش**». فهل هذا الحديث صحيح أم لا؟[1].

فأجاب: هذا الخبر بهذا اللفظ ليس من كلام النبي ﷺ وإنما هو من كلام بعض العلماء، وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية كالجنة والنار والعرش وغير ذلك، ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام المبتدعين كالجهم بن صفوان ومن وافقه من المعتزلة ونحوهم، وهذا قول باطل يخالف كتاب الله وسنة رسوله وإجماع سلف الأمة وأئمتها كما في ذلك من الدلالة على بقاء الجنة وأهلها وبقاء غير ذلك مما لا تتسع هذه الورقة لذكره، وقد استدل طوائف من أهل الكلام والمتفلسفة على امتناع فناء جميع المخلوقات بأدلة عقلية. . . والله أعلم.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه (الوابل الصيب) قال رحمه الله تعالى: ولما كان الناس ثلاث طبقات: طيب لا يشوبه خبث وخبيث لا طيب فيه وآخرون فيهم خبيث وطيب. كانت دورهم ثلاثة: دار الطيب المحض ودار الخبيث المحض ـ وهاتان الداران لا تفنيان ـ ودار لمن معه خبيث وطيب، وهي الدار التي تفنى وهي دار العصاة. فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد، فإنهم إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة ولا يبقى إلا دار الطيب المحض ودار الخبيث المحض. . . انتهى كلامه رحمه الله تعالى.



(١) مجموع الفتاوى (١٨/٣٠٧) وفي هذا رداً على من ادعى أن شيخ الإسلام ابن تيمية يقول بفناء النار. وكذلك تلميذه ابن القيم ـ رحمهما الله.

الفصل الثاني:
سؤال المخلوق للخالق وفيه مباحث:

المبحث الأول
سؤال الملائكة لله تعالى من تجيز على الصراط؟

- عن سلمان عن النبي ﷺ قال: **(يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزن فيه السموات والأرض لوسعت فتقول الملائكة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، ويوضع الصراط مثل حد الموسى فتقول الملائكة: من تجيز على هذا؟ فيقول: من شئت من خلقي فيقولون: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك)**[1].

وفي الحديث:

١) إثبات الميزان.

٢) إثبات الصراط.

وسوف أتكلم عن بعض المطالب الخاصة بالميزان والصراط وذلك لتمام الفائدة.

---

(١) صحيح. رواه الحاكم (٤/٥٨٦) وانظر السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني (٩٤١).

أولاً: الميزان
وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ذكر الميزان.

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقال تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٢ ـ ١٠٣].

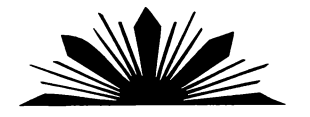
قال تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف: ٨ ـ ٩].

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾﴾ [القارعة: ٦ ـ ٨].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٥].

قال القرطبي: قال العلماء: إذا انقضى الحساب كان بعده وزن

الأعمال، لأن الوزن للجزاء فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها. قال: وقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]. يحتمل أن يكون ثم موازين متعددة توزن فيها الأعمال ويحتمل أن يكون المراد الموزونات فجمع باعتبار تنوع الأعمال الموزونة[1] والله أعلم.



(١) التذكرة (أبواب الميزان)، والنهاية في الفتن والملاحم لابن كثير (٢/٥٦) وشرح العقيدة الطحاوية ص ٤١٧ بتحقيق الشيخ الألباني.

المطلب الثاني:
(بيان كون الميزان له كفتان حقيقيتان)

والذي دلت عليه السنة: أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان.

- عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله سيخلِص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فيقول: أحضر وزنك فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فقال: إنك لا تظلم قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء**»[1].

وقال الشيخ الألباني في الصحيحة (١/ ٢١٣):

وفي الحديث: دليل على أن ميزان الأعمال له كفتان مشاهدتان، وأن الأعمال وإن كانت أعراضاً فإنها توزن والله على كل شيء قدير وذلك من عقائد أهل السنة. . اهـ.

---

(١) سبق تخريجه وهو صحيح. (راجع سؤال الله للعبد: أظلمك كتبتي الحافظون؟).

المطلب الثالث:
القول في الموزون

والقول في الموزون على ثلاثة أوجه:

الأول: الأعمال نفسها هي التي توزن وأن أعمال العباد تجسم فتوضع في الميزان، ويدل على ذلك الأحاديث الصحيحة:

- عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»[(١)].

قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/ ٢١٢):

وأما الثقل فعلى حقيقته لأن الأعمال تتجسم عند الميزان.

- عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «**الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السموات والأرض، والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك. كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها**»[(٢)].

قال الإمام النووي في شرح مسلم (٢/ ٥):

وقد تظاهرت نصوص القرآن والسنة على وزن الأعمال وثقل الموازين وخفتها.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٦) ومسلم (٢٦٩٤) عبد الباقي.

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٣) عبد الباقي.

- عن أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: **«ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن وأن الله ليبغض الفاحش البذيء»**[1].

- عن النواس بن سمعان قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **«يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران» وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد قال: «كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق أو كأنهما حِزقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما»**[2].

بعد هذه الأحاديث فلا يلتفت إلى ملحد معاند يقول الأعمال أعراض لا تقبل الوزن وإنما يقبل الوزن الأجسام ولكن الله القدير يقلب هذه الأعراض أجساماً كما تقدم.

الثاني: صحائف الأعمال هي التي توزن:

- عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مثل مد البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فيقول: أحضر وزنك فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فقال: إنك لا تظلم قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء)**[3].

الثالث: الموزون هو العامل نفسه:

- عن ابن مسعود: (أنه كان يجتبي سواكاً من الأراك وكان دقيق الساقين،

---

(١) صحيح. رواه الترمذي (٢٠٠٢) وانظر الصحيحة للشيخ الألباني (٨٧٦).

(٢) أخرجه مسلم (٨٠٥) عبد الباقي.

(٣) سبق تخريجه في المطلب الثاني وهو صحيح.

فجعلت الريح تكفؤه فضحك القوم منه، فقال رسول الله ﷺ: «**مم تضحكون**»؟ قالوا: يا نبي الله من دقة ساقيه فقال: «**والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد**»[1].

- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال اقرءوا:** ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾»[2] [الكهف: ١٠٥].

فالذي يتضح من الأحاديث السابقة ـ والله أعلم ـ أن العامل وعمله وصحيفته كل ذلك يوزن والله سبحانه وتعالى أعلم بالكيفيات. فعلينا الإيمان بالغيب من غير زيادة ولا نقصان ولله الحمد والمنة.

فيا عبد الله لا تحقرن شيئاً من عملك خيراً كان أو شراً، ولا تقول هذه صغيرة لا حساب لها ولا وزن، أو هذه سنة لا إثم عليّ إن تركتها وما يدريك أن هذه السنة تكون سبباً في رجحان ميزانك إذا فعلتها، وقد يكون تركك إياها سبباً في خسران ميزانك يوم القيامة، فلا تحقرن شيئاً من المعروف. واعلم أن هذا الميزان لم يوجد له شيء أو نظير بعد في الأرض إنه ميزان يحصي الذرة من الأعمال ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨].

وقوله تعالى: ﴿يَـٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۝١٦﴾ [لقمان: ١٦].

وقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ۝٤٧﴾ [الأنبياء: ٤٧].

قال العلامة الشنقيطي في تفسير هذه الآية ما نصه:

---

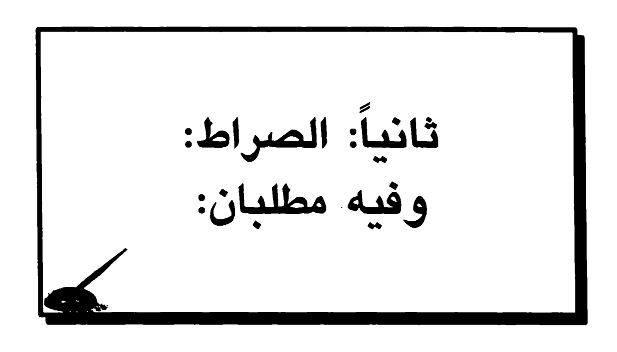
(١) حسن. رواه أحمد في المسند (١/ ٤٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٢٩) ومسلم (٢٧٨٥) عبد الباقي.

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: «أنه يضع الموازين القسط ليوم القيامة فتوزن أعمالهم وزناً في غاية العدالة والإنصاف، فلا يظلم الله أحداً شيئاً وأن عمله من الخير أو الشر وإن كان في غاية القلة والدقة كمثقال حبة من خردل فإن الله يأتي به لأنه لا يخفى عليه شيء وكفى به جل وعلا حاسباً لإحاطة علمه بكل شيء» اهـ.

ويصدر الحكم فور وضع الميزان ويقضى بين الناس بالقسط، هذه اللحظات العصيبة المرعبة التي يتقرر فيها مصير كل إنسان إلى أبد الآبدين، فالكل ينتظر ويرقب ميزانه وهو وجل يرتعش هل يثقل ميزانه أم يخف؟ إنه موقف رهيب لا يقدر قدره إلا الله تعالى، ثم تكون النهاية المرتقبة فمن خفت موازينه هلك ومن ثقلت موازينه نجا. وحينئذ يتذكر الجميع أن الحياة الدنيا لم تكن إلا متاع الغرور، فسارع يا عبد الله إلى الأعمال الصالحة التي تثقل بها ميزانك غداً وانتهي عن الكفر والفسوق والعصيان حتى لا يخف ميزانك غداً، وحينئذ فلا تلومن إلا نفسك إذا خف ميزانك، وأما إذا ثقل ميزانك فلله الحمد من قبل ومن بعد ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.





ثانياً: الصراط:
وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الصراط وصفته

قال الشيخ صالح بن فوزان:

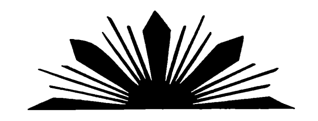
الصراط: وهو جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون، يمر الناس عليه على قدر أعمالهم وهو أدق من الشعر وأحد من السيف وأشد حرارة من الجمر، عليه كلاليب تخطف من أمرت بخطفه، يمر الناس عليه على قدر أعمالهم، فمنهم من يمر كهرولة الراجل ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يزحف زحفاً، ومنهم من يخطف فيلقى في جهنم نسأل الله السلامة والعافية.

قال السفاريني: اتفقت الكلمة على إثبات الصراط في الجملة، لكن أهل الحق يثبتونه على ظاهره من كونه جسراً ممدوداً على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعر وأنكر هذا الظاهر القاضي عبد الجبار المعتزلي وكثير من أتباعه زعماً منهم أنه لا يمكن عبوره، وإن أمكن ففيه تعذيب ولا عذاب على المؤمنين والصلحاء يوم القيامة، وإنما المراد طريق الجنة المشار إليه بقوله تعالى: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝﴾ [محمد: ٥].

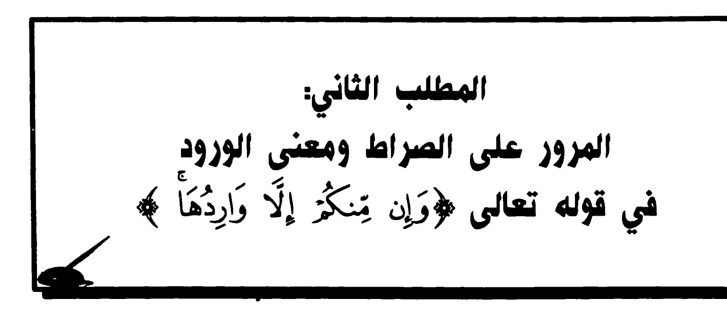
وطريق النار المشار إليه بقوله تعالى: ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٣].

ومنهم من حمله على الأدلة الواضحة والمباحات والأعمال الرديئة

ليسأل عنها ويؤاخذ بها، وكل هذا باطل وخرافات لوجوب رد النصوص إلى حقائقها، وليس العبور على الصراط بأعجب من المشي على الماء أو الطيران في الهواء أو الوقوف فيه، وقد أجاب ﷺ عن سؤال حشر الكافر على وجهه بأن القدرة صالحة لذلك[1] . . . انتهى.



(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد: للشيخ صالح بن الفوزان.



وقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا . . .﴾ الآية [مريم: ٧١].

قال الشوكاني في تفسيرها في فتح القدير:

وقد اختلف الناس في هذا الورود فقيل الورود، الدخول ويكون على المؤمنين برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم. وقالت فرقة: الورود هو المرور على الصراط. ومما يدل على أن الورود لا يستلزم الدخول. قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص: ٢٣].

فإن المراد أشرف عليه لا أنه دخل فيه. ولا يخفى أن القول بأن الورود هو المرور على الصراط أو الورود على جهنم وهي خامدة، فيه جمع بين الأدلة من الكتاب والسنة. فينبغي حمل هذه الآية على ذلك لأنه قد حصل الجمع بحمل الورود على دخول النار مع كون الداخل من المؤمنين مبعداً من عذابها أو يحمله على المضي فوق الجسر المنصوب عليها وهو الصراط. . . انتهى مختصراً.

ولقد ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح (١٤٩/٣): أقوال السلف واختلافهم في المراد بالورود في الآية:

١) منهم من قال: هو الدخول.

٢) ومنهم من قال: الممر عليها.

٣) ومنهم من قال: الدنو منها.

٤) ومنهم من قال: الإشراف عليها.

٥) ومنهم من قال: ما يصيب المؤمن في الدنيا من الحُمَّى.

ولقد رجح الحافظ! القول الأول والثاني فقط

فقال: وهذان القولان أصح ما ورد في ذلك ولا تنافي بينهما، لأن من عبَّر بالدخول تجوَّز به عن المرور، ووجهه أن المار عليها فوق الصراط من معنى من دخلها، لكن تختلف أحوال المارة باختلاف أعمالهم فأعلاهم درجة من يمر كلمح البرق.... والله أعلم.

- سئل عبد الله بن مسعود عن قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ قال: قال رسول الله ﷺ: (**يرد الناس النار ثم يصدرون منها بأعمالهم فأولهم كلمح البرق ثم كالريح ثم كحُضْرِ**[1] **الفرس ثم كالراكب في رحله ثم كشدِّ الرَّجُل ثم كمشيه**)[2].

- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (وإن منكم إلا واردها).

قال: (الصراط على جهنم مثل حد السيف فتمر الطائفة الأولى كالبرق والثانية كالريح والثالثة كأجود الخيل والرابعة كأجود الإبل والبهائم، ثم يمرون والملائكة تقول رب سلم سلم)[3].

ولهذا شواهد في الصحيحين وغيرهما.

ففي الصحيحين مرفوعاً من حديث أبي هريرة الطويل في الرؤية والشفاعة وفيه «**فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته ولا يتكلم يومئذ: أحد إلا الرسل وكلام الرسل يومئذ. اللهم سلم سلم، وفي**

---

(١) حضر الفرس: عدوه.

(٢) صحيح. رواه الترمذي (٣١٥٩) والحاكم (٢/ ٣٧٥) والدارمي (٢/ ٤٢٤) وغيرهم وانظر الصحيحة للشيخ الألباني (٣١١).

(٣) أثر صحيح. رواه الحاكم (٢/ ٣٧٥) وابن جرير الطبري في التفسير (١٦/ ٨٣).

جهنم كلاليب مثل شوك السعدان. هل رأيتم شوك السعدان؟ قالوا: نعم، قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله تخطف الناس بأعمالهم فمنهم من يوبق بعمله، ومنهم من يخردل ثم ينجو. . . الحديث»[١]. وفيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه من حديثه الطويل في ذلك مرفوعاً وفيه «ثم يؤتى بالجسر[٢] فيجعل بين ظهري جهنم قلنا يا رسول الله: وما الجسر؟ قال: مدحضة مزلة[٣] عليه خطاطيف[٤] وكلاليب وحسكة[٥] مفلطحة[٦] لها شوكة عقيفاء[٧] تكون بنجد يقال لها السعدان. المؤمن عليها كالطرف[٨] وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم وناج مخدوش ومكدوس في نار جهنم[٩] حتى يمر آخرهم يسحب سحباً. . . . الحديث)[١٠].

- عن ابن مسعود قال: (يجمع الله الناس يوم القيامة). . . . إلى أنه قال: (فيعطون نورهم على قدر أعمالهم قال: فمنهم من يعطي نوره مثل الجبل بين يديه، ومنهم من يعطي نوره على إبهام قدمه يضيء مرة ويطفىء مرة، فإذا أضاء قدمه وإذا طفىء قام فيمر ويمرون على الصراط كحد السيف دحض

---

(١) أخرجه البخاري (٨٠٦) ومسلم (٤٤٤) نووي. قلعجي، (١٨٢) عبد الباقي.
ومعنى كلاليب: جمع كلُّوب أو كلاَّب. وهو حديدة معوجة الرأس.
ومعنى السعدان: نبت ذو شوك وهو من جيد مراعي الإبل تسمن عليه.
ومعنى يوبق بعمله: أي يهلك.
ومعنى يخردل: أي يقطع بالكلاليب.

(٢) الجسر: الصراط.

(٣) مدحضة مزلة: بمعنى واحد وهو الموضع الذي تزل فيه الأقدام ولا تستقر.

(٤) الخطاطيف: جمع خطاف وهو حديدة معوجة.

(٥) الحسكة: شوكة صلبة معروفة.

(٦) مفلطحة: عريضة.

(٧) عقيفاء: أي ملوية كالصنارة.

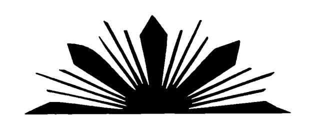
(٨) كالطرف: أي أنه يمر بسرعة الطرف وهو إطباق الجفن على الجفن.

(٩) معناه أن أصحاب الصراط ثلاثة أقسام: قسم يسلم فلا يناله شيء. وقسم يخدش ثم يرسل فيخلص. وقسم يكدس ويسقط في جهنم، ومكدوس في النار أي مدفوع.

(١٠) أخرجه البخاري (٧٤٣٩) مسلم (٤٤٧) نووي. قلعجي، (١٨٣) عبد الباقي.

مزلة فيقال: انجوا على قدر نوركم، فمنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كشد الرَّجُل ويرمل رملاً فيمرون على قدر أعمالهم حتى يمر الذي نوره على إبهام قدمه قال: يجر يداً ويعلق يداً ويجر رجلاً ويعلق رجلاً وتضرب جوانبه النار قال: فيخلصوا فإذا خلصوا قالوا: الحمد لله الذي نجانا منك بعد الذي أراناك، لقد أعطانا الله ما لم يعط أحداً. . . الحديث)[١].

وقال الحارث المحاسبي: فتوهم ممرك على الجسر بشدة الخوف وضعف البدن، وإن يكن مغضوباً عليك غير معفى عنك ولم تشعر إلا وقد زلت قدمك عن الصراط. فتوهم نفسك إن لم يعف عنك إن زلت رجلك عن الصراط فقلت في نفسك مع ذلك ذهبت أبداً، هذا الذي كنت أحاذر، وأضاف وطار عقلك ثم زلت الأخرى فتنكست هامتك وارتفعت عن الصراط رجلاك فلم تشعر إلا والكلوب قد دخل في جلدك ولحمك فجذبت به وبادرت إليك النار ثائرة غضبانة لغضب مولاها فهي تجذبك وأنت تهرب من الجسر وتنادي حين وجدت مس نفحها، ويلي ويلي، وقد غلب على قلبك الندم والتأسف إلا كنت أرضيت الله عز وجل فرضي عنك وأقلعت عما يكره قبل أن تموت فغفر لك[٢]. . . . انتهى مختصراً.



---

(١) صحيح. رواه الحاكم (٢/٢٧٦). والحديث في الصحيحين بألفاظ أخرى.

(٢) التوهم ص ٢٦.

المبحث الثاني:
سؤال الملائكة لله تعالى ومن ينبغي أن يجاورك؟

- عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله لينادي يوم القيامة: أين جيراني؟ قال: فتقول الملائكة: ربنا ومن ينبغي أن يجاورك؟ فيقول: أين عمار المساجد**[1]»؟.

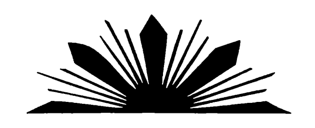
وفي الحديث:

١) الحث على صلاة الجماعة في المسجد.

٢) فضل من تعلق قلبه بالمساجد.

٣) التحذير من ترك الصلاة في المسجد إلا لعذر شرعي.

٤) إثبات كلام الله تعالى يوم القيامة.



(١) حسن. أخرجه الحارث بن أسامة في مسنده. وراجع الصحيحة للشيخ الألباني (٢٧٢٨).

المبحث الثالث:
سؤال الملائكة لله تعالى:
من هؤلاء الذين آثرت علينا؟

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أول ثلة يدخلون الجنة الفقراء المهاجرون الذين تُتَّقى بهم المكاره، إذا أمروا سمعوا وأطاعوا، وإن كانت للرجل منهم حاجة إلى السلطان لم تقض له حتى يموت وهي في صدره، وإن الله عز وجل ليدعو يوم القيامة الجنة فتأتي بزخرفها وزينتها فيقول: أين عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وقوتلوا وأوذوا في سبيلي وجاهدوا في سبيلي ادخلوا الجنة فيدخلونها بغير حساب، وتأتي الملائكة فيسجدون، فيقولون: ربنا نحن نسبح بحمدك الليل والنهار ونقدِّس لك، من هؤلاء الذين آثرت علينا؟ فيقول الرب عز وجل: هؤلاء عبادي الذين قاتلوا في سبيلي، وأوذوا في سبيلى، فتدخل عليهم الملائكة من كل باب** ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤﴾ [الرعد: ٢٤]»[١].

وفي الحديث:

١ ـ فضل الفقراء من المهاجرين وسبقهم في دخول الجنة قبل أغنيائهم.

٢ ـ الاستسلام لأمر الله تعالى والسمع والطاعة من أعظم القربات.

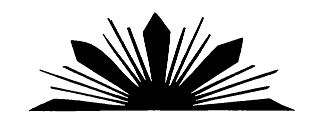
---

(١) صحيح. أخرجه أحمد (٢/ ١٦٨) وابن حبان (٧٤٢١) والحاكم (٢/ ٧١) والأصبهاني في الترغيب (٨٣٧) بلفظ أول ثلاثة والصحيح أول ثلة وراجع الصحيحة للشيخ الألباني (٢٥٥٩) ومجمع الزوائد (١٠/ ٢٥٩).

٣ ـ فضل الصبر على البلاء في الدنيا.

٤ ـ الحث على الجهاد في سبيل الله تعالى.

٥ ـ فضل الله ورحمته وأنه لا يسأل عما يفعل.



المبحث الرابع:
سؤال آدم عليه السلام لربه عن بعث النار:

- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يقول الله تعالى يا آدم فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك فيقول: أخرج بعث النار. قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فعنده يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد. قالوا: يا رسول الله وأينا ذلك الواحد؟ قال: أبشروا فإن منكم رجل ومن يأجوج ومأجوج ألف، ثم قال: والذي نفسي بيده إني أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا فقال: أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبرنا فقال: أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة فكبرنا فقال: ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود**»[1].

قال النووي في شرح مسلم: قوله سبحانه وتعالى لآدم ﷺ: «أخرج بعث النار» البعث هنا بمعنى المبعوث الموجه إليها ومعناه ميز أهل النار من غيرهم. اهـ.

أعاذنا الله وإخواننا المسلمين منها.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٨ و٤٧٤١ و٦٥٣٠ و٧٤٨٣) ومسلم (٢٢٢) عبد الباقي.

المبحث الخامس:
سؤال الرسول ﷺ لربه جل وعلا عن أقوام يحال بينهم وبين حوضه:

- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«أنا فرطكم على الحوض وليُرْفَعن رجال منكم ثم ليُخْتَلِجُنَّ دوني فأقول: يا رب أصحابي فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»**[1].

- عن أنس عن النبي ﷺ قال: **«ليردن عليّ ناس من أُصَيْحَابي الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني فأقول: أصحابي فيقول لا تدري ما أحدثوا بعدك»**[2].

- عن سهل بن سعد قال: قال النبي ﷺ: **«إني فرطكم على الحوض: من مر عليّ شرب ومن شرب لم يظمأ أبداً ليردن عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفونني ثم يحال بيني وبينهم»**[3].

- وزاد أبو سعيد الخدري: **(فأقول: إنهم مني فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول: سحقاً سحقاً لمن غيَّر بعدي)**[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٧٦) مسلم (٢٢٢٧) عبد الباقي (٥٨٦٦) نووي. قلعجي.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٨٢) مسلم (٢٣٠٤) عبد الباقي.

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٨٣).

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٨٤) و(٧٠٥٠).

- عن أبي هريرة أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «**يَرد عليَّ الحوض يوم القيامة رهط من أصحابي فَيُجْلَونَ عن الحوض فأقول: يا رب أصحابي فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري**»[1].

- عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**بينا أنا نائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلمَّ فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله. قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري. ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلمَّ قلت أين؟ قال: إلى النار والله. قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري فلا أراه يخلُصُ منهم إلا مثل هَمل النَّعم[2]**»[3].

- عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قال النبي ﷺ: «**إني على الحوض حتى أنظر من يرد عليَّ منكم وسيؤخذ ناس دوني فأقول يا رب منِّي ومن أمتي فيقال هل شعرت ما عملوا بعدك؟ والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم**»[4].

- عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إني لكم فرط على الحوض فإياي لا يأتين أحدكم فَيُذَبُّ[5] عني كما يذب البعير الضال. فأقول: فيم هذا؟ فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول:**

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٨٥) ومعنى القهقري: أي رجعوا إلى الخلف.

(٢) همل النعم: قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/ ٤٨٣):

يعني من هؤلاء الذين دنوا من الحوض وكادوا يردون فصدوا عنه. والهَمَل: الإبل بلا راع.

وقال الخطابي: الهمل ما لا يرعى ولا يستعمل ويطلق على الضوال، والمعنى أنه لا يرده منهم إلا القليل لأن الهمل في الإبل قليل بالنسبة لغيره... اهـ.

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٨٧).

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٩٣).

(٥) الذَّب: الدفع والمنع والطرد.

سحقاً[1]»[2].

- عن ابن عباس قال: قام فينا النبي ﷺ يخطب فقال: «**إنكم محشورون حفاة عراة غرلاً** ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ الآية [الأنبياء: ١٠٤]. **وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم الخليل وأنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال. فأقول: يا رب أُصَيحَابي فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح** ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ **- إلى قوله -** ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٧] قال: فيقال إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم»[3].

- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ترد عليّ أمتي الحوض وأنا أذود[4] الناس عنه كما يذود الرجل إبل الرجل عن إبله. قالوا: يا نبي الله أتعرفنا قال: نعم لكم سيما[5] ليست لأحد غيركم تردون عليَّ غر[6] محجلين[7] من آثار الوضوء وليصدَّن عنِّي طائفة منكم فلا يصلون فأقول: يا رب هؤلاء من أصحابي فيجيبني ملك فيقول: وهل تدري ما أحدثوا بعدك؟**»[8].

قال النووي - رحمه الله - في شرح مسلم (١/ ٥٧٠):

قوله: «وهل تدري ما أحدثوا بعدك» وفي الرواية الأخرى: قد بدلوا بعدك فأقول سحقاً سحقاً، هذا مما اختلف العلماء في المراد به على أقوال:

---

(١) سحقاً: أي بعداً.
(٢) أخرجه مسلم (٢٢٩٥) عبد الباقي، (٥٨٦٢) نووي. قلعجي.
(٣) أخرجه البخاري (٦٥٢٦) مسلم (٧٠٦١) نووي. قلعجي، (٢٨٦٠) عبد الباقي.
(٤) الذَّوْد: السَّوق والطرد والدفع.
(٥) السيما: العلامة.
(٦) الغرة: بياض في جبهة الفرس.
(٧) التحجيل: بياض في يديها ورجليها.
وهذه خاصية لأمة محمد ﷺ تعرف بهذه العلامة يوم القيامة من أثر الوضوء.
(٨) أخرجه مسلم (٥٧١) نووي. قلعجي، (٢٤٧) عبد الباقي.

(أحدها): أن المراد به المنافقون والمرتدون فيجوز أن يحشروا بالغرة والتحجيل فيناديهم النبي ﷺ للسيما التي عليهم فيقال: ليس هؤلاء مما وعدت بهم إن هؤلاء بدلوا بعدك أي لم يموتوا على ما ظهر من إسلامهم.

(والثاني): أن المراد من كان في زمن النبي ﷺ وإن لم يكن عليهم سيما الوضوء لما كان يعرفه ﷺ في حياته من إسلامهم فيقال ارتدوا بعدك.

(والثالث): أن المراد به أصحاب المعاصي والكبائر الذين ماتوا على التوحيد وأصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام وعلى هذا القول لا يقطع لهؤلاء الذين يذادون بالنار، بل يجوز أن يزادوا عقوبة لهم ثم يرحمهم الله سبحانه وتعالى فيدخلهم الجنة بغير عذاب. قال أصحاب هذا القول: ولا يمتنع أن يكون لهم غرة وتحجيل ويحتمل أن يكون كانوا في زمن النبي ﷺ وبعده، لكن عرفهم بالسيما. وقال الإمام الحافظ أبو عمرو بن عبد البر: كل من أحدث في الدين فهو من المطرودين عن الحوض كالخوارج والروافض وسائر أصحاب الأهواء. قال: وكذلك الظلمة المسرفون في الجور وطمس الحق والمعلنون بالكبائر. قال: وكل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا ممن عنوا بهذا الخبر والله أعلم... انتهى.

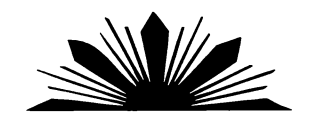
وقال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ في الفتح **(١١/ ٣٩٣)**.

وقال البيضاوي ليس قوله: (مرتدين) نصاً في كونهم ارتدوا عن الإسلام، بل يحتمل ذلك ويحتمل أن يراد أنهم عصاة المؤمنين المرتدون عن الاستقامة يبدلون الأعمال الصالحة بالسيئة... انتهى.

وقال الحافظ في موضع آخر من الفتح **(١٣/ ٦ ـ ٧)**.

وحاصل ما حمل عليه حال المذكورين أنهم إن كانوا ممن ارتد عن

الإسلام فلا إشكال في تبري النبي ﷺ منهم وإبعادهم وإن كانوا ممن لم يرتد لكن أحدث معصية كبيرة من أعمال البدن أو بدعة من اعتقاد القلب، فقد أجاب بعضهم بأنه يحتمل أن يكون أعرض عنهم ولم يشفع لهم اتباعاً لأمر الله فيهم حتى يعاقبهم على جنايتهم ولا مانع من دخولهم في عموم شفاعته لأهل الكبائر من أمته فيخرجون عند إخراج الموحدين من النار والله أعلم. . . انتهى.



إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته:

- عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «**أنا فرطكم على الحوض**»[١].

- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي**»[٢].

- عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «**ما بين ناحيتي حوضي كما بين صنعاء والمدينة**»[٣].

- عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «**حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منها فلا يظمأ أبداً**»[٤].

- عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أمامكم حوضاً كما بين جرباء وأذرج**[٥] **فيه أباريق كنجوم السماء من ورده فشرب منه لم يظمأ**

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٧٥) و(٦٥٨٩) ومسلم عن جندب (٢٢٨٩) عبد الباقي و(٥٨٥٥) نووي. قلعجي.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٨٨). وقال الإمام الخطابي: المراد من هذا الحديث الترغيب في سكنى المدينة وأن من لازم ذكر الله في مسجدها آل به إلى روضة الجنة وسقي يوم القيامة من الحوض.

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٩١) ومسلم واللفظ له (٥٨٨٦) نووي. قلعجي، (٢٣٠٣) عبد الباقي.

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٧٩) ومسلم (٥٨٦٠) نووي. قلعجي، (٢٢٩٢) عبد الباقي.

(٥) جرباء وأذرج: قريتين بالشام بينهما مسيرة ثلاثة أيام.

بعدها أبداً»[١].

- عن أبي ذر قال: **(يا رسول الله ما آنية الحوض؟ قال: والذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها. ألا في الليلة المظلمة المصحية**[٢] **آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ، آخر ما عليه يشخُبُ**[٣] **فيه ميزابان**[٤] **من الجنة من شرب منه لم يظمأ عرضه مثل طوله ما بين عمان إلى أيلة**[٥] **ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل)**[٦].

- عن أنس قال: قال نبي الله ﷺ: **«ترى فيه أباريق الذهب والفضة كعدد نجوم السماء»**[٧].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

فقد تلخص من مجموع هذه الأحاديث المتواترة صفة هذا الحوض العظيم والمورد الكريم من شراب الجنة من نهر الكوثر الذي هو أشد بياضاً من اللبن وأبرد من الثلج وأحلى من العسل وأطيب ريحاً من المسك وهو في غاية الإشباع، عرضه وطوله سواء كل زاوية من زواياه مسيرة شهر وأنه ينبت في حال[٨] من المسك ورضراض[٩] من اللؤلؤ فسبحان الخالق الذي لا يعجزه شيء لا إله إلا هو ولا معبود سواه[١٠].. انتهى.

---

(١) أخرجه مسلم (٥٨٧٦) نووي. قلعجي، (٢٢٩٩) عبد الباقي.

(٢) قال النووي ـ رحمه الله ـ: وخص الليلة المظلمة المصحية لأن النجوم ترى فيها أكثر...

(٣) يشخب: يسيل.

(٤) الميزاب: هو قناة أو أنبوبة يصرف بها الماء من سطح بناء أو موضع عال.

(٥) أيلة: هي مدينة معروفة في عراف الشام على ساحل البحر متوسطة بين مدينة رسول الله ﷺ ودمشق.

(٦) أخرجه مسلم (٥٨٧٧) نووي. قلعجي، (٢٣٠٠) عبد الباقي؛

(٧) أخرجه مسلم (٥٨٨٧) نووي. قلعجي، (٢٣٠٣) عبد الباقي.

(٨) الحال: الطين الأسود كالحمأة.

(٩) الرضراض: الحصى أو صغاره.

(١٠) النهاية في الفتن والملاحم (١/٢٠٧) بتحقيق أحمد عبد الشافي.

المبحث السادس:
سؤال النبي ﷺ لربه عز وجل زيادة عدد الذين يدخلون الجنة من أمته بغير حساب وأجابه الكريم الوهاب:

- عن أبي هريرة مرفوعاً (**سألت الله عز وجل الشفاعة لأمتي فقال لي: لك سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب فقلت: يا الله زدني فقال له: فإن لك هكذا فحثا بين يديه وعن يمينه وعن شماله**)(١).

- عن أبي أمامة مرفوعاً (**صَفوةُ الله من أرضهِ الشام وفيها صفوته من خلقه وعباده ولتدخلن الجنة من أمتي ثلة لا حساب عليهم ولا عذاب**)(٢).

- عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**وعدني ربي عز وجل أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفاً وثلاث حثيات من حثيات ربي عز وجل**»(٣).

---

(١) حسن. رواه البغوي في (حديث علي بن الجعد) قاله: الشيخ الألباني في الصحيحة (١٨٧٩). والحثية والحثوة يستعمل فيما يعطيه الإنسان بكفيه دفعة واحدة من غير وزن وتقدير ثم تستعار لما يعطى من غير تقدير.

(٢) صحيح لغيره. أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق. والطبراني في الكبير (٧٧٩٦). وراجع الصحيحة للشيخ الألباني (١٩٠٩).

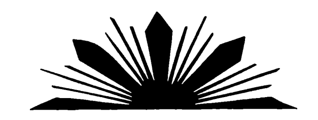
(٣) صحيح. رواه أحمد (٥/ ٢٦٨) والترمذي (٢٤٣٧) وابن ماجه (٤٢٨٦). وانظر صحيح الجامع (٧١١١) والمشكاة (٥٥٥٦). وحادي الأرواح (الباب الثالث والثلاثون).

وفي الحديث:

١) إثبات شفاعة رسول الله ﷺ لأمته يوم القيامة.

٢) فضل هذه الأمة عن سائر الأمم.

٣) إثبات صفة اليدين لله عز وجل وأنه يحثو بهما على ما يليق بجلاله سبحانه من غير تشبيه ولا تمثيل.



المبحث السابع:
سؤال الجار لربه عن جاره: لِمَ أغلق عني بابه؟:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**كم من جار متعلق بجاره يقول: يا رب سل هذا لم أغلق عنِّي بابه ومنعني فضله؟**»[1].

وفي الحديث:

١) التحذير من أذى الجيران.

٢) الوعيد لمن منع فضله عن جاره.

٣) الحث على معاونة الجار فيما يحتاج إليه.

٤) حب الجار من الإيمان.

قال أهل العلم: والجيران ثلاثة:

١ ـ جار قريب مسلم فله حق الجوار والقرابة والإسلام.

٢ ـ وجار مسلم غير قريب فله حق الجوار والإسلام.

٣ ـ وجار كافر فله حق الجوار، وإن كان قريباً فله حق القرابة أيضاً.

وبناءً على هذا فتجب مراعاة حقوق الجيران فيجب الإحسان إليهم بقدر الإمكان ويحرم الاعتداء عليهم بأي عدوان، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه

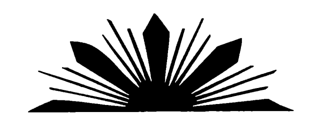
---

(١) حسن لغيره. أخرجه الأصبهاني في الترغيب (٨٧٥) وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق. والبخاري في الأدب المفرد (١١١) وراجع الصحيحة للشيخ الألباني (٢٦٤٦).

قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره**»[1].

وقوله ﷺ: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن**» قالوا: من يا رسول الله؟ قال: «**من لا يأمن جاره بوائقه**»[2] يعني غدره وخيانته وظلمه، وعدوانه، فالذي لا يأمن جاره من ذلك ليس بمؤمن.

إذن يحرم على الجار أن يؤذي جاره بأي شيء، فإن فعل فإنه ليس بمؤمن، والمعنى أنه ليس متصفاً بصفات المؤمنين في هذه المسألة التي خالف بها الحق.



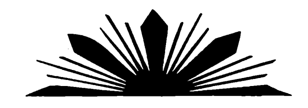
(١) أخرجه مسلم (٤٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١٦) ومسلم (٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

المبحث الثامن:
سؤال المؤمنين لربهم الشفاعة[1] لإخوانهم الذين دخلوا النار بذنوبهم:

ـ عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما مجادلة أحدكم في الحق يكون له في الدنيا بأشد مجادلة من المؤمنين لربهم في إخوانهم الذين أدخلوا النار قال: يقولون ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويحجون معنا فأدخلتهم النار قال: فيقول: اذهبوا فأخرجوا من عرفتم منهم قال: فيأتونهم فيعرفونهم بصورهم، فمنهم من أخذته النار إلى أنصاف ساقيه ومنهم من أخذته إلى كعبيه فيخرجونهم فيقولون: ربنا قد أخرجنا من أمرتنا قال: ويقول: أخرجوا من كان في قلبه وزن دينار من الإيمان ثم قال: من كان في قلبه وزن نصف دينار حتى يقول من كان في قلبه وزن ذرة**»[2].

قال أبو سعيد: فمن لم يصدق فليقرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ إلى ﴿عَظِيمًا﴾. [النساء: ٤٨].



---

(١) سيأتي الكلام على الشفاعة في آخر الفصل الثالث مبحث سؤال الناس بعضهم لبعض (من يشفع لكم إلى ربكم)؟ ولقد أفردت لها كتاباً وسميته (أحكام الشفاعة).

(٢) صحيح. رواه النسائي (٨/ ١١٢) الإيمان/ زيادة الإيمان، وابن ماجه (٦٠). ونحوه في الصحيحين.

المبحث التاسع:
سؤال العبد الصالح لربه
عن سبب رفع درجته في الجنة:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول: يا رب أنَّى لي هذه فيقول باستغفار ولدك لك**»[1].

ففي الحديث الحث على الدعاء والاستغفار للوالدين بعد الممات.

وفيه الأخذ بأسباب الصلاح والاستقامة، لأن الله تعالى لا يقبل دعاء الولد إلا إذا كان صالحاً كما ثبت في الحديث الصحيح.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**»[2].

قال النووي ـ رحمه الله ـ في شرح مسلم:

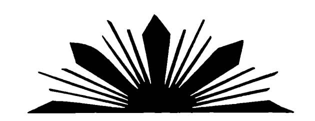
قال العلماء معنى الحديث أن عمل الميت ينقطع بموته وينقطع تجدد الثواب له إلا في هذه الأشياء الثلاثة، لكونه كان سببها فإن الولد من كسبه

---

(١) حسن. أخرجه الإمام أحمد في المسند واللفظ له (٢/٥٠٩).
وابن ماجه (٣٦٦٠) وغيرهما. وانظر الصحيحة للشيخ الألباني (١٥٩٨).

(٢) أخرجه مسلم (١٦٣١) عبد الباقي.

وكذلك العلم الذي خلفه من تعليم أو تصنيف وكذلك الصدقة الجارية وهي الوقف وفيه فضيلة الزواج لرجاء ولد صالح وفيه دليل لصحة أصل الوقف وعظيم ثوابه وبيان فضيلة العلم والحث على الاستكثار منه والترغيب في توريثه بالتعليم والتصنيف والايضاح، وأنه ينبغي أن يختار من العلوم الأنفع فالأنفع، وفيه أن الدعاء يصل ثوابه إلى الميت وكذلك الصدقة وقضاء الدين... اهـ مختصراً.



المبحث العاشر:
سؤال رجل من أهل الجنة ربَّه أن يأذن له في الزرع:

- عن أبي هريرة: **(أن النبي ﷺ كان يوماً يحدث وعنده رجل من أهل البادية، أن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع فقال: أولست فيما شئت؟ قال: بلى ولكني أحب أن أزرع، فأسرع وبذر فتبادر الطرف[1] نباته واستواؤه واستحصاؤه[2] وتكويره[3] أمثال الجبال فيقول الله تعالى، دونك يا ابن آدم فإنه لا يشبعك شيء[4] فقال الأعرابي: يا رسول الله لا تجد هذا إلا قرشياً أو أنصارياً فإنهم أصحاب زرع، فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع فضحك رسول الله ﷺ)**[5].

قال الحافظ في الفتح (٥/ ٣٤):

وفي هذا الحديث من الفوائد أن كل ما أُشتهي في الجنة من أمور الدنيا ممكن فيها، قاله المهلب. وفيه وصف الناس بغالب عاداتهم قاله ابن بطال.

---

(١) الطَرْف: امتداد لحظ الإنسان إلى أقصى ما يراه ويطلق على حركة جفن العين وكأنه المراد هنا.

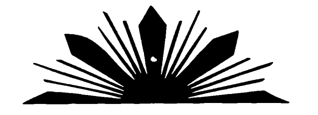
(٢) استحصاؤه: أي استحصاده وهو طلبه الحصاد لنضجه.

(٣) تكويره: أي جمعه.

(٤) لا يشبعك شيء: جنس الآدمي وهو ما طبع عليه فهو في طلب الازدياد إلا من شاء الله تعالى.

(٥) أخرجه البخاري (٢٣٤٨ ـ ٧٥١٩).

وفيه أن النفوس جبلت على الاستكثار من الدنيا. وفيه إشارة إلى فضل القناعة وذم الشره. وفيه الإخبار عن الأمر المحقق الآتي بلفظ الماضي.



المبحث الحادي عشر:
سؤال أصحاب الأعراف لله
بأن لا يجعلهم مع الظالمين في النار:

قال تعالى: ﴿۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأعراف: ٤٧ ـ ٤٨].

واختلف المفسرون في معنى الأعراف. والراجح من التفاسير أنهم الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم كما قال ابن مسعود وحذيفة وابن عباس وغيرهم.

يقول تعالى: ذكره وإذا صرفت أبصار أصحاب الأعراف تلقاء أصحاب النار يعني حيالهم ووجاههم فنظروا إلى تشويه الله لهم.

﴿قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

الذين ظلموا أنفسهم فأكسبوها من سخطك ما أورثهم من عذابك ما هم فيه.

وأفاد هذا التعبير بالفعل المبني للمجهول أنهم يوجهون أبصارهم إلى أصحاب الجنة بالقصد والرغبة ويلقون إليهم السلام وأنهم يكرهون رؤية أصحاب النار. فإذا صرفت أبصارهم تلقاءهم أي حولت إلى الجهة التي تلقاهم وتبصرهم فيها قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين حيث هم ولا حيث يكونون فاستغاثوا بربهم من أن يجعلهم معهم.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ﴾ أي من أهل النار. وهذا تقريع وتوبيخ من أهل الأعراف لرجال من صناديد المشركين وقادتهم يعرفونهم في النار بسيماهم ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ﴾.

أي كثرتكم وما كنتم تجمعون للصد عن سبيل الله ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ﴾.

أي وما أغنى عنكم استكباركم وعدم قبول الحق وتكبركم على المستضعفين والفقراء من أهل الإيمان.

﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ٤٩﴾ [الأعراف: ٤٩] يشيرون إلى أولئك المستضعفين الذين كانوا يضطهدونهم ويعذبونهم في الدنيا ويقولون لهم متهكمين بخزيهم وفوز من كانوا يحتقرونهم.

أهؤلاء الذين أقسمتم في الدنيا أن الله تعالى لا ينالهم برحمة لأنه لم يعطهم من الدنيا ما أعطاكم.

ادخلوا الجنة لا خوف عليكم مما يكون في مستقبل أمركم ولا أنتم تحزنون من جراء شيء ينغص عليكم حاضركم، فهذا تمام كلام أصحاب الأعراف: أي قالوا للمسلمين ادخلوا الجنة فقد انتفى عنكم الخوف والحزن بعد الدخول وقيل هذه الآية خاصة بأهل الأعراف.

- عن ابن عباس قال: أصحاب الأعراف رجال كانت لهم ذنوب عظام وكان حسم أمرهم لله، يقومون على الأعراف فإذا نظروا إلى أهل الجنة طمعوا أن يدخلوها وإذا نظروا إلى أهل النار تعوذوا بالله منها فأدخلوا الجنة فذلك قوله تعالى: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ﴾ يعني أصحاب الأعراف.

وقال ابن عباس: إن الله أدخل أصحاب الأعراف الجنة لقوله: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾[1].

---

(١) انظر تفسير ابن جرير الطبري.

المبحث الثاني عشر:
سؤال الأتباع يوم القيامة
أن يضاعف الله العذاب للمتبوعين:

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾[1] [الأعراف: ٣٨].

لم يبين هنا السبب الذي مكنهم من إضلالهم ولكنه بين في موضع آخر أن السبب الذي مكنهم من ذلك هو كونهم سادتهم وكبراءهم ومعلوم أن الأتباع يطيعون السادة الكبراء فيما يأمرونهم به وهو قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ الآية [الأحزاب: ٦٧ ـ ٦٨] قوله تعالى: ﴿فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾.

بين تعالى في هذه الآية الكريمة وأمثالها من الآيات أن الأتباع يسألون الله يوم القيامة أن يضاعف العذاب للمتبوعين. وبيَّن في مواضع أخر أن مضاعفة العذاب للمتبوعين لا تنفع الأتباع ولا تخفف عنهم من العذاب.

كقوله: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الزخرف: ٣٩] وقوله هنا: ﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾.

وقوله: ﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟

---

(١) انظر تفسير المنار، وتفسير أضواء البيان.

﴿ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الأعراف: ٣٩].

وقوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾ [غافر: ٤٨].

وكقوله تعالى في محاورة الأتباع المقلدين للمتبوعين من سورة «ص» ﴿قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾﴾ [ص: ٦١]. فقد صرح فيه بالزيادة وقوله من سورة الأحزاب حكاية عن التابعين المرءوسين في النار ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب: ٦٧ ـ ٦٨].

وقد كان من سبق رحمة الله لغضبه وانتقامه وغلبه فضله على عدله أن وعد بمضاعفة جزاء الحسنات لذاتها دون السيئات. كما قال: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] وكما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء: ٤٠].

وإذا علمت أن السيئات لا تضاعف فاعلم أن السيئة قد تعظم فيعظم جزاؤها بسبب حرمة المكان كقوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [الحج: ٢٥]. أو حرمة الزمان كقوله تعالى في الأشهر الحرم: ﴿فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ﴾ [التوبة: ٣٦].

وقد دلت آيات من كتاب الله أن العذاب يعظم بسبب عظم الإنسان المخالف كقوله تعالى في نبينا ﷺ: ﴿وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ [الإسراء: ٧٤ ـ ٧٥]. وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحاقة: ٤٤ ـ ٤٦]. وكقوله تعالى في أزواجه ﷺ: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ﴾ [الأحزاب: ٣٠] ومضاعفة السيئة المشار إليها في هاتين الآيتين إن كانت بسبب عظم الذنب حتى صار في عظمه كذنبين فلا إشكال، وإن كانت مضاعفة جزاء السيئة كانت هاتان الآيتان مخصصتين للآيات المصرحة بأن السيئة لا تجزى

إلا بمثلها والجميع محتمل والعلم عند الله تعالى.

وتبرأ الأتباع من المتبوعين كثير في القرآن كقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ كَمَا غَوَيۡنَاۖ تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ ٦٣﴾ [القصص: ٦٣].

قال ابن كثير رحمه الله في التفسير:

وقوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾.

يعني من الشياطين والمردة والدعاة إلى الكفر ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ كَمَا غَوَيۡنَاۖ تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ﴾ [القصص: ٦٣].

فشهدوا عليهم أنهم أغووهم فاتبعوهم ثم تبرءوا من عبادتهم كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزّٗا ٨١ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ٨٢﴾ [مريم: ٨١ ـ ٨٢]. وقال: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ٦﴾ [الأحقاف: ٥ ـ ٦].

وقال الخليل لقومه: ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٥] وقال الله: ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ١٦٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ١٦٧﴾ [البقرة: ١٦٦ ـ ١٦٧].

وهناك صورة أخرى يوضح الله فيها التوعد والانتقام من الضالين للمضلين.

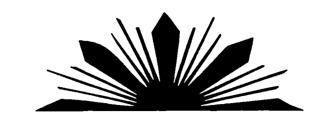
قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ٢٩﴾ [فصلت: ٢٩] قالوا: هذا وهم في النار، وذكره بلفظ الماضي تنبيهاً على تحقق وقوعه، والمراد أنهم طلبوا من الله سبحانه أن يريهم من أضلهم من فريق الجن والإنس من الشياطين

الذين كانوا يسولون لهم ويحملونهم على المعاصي ومن الرؤساء الذين كانوا يزينوا لهم الكفر.

وقوله: ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾.

أي ندسهما بأقدامنا لنشتفي منهم وقيل نجعلهم أسفل منا في النار ﴿لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾.

فيها مكاناً أو ليكونا من الأذلين المهانين وقيل ليكونوا أشد عذاباً منا وقيل ليكونوا في الدرك الأسفل من النار. إنه الحنق العنيف والتحرق على الانتقام وذلك بعد الموادة والمخادنة والوسوسة والتزيين وصدق الله إذ يقول: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف: ٦٧].



المبحث الثالث عشر:
سؤال الكافر والمفرِّط الرجعة إلى الحياة ليعملا العمل الصالح:

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ﴾ [المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠].

قال العلامة الشنقيطي في تفسيره (٥/ ٨١٩):

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من أن الكافر والمفرِّط في عمل الخير إذا حضر أحدهما الموت طلبا الرجعة إلى الحياة ليعملا العمل الصالح الذي يدخلهما الجنة ويتداركا به ما سلف منهما من الكفر والتفريط، وأنهما لا يجابان لذلك كما دل عليه حرف الزجر والردع الذي هو كلا جاء موضحاً في مواضع أخر كقوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ﴾ [المنافقون: ١٠ ـ ١١] وقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾﴾ [إبراهيم: ٤٤] إلى غير ذلك من الآيات، وكما أنهم يطلبون الرجعة عند حضور الموت ليصلحوا أعمالهم فإنهم يطلبون ذلك يوم القيامة، ومعلوم أنهم لا يجابون إلى ذلك ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ﴾ [الأعراف: ٥٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [السجدة: ١٢] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنعام: ٢٧ ـ ٢٨].

وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ [الشورى: ٤٤].

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾﴾ [غافر: ١١].

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر: ٣٧].

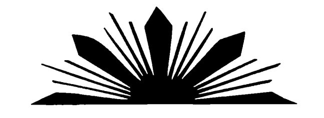
وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾ [سبأ: ٥١ ـ ٥٢].

وقد تضمنت هذه الآيات التي ذكرنا وأمثالها في القرآن أنهم يسألون الرجعة فلا يجابون عند حضور الموت ويوم النشور ووقت عرضهم على الله تعالى ووقت عرضهم على النار. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾ الظاهر أن لعل فيه للتعليل: أي ارجعون لأجل أن أعمل صالحاً. وقيل هي: للترجي والتوقع لأنه غير جازم بأنه إذا رد للدنيا عمل صالحاً، والأول أظهر والعمل الصالح يشمل جميع الأعمال من الشهادتين والحج الذي كان قد فرط فيه والصلوات والزكاة ونحو ذلك والعلم عند الله تعالى. وقوله كلا: كلمة زجر وهي دالة على أن الرجعة التي طلبها لا يعطاها كما هو واضح. انتهى مختصراً.

المبحث الرابع عشر:
سؤال النار لربها في التنفس:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**قالت النار رب أكل بعضي بعضاً فاذن لي أتنفس فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف، فما وجدتم من برد أو زمهرير فمن نفس جهنم وما وجدتم من حر أو حرور فمن نفس جهنم**»[1].

قال النووي في شرح مسلم: قال القاضي: اختلف العلماء في معناه، فقال بعضهم: هو على ظاهره واشتكت حقيقة وشدة الحر من وهجها وفيحها وجعل الله تعالى فيها إدراكاً وتمييزاً بحيث تكلمت بهذا، ومذهب أهل السنة أن النار مخلوقة قال: وقيل ليس هو على ظاهره بل هو على وجه التشبيه والاستعارة والتقريب وتقديره أن شدة الحر يشبه نار جهنم فاحذروه واجتنبوا حروره.. قال: والأول أظهر. قلت: (أي النووي) والصواب الأول لأنه ظاهر الحديث ولا مانع من حمله على حقيقته فوجب الحكم بأنه على ظاهره والله أعلم.. انتهى.



(١) أخرجه البخاري (٥٣٧) ومسلم (٦١٧).

المبحث الخامس عشر:
سؤال الأشقياء ممن لم تبلغه الدعوة لربهم عندما أمرهم بدخول النار فقالوا: أين ندخلها ومنها كنا نفر؟:

- عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى بأربعة يوم القيامة: بالمولود وبالمعتوه[١] وبمن مات في الفترة[٢] والشيخ الفاني[٣] كلهم يتكلم بحجته، فيقول الرب تبارك وتعالى لعُنُق[٤] من النار: ابْرُزْ، فيقول لهم: إني كنت أبعث إلى عبادي رسلاً من أنفسهم وإني رسول نفسي إليكم ادخلوا هذه، فيقول من كتب عليه الشقاء: يا رب أين ندخلها ومنها كنا نفر؟ قال: ومن كتب عليه السعادة يمضي فيقتحم فيها مسرعاً قال: فيقول تبارك وتعالى: أنتم لرسلي أشد تكذيباً ومعصيةً فيدخل هؤلاء الجنة وهؤلاء النار**»[٥].

- عن الأسود بن سريع أن نبي الله ﷺ قال: «**أربعة يوم القيامة يدلون بحجة: رجل أصم لا يسمع ورجل أحمق[٦] ورجل يهرم[٧] ومن مات**

---

(١) المعتوه: هو المجنون المصاب بعقله.
(٢) الفترة: هي المدة الزمنية التي ينقطع فيها الرسالة بين رسولين من رسل الله تعالى.
(٣) الشيخ الفاني: أي المسن وسمي بذلك لقربه ودنوه من الفناء.
(٤) عُنُق من النار: أي طائفة منها.
(٥) صحيح لغيره. أخرجه أبو يعلى (١٠٤٤ ـ ١٠٤٥) وغيره. الصحيحة (٢٤٦٨).
(٦) الأحمق: هو من به فساد في العقل.
(٧) الهرَم: الكِبَر والضعف.

في الفترة، فأما الأصم فيقول: يا رب جاء الإسلام وما أسمع شيئاً، وأما الأحمق فيقول: جاء الإسلام والصبية يقذفونني بالبعر، وأما الهرم فيقول: لقد جاء الإسلام وما أعقل، وأما الذي مات على الفترة فيقول: يا رب ما أتاني رسولك فيأخذ مواثيقهم ليطعنه فيرسل إليهم رسولاً أن ادخلوا النار، قال: فوالذي نفسي بيده لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً»(١).

في الحديثين ونحوهما فوائد منها:

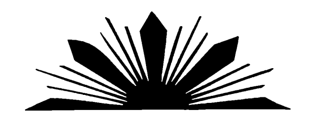
١) إثبات الإمتحان لأهل الأعذار السابق ذكرهم.

٢) من أطاع الله ودخل النار وجدها برداً وسلاماً، وهذا الصنف هو الذي كان يطيع الرسل إذا جاءته في الدنيا وهو صحيح ليس له عذر.

٣) من عصى الله ولم يدخل النار عندما أمره فهؤلاء هم الأشقياء، وهذا الصنف هو الذي يعصي الرسل إذا جاءته في الدنيا وهو صحيح ليس له عذر.

٤) الله حكم عدل لا يظلم عنده أحد.

٥) إثبات صفة الكلام.



(١) إسناده صحيح. أخرجه الطبراني في الكبير وصحيح ابن حبان (٧٣٥٧) بتحقيق شعيب الأرنؤوط وراجع مجمع الزوائد (٧/ ٢١٥) وما بعدها. والصحيحة (٤٣٤).

المبحث السادس عشر:
سؤال آخر أهل النار خروجاً لربه أن يدخله الجنة:

ـ عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي مرة ويكبو وتسفعه النار مرة، فإذا ما جاوزها التفت إليها فقال: تبارك الذي نجاني منكِ لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين، فتُرفع له شجرة فيقول: أي رب أدنني من هذه الشجرة فلأستظل بظلها وأشرب من مائها، فيقول الله عز وجل: يا ابن آدم لعلي أن أعطيتكها، سألتني غيرها فيقول: لا يا رب ويعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى فيقول: أي رب أدنني من هذه لأشرب من مائها وأستظل بظلها لا أسألك غيرها فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها فيقول لعلي إن أدنيتك منها تسألني غيرها فيعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأُوليين فيقول: أي ربِ أدنني من هذه لأستظل بظلها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها قال: بل يا رب هذه لا أسألك غيرها وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليها فيدنيه منها فإذا أدناه منها فيسمع أصوات أهل الجنة فيقول: أي رب أدخلنيها فيقول: يا ابن آدم ما يَصْرِيني منك أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها قال: يا رب أتستهزىء منِّي وأنت رب العالمين. فضحك ابن مسعود فقال: ألا

تسألوني مم أضحك فقالوا: مم تضحك قال: هكذا ضحك رسول الله ﷺ فقالوا: مم تضحك يا رسول الله قال: من ضحك رب العالمين حين قال أتستهزىء مني وأنت رب العالمين فيقول: إني لا أستهزىء منك ولكني على ما أشاء قادر»(١).

قال النووي ـ رحمه الله ـ في شرح مسلم:

قوله ﷺ: **«آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة»**.

أما يكبو فمعناه يسقط على وجهه، وأما تسعفه فمعناه تضرب وجهه وتسوده وتؤثر فيه أثراً.

وقوله ﷺ: «لأنه يرى ما لا صبر له عليه» أي نعمة لا صبر له عليها أي عنها. وقوله عز وجل: (يا ابن آدم ما يَصْريني منك) قال أهل اللغة: الصري: هو القطع والمعنى أي شيء يرضيك ويقطع السؤال بيني وبينك. والله أعلم. . . انتهى مختصراً.

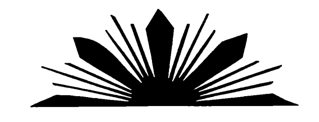
وفي الحديث إثبات الضحك لله سبحانه وتعالى وهو صفة من صفاته الفعلية التي نثبتها له على ما يليق بجلاله وعظمته من غير تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل.

وفي حديث الرؤية الطويل وفيه «. . . **ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار هو آخر أهل النار دخولاً الجنة فيقول: أي رب اصرف وجهي عن النار فإنه قد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها، فيدعو الله ما شاء أن يدعوه ثم يقول الله: هل عسيت إن أعطيت ذلك أن تسألني غيره فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره ويعطي ربه من عهود ومواثيق ما شاء، فيصرف الله وجهه عن النار، فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول: أي رب قدمني إلى باب الجنة فيقول الله له: ألست قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسألني غير الذي أعطيت أبداً، ويلك يا ابن**

---

(١) أخرجه مسلم (٤٥٥) نووي. قلعجي، (١٨٧) عبد الباقي.

آدم ما أغدرك فيقول: أي رب ويدعو الله حتى يقول: هل عسيت أن أعطيت ذلك أن تسأل غيره فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره ويعطي ما شاء من عهود ومواثيق فيقدمه إلى باب الجنة انفقهت له الجنة فرأى ما فيها من الحبرة والسرور فيسكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول: أي رب أدخلني الجنة فيقول الله: ألست قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسأل غير ما أعطيت فيقول: ويلك يا ابن آدم ما أغدرك فيقول: أي رب لا أكون أشقى خلقك فلا يزال يدعو حتى يضحك الله منه، فإذا ضحك منه قال له: ادخل الجنة فإذا دخلها قال الله له: تمنَّه فسأل ربه وتمنى حتى أن الله ليذكره يقول كذا وكذا حتى انقطعت به الأماني قال الله: ذلك لك ومثله معه»[1].



(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٧) ومسلم (١٨٢).

الفصل الثالث:
سؤال المخلوق للمخلوق وفيه مباحث.

المبحث الأول:
سؤال الناس بعضهم لبعض (من يشفع لكم إلى ربكم)؟

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (**أتى رسول الله ﷺ بلحم فرفع إليه الذراع - وكانت تعجبه - فنهس منها نهسة ثم قال: أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذلك؟ يجمع الناس - الأولين والآخرين - في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون. فيقول الناس: ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟**

فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم فيأتون آدم عليه السلام فيقولون له: أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر بالملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وأنه نهاني عن الشجرة فعصيته نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سمَّاك الله عبداً شكوراً، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي عز وجل قد

غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وأنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي[1]. نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى إبراهيم فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات[2] نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري

(١) وهي ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦].

(٢) وهذه الكذبات الثلاث ذكرها رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «لم يكذب إبراهيم النبي عليه السلام قط إلا ثلاث كذبات ثنتين في ذات الله. قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩] وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣] وواحدة في شأن سارة فإنه قدم أرض جبار ومعه سارة وكانت أحسن الناس فقال لها: إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك. فإن سألك فأخبريه أنك أختي، فإنك أختي في الإسلام»... الحديث.
رواه البخاري (٣٣٥٨) ومسلم (٦٠٣٠) نووي. قلعجي. قال النووي[1]: قال المازري: أما الكذب فيما طريقه البلاغ عن الله تعالى، فالأنبياء معصومون منه سواء كثيره وقليله، وأما ما لا يتعلق بالبلاغ ويعد من الصفات كالكذبة الواحدة في حقير من أمور الدنيا ففي إمكان وقوعه منهم وعصمتهم منه القولان المشهوران للسلف والخلف. قال القاضي عياض: الصحيح أن الكذب فيما يتعلق بالبلاغ لا يتصور وقوعه منهم سواء جوزنا الصغائر منهم وعصمتهم منه أم لا وسواء قل الكذب أم كثر لأن منصب النبوة يرتفع عنه وتجويزه يرفع الوثوق بأقوالهم. وأما قوله ﷺ ثنتين في ذات الله تعالى وواحدة في شأن سارة، فمعناه أن الكذبات المذكورة إنما هي بالنسبة إلى فهم المخاطب والسامع وأما في نفس الأمر فليست كذباً مذموماً لوجهين.
أحدهما: أنه ورَّى بها فقال في سارة: أختي في الإسلام وهو صحيح في باطن الأمر.
الوجه الثاني: لو كان كذباً لا تورية فيه لكان جائزاً في دفع الظالمين، وقد اتفق الفقهاء على أنه لو جاء ظالم يطلب إنساناً مختفياً ليقتله أو يطلب وديعة لإنسان ليأخذها غصباً وسأل عن ذلك، وجب على من علم ذلك إخفاؤه وإنكار العلم به وهذا كذب جائز بل واجب لكونه في دفع الظالم، فنبه النبي ﷺ على أن هذه الكذبات ليست داخلة في مطلق الكذب المذموم. أما إطلاق لفظ الكذب عليها فلا يمتنع لورود الحديث به، وأما تأويلها فصحيح لا مانع فيه. قال العلماء والواحدة التي=

(١) شرح صحيح مسلم.

اذهبوا إلى موسى فيأتون موسى فيقولون: يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وأني قد قتلت نفساً لم أومر بقتلها نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى عيسى فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد صبياً اشفع لنا ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ـ ولم يذكر ذنباً ـ نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد ﷺ. فيأتون محمداً ﷺ فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فانطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي عز وجل ثم يفتح الله عليّ من محامده

= في شأن سارة هي أيضاً في ذات الله تعالى لأنها سبب دفع كافر ظالم عن مواقعة فاحشة عظيمة وقد جاء ذلك مفسراً في غير مسلم فقال: ما فيها كذبة إلا بما حل بها عن الإسلام أي يجادل ويدافع. قالوا: وإنما خص الثنتين بأنهما في ذات الله تعالى لكون الثالثة تضمنت نفعاً له وحظاً مع كونها في ذات الله تعالى.

وذكروا في قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ أي سأسقم لأن الإنسان عرضة للأسقام وأراد بذلك الإعتذار عن الخروج معهم إلى عيدهم وشهود باطلهم وكفرهم وقيل: سقيم بما قدر علي من الموت وقيل كانت تأخذه الحمى في ذلك الوقت. وأما قوله ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾.

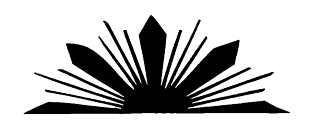
فقال ابن قتيبة وطائفة: جعل النطق شرطاً لفعل كبيرهم أي فعله كبيرهم إن كانوا ينطقون.

وقال الكسائي: يوقف عند قوله: بل فعله أي فعله فاعله فأضمر ثم يبتدىء فيقول كبيرهم هذا فاسألوهم عن ذلك الفاعل وذهب الأكثرون إلى أنها على ظاهرها وجوابها ما سبق... والله أعلم.

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: (١١/ ٤٤٣):

قال البيضاوي: الحق أن الكلمات الثلاث إنما كانت من معاريض الكلام، لكن لما كانت صورتها صورة الكذب اشفق منها استصغاراً لنفسه عن الشفاعة مع وقوعها، لأن من كان أعرف بالله وأقرب إليه منزلة كان أعظم خوفاً... انتهى.

وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع. فأرفع رأسي فأقول: أمتي يا رب أمتي يا رب فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة[1] وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ثم قال: والذي نفسي بيده أن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير أو كما بين مكة وبصرى»[2].



(١) في الحديث الإذن لرسول الله ﷺ بالشفاعة في من لا حساب عليهم من أمته فيدخلون الجنة من أيمن أبوابها.
قال الله عز وجل: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾﴾ [ق: ٣١].
وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾﴾ [التكوير: ١٣] أي قربت.

(٢) أخرجه البخاري (٤٧١٢) مسلم (٤٧٢) نووي. قلعجي، (١٩٤) عبد الباقي.



أنواع الشفاعة

والشفاعة في الآخرة نوعان:

الأولى: الشفاعة المثبتة.

الثانية: الشفاعة المنفية.

أولاً: الشفاعة المثبتة:

وهي للنبيين والملائكة والمؤمنين وللأعمال الصالحة كقراءة القرآن والصيام، كما دلت على ذلك الأحاديث ومنها حديث الشفاعة الطويل وفيه: «فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون فيقول الجبار: بقيت شفاعتي فيقبض قبضة من النار فيخرج أقواماً قد امتحشوا فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له ماء الحياة فينبتون في حافتيه كما تنبت الحبة في حميل السيل... الحديث»[(١)].

ولنبينا محمد ﷺ أكثر من شفاعة في الآخرة، وقد بيَّنها ابن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية وسوف أذكرها باختصار وذلك في شرحه على قول الطحاوي (والشفاعة التي ادخرها لهم حق كما روى في الأخبار).

قال ابن أبي العز[(٢)]: الشفاعة أنواع منها ما هو متفق عليه بين الأمة، ومنها ما خالف فيه المعتزلة ونحوهم من أهل البدع.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٩).

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية (مع تصرف يسير) ص ٢٢٩ بتحقيق الشيخ الألباني، وانظر مهذب شرح العقيدة الطحاوية لصالح بن عبد الرحمن ص ١٦١.

النوع الأول:

الشفاعة الأولى وهي العظمى فيشفع ﷺ في أهل الموقف حتى يقضي بينهم بعد أن تتراجع الأنبياء ـ آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم صلوات الله عليهم أجمعين ـ حتى تنتهي إليه الشفاعة ﷺ كما ثبت ذلك في الحديث السابق ذكره في أول الباب.

النوع الثاني والثالث من الشفاعة:

شفاعته ﷺ في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة(١) وفي أقوام آخرين قد أمر بهم إلى النار أن لا يدخلونها(٢).

النوع الرابع:

شفاعته ﷺ في رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم(٣) وقد وافقت المعتزلة هذه الشفاعة خاصة وخالفوا فيما عداها من المقامات مع تواتر الأحاديث فيها.

---

(١) ومستندها كما قال ابن حجر في الفتح (١١/٤٣٦) ما أخرجه الطبراني عن ابن عباس. (السابق يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد يرحمه الله والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلونها بشفاعة النبي ﷺ) وأرجح الأقوال في أصحاب الأعراف أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم. اهـ.

(٢) ودليلها كما قال ابن حجر في الفتح: (١١/٤٣٦):

قوله في حديث حذيفة عند مسلم (ونبيكم على الصراط يقول: رب سلم)، وقال النووي في شرح مسلم: وأن الشفاعة التي ذكر حلولها هي الشفاعة للمذنبين على الصراط وهو ظاهر الأحاديث وهي لنبينا محمد ﷺ ولغيره كما نص عليه في الأحاديث. اهـ.

قلت (القائل: فؤاد) ويشهد لذلك الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي (٢٤٣٣) عن أنس بن مالك، قال: سألت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة، فقال: «أَنَا فَاعِلٌ». قلت: يا رسول الله، فأين أطلبك؟ قال: «اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلى الصِّراطِ»، قلت: فإن لم ألقك على الصراط، قال: «فاطْلُبْنِي عِنْدَ المِيزَانِ»، قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: «فاطْلُبْني عِنْدَ الحَوْضِ، فإنِّي لا أخطِيء هَذِهِ الثَّلاثَ المَوَاطِنَ».

(٣) قال ابن حجر في الفتح: (١١/٤٣٦). =

النوع الخامس:

الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب ويحسن أن يستشهد لهذا النوع بحديث عكاشة بن محصن حين دعا رسول الله ﷺ أن يجعله من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب، والحديث مخرج في الصحيحين[1].

النوع السادس:

الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه كشفاعته في عمه أبي طالب أن يخفف عنه عذابه والحديث في الصحيحين[2].

ثم قال القرطبي في التذكرة بعد ذكر هذا النوع، فإن قيل فقد قال الله: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٤٨] قيل له: لا تنفعه في الخروج من النار كما تنفع عصاة الموحدين الذين يخرجون منها ويدخلون الجنة.

النوع السابع:

شفاعته أن يؤذن لجميع المؤمنين في دخول الجنة كما في صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أنا أول شفيع في الجنة**»[3].

النوع الثامن:

شفاعته في أهل الكبائر من أمته ممن دخل النار فيخرجون منها وقد

= ودليلها قوله في حديث أنس عند مسلم (١٩٦) (أنا أول شفيع في الجنة) كذا قاله بعض من لقيناه وقال: وجه الدلالة منه أنه جعل الجنة ظرفاً لشفاعته.
قلت (أي ابن حجر) وفيه نظر لأني سأبين أنها ظرف في شفاعته الأولى المختصة به والذي يطلب هنا أن يشفع لمن لم يبلغ عمله درجة عالية أن يبلغها بشفاعته، وأشار النووي في الروضة إلى أن هذه الشفاعة من خصائصه مع أنه لم يذكر مستندها. اهـ.

(١) أخرجه البخاري (٥٨١١ ـ ٦٥٤٢) ومسلم (٥٠٩ ـ ٥١٢) نووي. قلعجي، و(٢١٦ ـ ٢١٧) عبد الباقي.

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٨٣ ـ ٦٢٠٨)، مسلم (٥٠٠) نووي. قلعجي، (٢٠٩) عبد الباقي.

(٣) أخرجه مسلم (٤٧٥) نووي. قلعجي، (١٩٦) عبد الباقي.

تواترت بهذا النوع الأحاديث وقد خفي علم ذلك على الخوارج والمعتزلة فخالفوا في ذلك جهلاً منهم بصحة الأحاديث وعناداً ممن علم ذلك واستمر على بدعته، وهذه الشفاعة تشاركه فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون أيضاً، ومن أحاديث هذا النوع حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»[1].

ويأذن الله تعالى للأعمال الصالحة كقراءة القرآن والصيام وغيرهما في الشفاعة لأصحابها.

- عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه**»[2].

- عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا، تقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما**[3]».

- عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**سورة من القرآن ثلاثون آية تشفع لصاحبها حتى يغفر له** ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾»[4].

- عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فيشفعني فيه، ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعني فيه قال: فيشفعان**»[5].

---

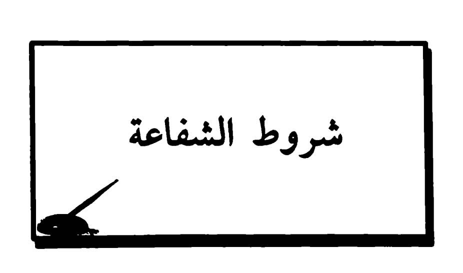
(١) رواه أحمد ٣/٢١٣. وقال الشيخ الألباني صحيح وله طرق وشواهد وانظر شرح العقيدة الطحاوية بتحقيق الشيخ الألباني ص ٢٣٣.

(٢) أخرجه مسلم (٨٠٤) عبد الباقي.

(٣) أخرجه مسلم (٨٠٥) عبد الباقي. والترمذي (٢٨٨٦).

(٤) حسن. أبو داود (١٤٠٠) والترمذي (٢٨٩٣).

(٥) صحيح. أحمد في المسند (٢/ ١٧٤).



شروط الشفاعة

قال تعالى: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ۝٢٦﴾ [النجم: ٢٦] ففي هذه الآية الكريمة أن الشفاعة لا تنفع إلا بشرطين:

الأول: إذن الله للشافع أن يشفع: لأن الشفاعة ملكه سبحانه.

قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [طه: ١٠٩].

وقوله تعالى: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس: ٣].

الثاني: رضاه عن المشفوع فيه:

وذلك بأن يكون من أهل التوحيد، لأن المشرك لا تنفعه الشفاعة. كما قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ۝٤٨﴾ [المدثر: ٤٨].

فتبين بهذا بطلان ما عليه القبوريون اليوم الذين يطلبون الشفاعة من الأموات ويتقربون إليهم بأنواع القربات كما قال الله في سلفهم ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن

﴿... دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

ومن الآيات التي تثبت شرط الرضا عن المشفوع:

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [طه: ١٠٩].

وقوله تعالى: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: ٢٦].

ثانياً: الشفاعة المنفية، ولها طرفان:

الأول: المشفوع فيهم.

الثاني: الشفعاء.

أولاً: المشفوع فيهم من الكفار والمشركين:

قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ٤٨].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ١٢٣].

وقوله تعالى: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

وقوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

وقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٤٨].

وهذه الشفاعة يراد بها شيئان:

أحدهما: أنها لا تنفع المشركين كما قال تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا

تُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٤٢ - ٤٨] فهؤلاء لا تنفعهم شفاعة الشافعين لأنهم كانوا كفاراً.

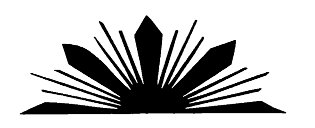
الثاني: أنه يراد بذلك الشفاعة التي يثبتها أهل الشرك ومن شابههم من أهل البدع من أهل الكتاب والمسلمين الذين يظنون أن للخلق عند الله من القدر أن يشفعوا عنده بغير إذنه كما يشفع الناس في بعضهم عند بعض.

ثانياً: الشفعاء اللَّعَّانون:

عن عبد الملك بن مروان أنه بعث إلى أم الدرداء بأنجاد[1] من عنده، فلما أن كان ذات ليلة، قام عبد الملك من الليل فدعا خادمه فكأنه أبطأ عليه فلعنه، فلما أصبح قالت له أم الدرداء، سمعتك الليلة لعنت خادمك حين دعوته، فقالت: سمعت أبا الدرداء يقول: قال رسول الله ﷺ: «**لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة**»[2].

قال النووي في شرح مسلم:

قوله ﷺ «لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء»: فمعناه لا يشفعون يوم القيامة حين يشفع المؤمنون في إخوانهم الذين استوجبوا النار... وقال: ولا يكون اللعانون شفعاء بصيغة التكثير ولم يقل لاعناً واللاعنون لأن هذا الذم في الحديث إنما هو لمن كثر منه اللعن لا لمرة ونحوها، ولأنه يخرج منه أيضاً اللعن المباح وهو الذي ورد الشرع به وهو لعنة الله على الظالمين، لعن الله اليهود والنصارى لعن الله الواصلة والواشمة وشارب الخمر وآكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه والمصورين ومن انتمى إلى غير أبيه وتولى غير مواليه وغيَّر منار الأرض وغيرهم ممن هو مشهور في الأحاديث الصحيحة.



(١) أنجاد: جمع نَجَد، وهو متاع البيت الذي يزينه من فرش، ونمارق، وستور.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٩٨).

المبحث الثاني:
سؤال خازن الجنة لرسول الله ﷺ من أنت؟

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن من أنت؟ فأقول: محمد. فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك»**(١).

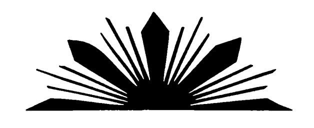
في الحديث فوائد منها:

١) أنه أول من يقرع باب الجنة نبينا محمد ﷺ.

٢) قيام خازن الجنة على خدمة رسولنا ﷺ حتى مشى إليه، وفتح له الباب.

٣) تفضيل نبينا محمد ﷺ على جميع الخلائق.

٤) أنه ﷺ أول شفيع في الجنة.



(١) رواه مسلم (١٩٧) وأحمد (٣/ ١٣٦).

المبحث الثالث:
سؤال خزنة الجنة للمؤمنين المهاجرين أو قد حوسبتم؟

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: **قال لي رسول الله ﷺ: «أتعلم أول زمرة تدخل الجنة من أمتي؟» قال: الله ورسوله أعلم. فقال: «المهاجرون يأتون يوم القيامة إلى باب الجنة ويستفتحون فيقول لهم الخزنة: أو قد حوسبتم فيقولون: بأي شيء نحاسب وإنما كانت أسيافنا على عواتقنا في سبيل الله حتى متنا على ذلك قال: فيفتح لهم فيقيلون فيه أربعين عاماً قبل أن يدخلها الناس»**[1].

وفي الحديث:

فضل المهاجرين وأنهم أول من يدخلون الجنة قبل الناس.

وفيه فضل الجهاد في سبيل الله تعالى.

وفيه إثبات كلام الملائكة لأهل الجنة.

وفيه إثبات الحساب.

وفيه أن من دخل الجنة فبرحمة الله تعالى ومن دخل النار فبعدله سبحانه وتعالى.

---

(١) صحيح. رواه الحاكم (٢/ ٧١) وصححه ووافقه الذهبي.

المبحث الرابع:
سؤال أهل الجنة لأهل النار عن حقيقة وعد الله تعالى[1]:

قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأعراف: ٤٤].

يقول تعالى ذكره: ونادى أهل الجنة أهل النار بعد دخولهما يا أهل النار قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً في الدنيا على ألسن رسله من الثواب على الإيمان به وبهم وعلى طاعته، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم على ألسنتهم على الكفر به وعلى معاصيه من العقاب، فأجابهم أهل النار بأن نعم قد وجدنا ما وعد ربنا حقاً. والسؤال هنا على وجه التقريع والتوبيخ وكذلك قرع رسول الله ﷺ قتلى القليب يوم بدر فنادى «**يا أبا جهل بن هشام، يا أمية بن خلف، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً» فسمع عمر قول النبي ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يسمعوا وأنَّى يجيبوا وقد جيفوا؟ قال: «والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا ثم أمر بهم فسحبوا فألقوا في قليب بدر**»[2].

والقليب: بئر ببدر طرحت فيه جثث المشركين وقد ناداهم

---

(١) انظر تفسير الطبري ـ ابن كثير ـ المنار. (تفسير الآية: ٤٤: الأعراف).

(٢) رواه البخاري (٣٩٧٦) ومسلم (٢٨٧٤) عبد الباقي.

رسول الله ﷺ نداء أهل الجنة لأهل النار يوم القيامة بعد استقرار كل فريق في مثواه الذي شاء الله أن يستقر فيه وأنت خبير بما في هذا المشهد الذي ساقه الله تعالى في هذه الآية من الروعة التي تأخذ بمجامع القلوب وتحفز المؤمنين إلى المصارعة في الخير وتردع العصاة عن الإيغال في الشر، وهذا هو أحد المقاصد التي من أجلها سيقت هذه المشاهد في القرآن... والله أعلم.

وقال صاحب تفسير المنار:

والمعنى أصحاب الجنة سوف ينادون أصحاب النار حتى إذا ما وجهوا أبصارهم إليهم يسألوهم سؤال تبجح وافتخار بحسن حالهم وتهكم وتذكير بما كان من جناية أهل النار على أنفسهم بتكذيب الرسل وتقرير لهم بصدق ما بلغوهم من وعد ربهم لمن آمن وأصلح بنعيم الجنة قائلين: قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، وها نحن أولاء فيه فهل وجدتم ما وعد ربكم من آمن به وبما جاءت به رسله حقاً.

قالوا: (وعدنا ربنا) ولم يقولوا لأهل النار (وعدكم ربكم) بل حذفوا المفعول لأنه قد عرف حينئذ أن أهل الجنة محل لذلك الوعد بالجنة، وأن أهل النار ليسوا محلاً له، فسألوهم عن الوعد المطلق كما وجه إلى الناس كافة في الدنيا على ألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام معلقاً على الإيمان والتقوى والعمل الصالح في مثل قوله: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الرعد: ٣٥] وقوله: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ [محمد: ١٥] وقوله تعالى في حكاية دعاء الملائكة للذين تابوا واتبعوا سبيله: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ [غافر: ٨].

وقوله: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ [مريم: ٦١]. وهذا ظاهر على القول بأن الوعد خاص بما كان في الخير وكذا على القول بأنه يشمل الخير والشر وهو الصحيح.

ولكن الوعيد خاص بالشر أو السوء والمعنى حينئذ فهل وجدتم ما وعد

ربكم من آمن به واتقاه وما وعد به من كفر به وعصاه حقاً بدخولنا الجنة ودخولكم النار. والجمهور على أنه لا يكاد يطلق الوعد في الشر غير متعلق بالموعود به صراحة ولا ضمناً، لأنه إذا أطلق ينصرف إلى الخير، وأما إذا قيد بتعلقه بالشر فيجوز أن تكون تسميته وعداً للتهكم أو للمشاكلة إذا كان في مقابلة وعد الخير أو للتغليب.

فالأول كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الحج: ٧٢].

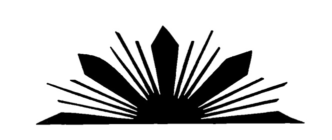
الثاني: كقوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ۖ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ﴾ [البقرة: ٢٦٨]. على أن لوعد الشيطان هنا نكتة أخرى وهو أنه شر في صورة الخير على سبيل الخداع فإنه عبارة عن الوسوسة للمرء بترك الصدقة وعمل البر اتقاء للفقر بذهاب ماله. وتظهر مقابلة المشاكلة في وعد الله للمنافقين والمؤمنين في سورة التوبة.

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ الآية [التوبة: ٦٨].

وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...﴾ [التوبة: ٧٢].

والثالث: قوله تعالى: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ﴾ [يس: ٥٢] أشار إلى البعث.

ولكن في التنزيل ما لا يظهر فيه شيء من الثلاثة. كقوله في وعد قوم صالح: ﴿ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود: ٦٥]، وله نظائر على أن المتكلمين قد صرحوا بجواز تخلف الوعيد وعدم جواز تخلف الوعد.... انتهى مختصراً وبتصرف يسير.



المبحث الخامس:
سؤال أصحاب اليمين في الجنات لأهل النار ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝٤٢﴾؟[(١)]

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۝٣٩ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝٤٠ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۝٤١ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۝٤٣ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ۝٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ۝٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ۝٤٦ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ۝٤٧﴾ [المدثر: ٣٨ ـ ٤٧].

والسؤال هنا على وجهين:

الوجه الأول: أي يسأل بعضهم بعضاً عن أحوال المجرمين.

والوجه الثاني: تكون عن زائدة أي يسألون المجرمين عن سبب دخولهم النار.

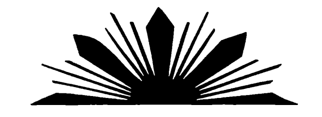
وكان الجواب أنهم لم يكونوا من المصلين ولم يكونوا يطعموا المسكين وكانوا يخوضون مع الخائضين وكانوا يكذبون بيوم الدين، فجمعوا بين الكفر بتكذيبهم بيوم الدين وبين الفروع وهي ترك الصلاة والزكاة المعبر عنها بإطعام المسكين إلى آخره، فهذه الآية من الأدلة على أن الكافر وطالب بفروع الشرع مع أصوله.

---

(١) انظر تفسير أضواء البيان للعلامة الشنقيطي، (الآية ٦ ـ ٧ فصلت) والتتمة لتلميذه الشيخ عطية سالم (سورة المدثر).

وقوله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٧﴾ [فصلت: ٦ - ٧].

فهذه الآية أيضاً تدل على خطاب الكفار بفروع الإسلام.



المبحث السادس:
سؤال الملائكة للكافرين: أين ما كنتم تدعون من دون الله؟

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ٣٧].

قال ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ١٩٣):

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا﴾ فيهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم أعوان ملك الموت. قاله النخعي.

والثاني: ملك الموت وحده. قاله: مقاتل.

والثالث: ملائكة العذاب يوم القيامة.

وفي قوله: ﴿يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: يتوفونهم بالموت قاله الأكثرون.

والثاني: يتوفونهم بالحشر إلى النار يوم القيامة. قاله الحسن.

والثالث: يتوفونهم عذاباً. كما تقول: قتلت فلاناً بالعذاب وإن لم يمت. قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ﴾ أي تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وهذا سؤال تبكيت وتقريع. قال مقاتل: المعنى: فليمنعوكم من النار. قال الزجاج: ومعنى (ضلوا عنا): بطلوا وذهبوا فيعترفون عند موتهم أنهم كانوا كافرين. وقال غيره: ذلك الاعتراف يكون يوم القيامة. انتهى.

المبحث السابع:
سؤال خزنة جهنم للذين كفروا عن بلاغ الرسل لهم وإنذارهم بيومهم هذا:

قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٧١ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ۝٧٢﴾ [الزمر: ٧١ ـ ٧٢].

وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ۝٥٠﴾ [غافر: ٥٠].

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٦ إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ۝٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ۝٩ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١﴾ [الملك: ٦ ـ ١١].

قال صاحب تتمة تفسير أضواء البيان[1] (٨/ ٣٩٥):

قوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ﴾.

بيّن تعالى أن للنار خزنة، وقد بين تعالى أن هؤلاء الخزنة هم الملائكة

(١) هو الشيخ عطية سالم تلميذ الشيخ محمد الأمين الشنقيطي.

الموكلون بالنار كما في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

كما بيَّن عدتهم في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ [المدثر: ٣٠]. وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [المدثر: ٣١].

وقال الشيخ رحمه الله تعالى علينا وعليه في إملائه[١]: دلت هذه الآية على أن أهل النار يدخلونها جماعة بعد جماعة. كما في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨]. قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾.

قال رحمه الله تعالى علينا وعليه في إملائه: هذا سؤال الملائكة لأهل النار. والنذير بمعنى المنذر.

وهذه الآية تدل على أن الله تعالى لا يعذب بالنار أحداً إلا بعد أن ينذره في الدنيا. وقد بيَّن هذا المعنى بأدلته بتوسع عند قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

قلت: وقد أفاض الشيخ الشنقيطي ـ رحمه الله ـ في هذه الآية في التفسير وفي كتابه «دفع إبهام الاضطراب عن آيات الكتاب» وسأذكرها هنا باختصار ومن أراد الزيادة فليرجع إليهما[٢].

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله:

هذه الآية الكريمة فيها التصريح بأن الله تعالى لا يعذب أحداً حتى ينذره على ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام ونظيرها قوله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ

---

(١) هو الشيخ محمد الأمين الشنقيطي صاحب تفسير أضواء البيان.

(٢) تفسير أضواء البيان (٣/ ٤٧١) ودفع إبهام الاضطراب ص ١٧٨ (سورة بني إسرائيل).

إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ ﴾ [طه: ١٣٤]، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾﴾ [الأنعام: ١٣١] إلى غير ذلك من الآيات.

ويؤيده تصريحه تعالى بأن كل أفواج أهل النار جاءتهم الرسل في دار الدنيا في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا ﴾ [الملك: ٨ ـ ٩]، ومعلوم أن كلما صيغة عموم ونظيرها قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ﴾ ـ إلى قوله ـ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الزمر: ٧١].

فقوله: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾ يعم كل كافر.

ونظيره أيضاً قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ﴾ [فاطر: ٣٧].

فإنه عام أيضاً لأن أول الكلام ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ ﴾ [فاطر: ٣٦].

وأمثال هذه كثيرة في القرآن مع أنه جاء في بعض الآيات ما يفهم منه أن أهل الفترة في النار. كقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة: ١١٣] فإن عمومها يدل على دخول من لم يدرك النبي ﷺ وكذلك عموم قوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٨].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا ﴾ [آل عمران: ٩١] إلى غير ذلك من الآيات.

اعلم أولاً أن من لم يأته نذير في دار الدنيا وكان كافراً حتى مات اختلف العلماء فيه هل هو من أهل النار لكفره أو هو معذور لأنه لم يأته نذير؟.

قد قال قوم: إن الكافر في النار ولو مات في زمن الفترة، وممن جزم بهذا القول النووي في شرح مسلم لدلالة الأحاديث على تعذيب بعض أهل الفترة.

وأجاب أهل هذا القول عن آية ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾ [الإسراء: ١٥] وأمثالها من أربعة أوجه:

الأول: أن التعذيب المنفي في قوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾ وأمثالها: هو التعذيب الدنيوي فلا ينافي التعذيب في الآخرة.

الثاني: أن محل العذر بالفترة المنصوص في قوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾ الآية.. وأمثالها في غير الواضح الذي لا يلتبس على عاقل، أما الواضح الذي لا يخفى على من عنده عقل كعبادة الأوثان فلا يعذر فيه أحد.

الثالث: أن عندهم بقية إنذار مما جاءت به الرسل الذين أرسلوا قبله ﷺ تقوم عليهم بها الحجة.

الرابع: ما جاء في الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ الدالة على أن بعض أهل الفترة في النار كما في صحيح مسلم عن أنس أن رجلاً قال: يا رسول الله أين أبي؟ قال: **في النار** فلما قضى دعاه فقال: «**إن أبي وأباك في النار**»[1].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي**»[2].

إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على عدم عذر المشركين بالفترة، وأجاب القائلون بأن أهل الفترة معذورون عن مثل قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾ - إلى قوله - ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣].

وقوله: ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٨]. وغير ذلك من الآيات.

فمن الآيات المتقدمة بأنهم لا يتبين لهم أنهم من أصحاب الجحيم ولا

---

(١) رواه مسلم (٢٠٣) **وأبو داود** (٤٧١٨).

(٢) رواه مسلم (٩٧٦) وأبو داود (٣٢٣٤) وغيرهما.

يحكم لهم بالنار ولو ماتوا كفاراً إلا بعد إنذارهم وامتناعهم من الإيمان كأبي طالب، وحملوا الآيات المذكورة على هذا المعنى بدليل قوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ وأجاب القائلون بعذرهم بالفترة عن هذه الأوجه الأربعة:

الأول: وهو كون التعذيب في قوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ إنما هو التعذيب الدنيوي دون الأخروي من وجهين:

الأول: أنه خلاف ظاهر القرآن لأن ظاهر القرآن انتفاء التعذيب مطلقاً فهو أعم من كونه في الدنيا، وصرف القرآن عن ظاهره ممنوع إلا بدليل يجب الرجوع إليه.

الوجه الثاني: أن القرآن دل في آيات كثيرة على شمول التعذيب المنفي في الآية للتعذيب في الآخرة.

كقوله: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الملك: ٨ ـ ٩].

وهو دليل على أن جميع أفواج أهل النار ما عذبوا في الآخرة إلا بعد إنذار الرسل.

وأجابوا عن الوجه الثاني: وهو أن محل العذر بالفترة في غير الواضح الذي لا يخفى على أحد بنفس الجوابين المذكورين آنفاً لأن الفرق بين الواضح وغيره مخالف لظاهر القرآن، فلا بد له من دليل يجب الرجوع إليه، ولأن الله نص على أن أهل النار ما عذبوا بها حتى كذبوا الرسل في دار الدنيا بعد إنذارهم من ذلك الكفر الواضح. كما تقدم إيضاحه. وأجابوا عن الوجه الثالث الذي جزم به النووي ومال إليه العبادي وهو قيام الحجة عليهم بإنذار الرسل الذين أرسلوا قبله ﷺ بأنه قول باطل بلا شك لكثرة الآيات القرآنية المصرحة ببطلانه، لأن مقتضاه أنهم أنذروا على ألسنة بعض الرسل، والقرآن ينفي هذا نفياً باتاً في آيات كثيرة كقوله في (يس) ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦﴾ الآية/ ٦.

وكقوله في (القصص) ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن

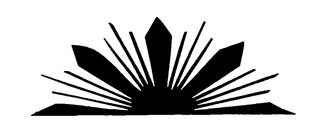
رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ الآية/ ٤٦. وكقوله في (سبأ) ﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾﴾ الآية/ ٤٤. وكقوله في (السجدة) ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ الآية/ ٣. إلى غير ذلك من الآيات.

وأجابوا عن الوجه الرابع: بأن تلك الأحاديث الواردة في صحيح مسلم وغيره أخبار آحاد يقدم عليها القاطع وهو قوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥]، وقوله: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾ [الملك: ٨ ـ ٩].

ونحو ذلك من الآيات.

هذا ملخص كلام العلماء وحججهم في المسألة، والذي يظهر رجحانه بالدليل هو الجمع بين الأدلة، لأن الجمع واجب إذا أمكن بلا خلاف.

ووجه الجمع بين هذه الأدلة هو عذرهم بالفترة وامتحانهم يوم القيامة بالأمر باقتحام نار، فمن اقتحمها دخل الجنة وهو الذي كان يصدق الرسل لو جاءته في الدنيا، ومن امتنع عذب بالنار وهو الذي كان يكذب الرسل لو جاءته في الدنيا لأن الله يعلم ما كانوا عاملين لو جاءتهم الرسل. وبهذا الجمع تتفق الأدلة فيكون أهل الفترة معذورين وقوم منهم من أهل النار بعد الامتحان وقوم منهم من أهل الجنة بعده أيضاً، ويحمل كل واحد من القولين على بعض منهم، علم الله مصيرهم وأعلم به نبيه ﷺ فيزول التعارض والدليل على هذا الجمع ورود الأخبار به عنه ﷺ وقد ذكرها الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥] انتهى باختصار وتصرف يسير.



المبحث الثامن:
سؤال أهل النار لخزنة جهنم أن يدعو الله لهم لتخفيف العذاب أو أن يميتهم ليستريحوا من العذاب:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَـٰٓؤُا۟ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾ [غافر: ٤٩ ـ ٥٠] وقوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَـٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الزخرف: ٧٧ ـ ٧٨].

قال الطبري في تفسير الآية:

يقول تعالى ذكره: وقال أهل جهنم لخزنتها وقوامها استغاثة بهم من عظيم ما هم فيه من البلاء ورجاء أن يجدوا من عندهم فرجاً ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ لنا ﴿يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا﴾ واحداً يعني قدر يوم واحد من أيام الدنيا ﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ الذي نحن فيه وإنما قلنا معنى ذلك: قدر يوم من أيام الدنيا لأن الآخرة يوم لا ليل فيه فيقال: خفف عنهم يوماً واحداً.

قوله: ﴿قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾.

يقول تعالى ذكره: قالت خزنة جهنم لهم، أولم تك تأتيكم في الدنيا رسلكم بالبينات من الحجج على توحيد الله فتوحدوه وتؤمنوا به وتتبرءوا مما دونه من الآلهة؟ قالوا: بلى قد أتتنا رسلنا بذلك.

وقوله: ﴿قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟﴾ يقول جل ثناؤه: قالت الخزنة لهم: فادعوا

إذن ربكم الذي أتتكم الرسل بالدعاء إلى الإيمان به وقوله: ﴿وَمَا دُعَـٰٓؤُاْ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ﴾.

يقول: قد دعوا وما دعاؤهم إلا في ضلال، لأنه دعاء لا ينفعهم ولا يستجاب لهم، بل يقال لهم: ﴿ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]. . . . انتهى.

وقال العلامة الشنقيطي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْاْ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾.

اللام في قوله: ﴿لِيَقْضِ﴾ لام الدعاء.

والظاهر أن المعنى أن مرادهم بذلك سؤال مالك خازن النار أن يدعو الله لهم بالموت.

والدليل على ذلك أمران:

الأول:

أنهم لو أرادوا دعاء الله بأنفسهم أن يميتهم لما نادوا يا مالك، ولما خاطبوه في قولهم (ربك).

والثاني:

أن الله بيّن في سورة المؤمن أن أهل النار يطلبون خزنة النار أن يدعو الله لهم ليخفف عنهم العذاب، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾﴾.

وقوله: ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾:

أي ليميتنا فنستريح بالموت من العذاب.

ونظيره قوله تعالى: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥] أي أماته، وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة ﴿قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ﴾ دليل على أنهم لا يجابون إلى الموت بل يمكثون في النار معذبين إلى غير نهاية. وقد دل القرآن العظيم على أنهم لا يموتون فيها فيستريحوا بالموت ولا تفنى هي عنهم ولا

يخفف عنهم عذابها ولا يخرجون منها.

أما كونهم لا يموتون فيها الذي دل عليه قوله هنا: ﴿قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾.

فقد دلت عليه آيات من كتاب الله كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝٧٤﴾ [طه: ٧٤]. وقوله تعالى: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝١٣﴾ [الأعلى: ١١ ـ ١٣] وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟﴾ [فاطر: ٣٦].

وقوله تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [إبراهيم: ١٧]. وأما كون النار لا تفنى عنهم فقد بينه تعالى بقوله: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧].

فمن يدعي أن للنار خبوة نهائية وفناء رد عليه بهذه الآية الكريمة. وأما كون العذاب لا يخفف عنه فقد دلت عليه آيات كثيرة جداً كقوله تعالى: ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦] وقوله تعالى: ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [النحل: ٨٥] وقوله تعالى: ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: ٣٠]. وقوله تعالى: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٧٥] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥] وقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ [الفرقان: ٧٧].

على الأصح في الأخيرين، وأما كونهم لا يخرجون منها فقد جاء موضحاً في آيات من كتاب الله كقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧].

وقوله تعالى في المائدة: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۝٣٧﴾ [المائدة: ٣٧].

وقوله تعالى في الحج: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا...﴾ الآية [الحج: ٢٢].

وقوله تعالى في الجاثية: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الجاثية: ٣٥] إلى غير ذلك من الآيات... اهـ.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ الآية. [الأنعام: ١٢٨].

وقال العلامة الشنقيطي في دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب[1]: تعليقاً على آية الأنعام السابقة فقال:

هذه الآية الكريمة يفهم منها كون عذاب أهل النار غير باق بقاء لا انقطاع له أبداً.

ونظيرها قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٦ ـ ١٠٧] وقوله تعالى: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾﴾ [النبأ: ٢٣].

وقد جاءت آيات تدل على أن عذابهم لا انقطاع له كقوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾.

والجواب عن هذا من أوجه:

أحدها: أن قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾.

معناه إلا من شاء الله عدم خلوده فيها من أهل الكبائر من الموحدين.

وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن بعض أهل النار يخرجون منها وهم أهل الكبائر من الموحدين، ونقل ابن جرير هذا القول عن قتادة والضحاك وأبي سنان وخالد بن معدان واختاره ابن جرير.

وغاية ما في هذا القول إطلاق «ما» وإرادة «من» ونظيره في القرآن ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣].

الثاني: أن المدة التي استثناها الله هي المدة التي بين بعثهم من قبورهم واستقرارهم في مصيرهم. قاله ابن جرير أيضاً.

الوجه الثالث: أن قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ فيه إجمال وقد جاءت

---

(١) سورة الأنعام: ص ١٢٢.

الآيات والأحاديث الصحيحة مصرحة بأنهم خالدون فيها أبداً. وظاهرها أنه خلود لا انقطاع له، والظهور من المرجحات، فالظاهر مقدم على المجمل كما تقرر في الأصول. ومنها أن إلا في سورة هود بمعنى سوى ما شاء الله من الزيادة على مدة دوام السموات والأرض. وقال بعض العلماء: إن الاستثناء على ظاهره وأنه يأتي على النار زمان ليس فيها أحد.

وقال ابن مسعود: ليأتين على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد. وذلك بعدما يلبثون أحقاباً.

وعن ابن عباس: أنها تأكلهم بأمر الله،

قال مقيدة عفا الله عنه الذي يظهر لي والله تعالى أعلم: أن هذه النار التي لا يبقى فيها أحد يتعين حملها على الطبقة التي كانت فيها عصاة المسلمين، كما جزم به البغوي في تفسيره، لأنه يحصل به الجمع بين الأدلة وأعمال الدليلين أولى من إلغاء أحدهما... انتهى مختصراً.

يتضح من الأدلة السابقة أن نار الكافرين لا فناء لها بل الخلود فيها أبداً، وكذلك الخلود لأصحابها فيها كما دلت عليه ظواهر الآيات السابقة وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ...﴾ [الأعراف: ٤٠]. وهذا أبلغ ما يكون في استحالة دخولهم الجنة ودل على خلودهم في النار. وقد ثبت في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وغيره وقد سبق تخريجه وفيه «فيذبح الموت ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت»... الحديث.

أما النار التي تفنى هي نار عصاة الموحدين الذين شملتهم الشفاعة وخرجوا من النار والعلم عند الله تعالى[1].

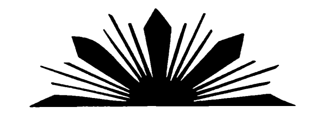
فاعلم يا عبد الله أن طلب أهل النار هو تخفيف يوماً من العذاب،

---

(١) من أراد المزيد في هذه المسألة فليراجع كتاب حادي الأرواح لابن القيم ـ رحمه الله ـ فصل (وأما أبدية النار ودوامها وما بعده). وراجع هنا مبحث سؤال الله تعالى لأهل الجنة وأهل النار عن الموت وذكرت فيه كلام ابن تيمية وابن القيم حول أبدية النار.

وكانوا في وسعهم في الدنيا أن يتوبوا في لحظة بل ضاعت أيامهم في الدنيا وضاع عمرهم كله في الكفر بالله والتكذيب. فاحذر يا عبد الله من الغفلة والتسويف وتضييع الأوقات والتمادي في المعاصي والإصرار عليها. فاليوم روحك في جسدك وعما قليل تسلب منك فسارع في عمل الخيرات وترك المنكرات قبل أن يأتي عليك يوم تقول فيه لخزنة جهنم ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٩].

فتب يا عبد الله وسارع بالإنابة إلى ربك واعلم أن الله تعالى ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾ [غافر: ٣].



المبحث التاسع:
سؤال أصحاب النار أصحاب الجنة أن يفيضوا عليهم من الماء أو مما رزقهم الله من النعم الكثيرة:

قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٥٠﴾ [الأعراف: ٥٠] والمعنى أن أهل النار يستجدون أهل الجنة أن يفيضوا عليهم من النعم الكثيرة التي يتمتعون بها من شراب وطعام وقدموا طلب الماء لأن من كان في سموم وحميم يكون شعوره بالماء البارد أشد من شعوره بالحاجة إلى الطعام الطيب.

وذكر ابن جرير بسنده عن ابن عباس أنه قال في تفسير هذا الاستجداء: ينادي الرجل أخاه أو أباه فيقول: قد احترقت أفض عليَّ من الماء فيقال لهم أجيبوهم فيقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

أي قال أهل الجنة جواباً عن هذا الاستجداء إن الله حرم ماء الجنة ورزقها على الكافرين كما حرم عليهم دخولها لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [المائدة: ٧٢].

فهذا خبر من الله تعالى ذكره عن استغاثة أهل النار بأهل الجنة عند نزول عظيم البلاء بهم من شدة العطش والجوع عقوبة من الله لهم على ما سلف منهم في الدنيا من ترك طاعة الله وأداء ما كان فرض عليهم فيها في أموالهم من حقوق المساكين من الزكاة والصدقة.

وبيَّن الله تعالى في موضع آخر أنه سبحانه يغيثهم ولكنه بماء يشوي الوجوه.

قال تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩].

قوله: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟﴾ يعني إن يطلبوا الغوث مما هم فيه من الكرب، يغاثوا: يؤتوا بغوث هو ماء كالمهل، والمهل يطلق على ما أذيب من جواهر الأرض كذائب الحديد والنحاس والرصاص ونحو ذلك. ويطلق أيضاً على دردري الزيت وهو عكره. وقيل هو نوع من القطران وقيل السم. وقوله تعالى: ﴿يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾.

أي يحرقها حتى تسقط فروة الوجه أعاذنا الله والمسلمين منه.

وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿بِئْسَ ٱلشَّرَابُ﴾ أي بئس الشراب ذلك الماء الذي يغاثون به.

وقوله: ﴿وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ أي النار.

والمرتفق: مكان الارتفاق وأصله أن يتكىء الإنسان معتمداً على مرفقه. والمراد بالمرتفق في الآية على أقوال متقاربة في المعنى قيل مرتفقاً أي منزلاً وقيل مقراً وقيل مجلساً وقيل مجتمعاً فهو عنده مكان الارتفاق بمعنى مرافقة بعضهم لبعض في النار. وهذا الذي ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة من صفات هذا الشراب الذي يسقي به أهل النار جاء نحوه في آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام: ٧٠] وقوله تعالى: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥]. وقوله تعالى: ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾﴾ [الغاشية: ٥].

وقوله تعالى: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الرحمن: ٤٤].

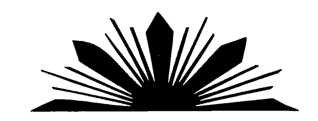
والحميم الآني: الماء المتناهي في الحرارة.

وذكر في موضع آخر أن الماء الذين يسقون صديد أعاذنا الله وإخواننا المسلمين من ذلك بفضله ورحمته وذلك في قوله تعالى: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ

﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ الآية [إبراهيم: ١٦ - ١٧].

وذكر في موضع آخر أنهم يسقون مع الحميم الغساق. كقوله: ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾﴾ [ص: ٥٧]. وقوله تعالى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾﴾ [النبأ: ٢٥].

والغساق: صديد أهل النار.. أعاذنا الله والمسلمين منها.



المبحث العاشر:
سؤال المشركين لأصحاب الكبائر في النار: أليس كنتم تزعمون في الدنيا أنكم أولياء؟

عن صالح بن أبي طريف، قال:

قلت لأبي سعيد الخدري: أسمعت رسول الله ﷺ يقول في هذه الآية: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ۝٢﴾ [الحجر: ٢]، فقال: نعم، سمعته يقول: «**يخرج الله أناساً من المؤمنين من النار بعدما يأخذ نقمته منهم، قال: لما أدخلهم الله النار مع المشركين، قال المشركون: أليس كنتم تزعمون في الدنيا أنكم أولياء، فما لكم معنا في النار؟ فإذا سمع الله ذلك منهم، أذن في الشفاعة، فيتشفَّع لهم الملائكة والنبيُّون حتى يخرجوا بإذن الله، فلما أخرجوا، قالوا: يا ليتنا كنا مثلهم، فتدركنا الشفاعة فنخرج من النار، فذلك قول الله جلَّ وعلا: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ۝٢﴾. قال: فيسمَّون في الجنة الجهنَّميِّين من أجل سواد في وجوههم، فيقولون: ربنا أَذهب عنا هذا الاسم، قال: فيأمرهم فيغتسلون في نهر في الجنة، فيذهب ذلك منهم**»[١].

وفي الحديث فوائد منها:

١) دخول بعض المؤمنين المذنبين النار إلى أجل يعلمه الله تعالى.

---

(١) صحيح. أخرجه ابن حبان (٧٤٣٢) وغيره.

٢) تعيير الكفار والمشركين للمؤمنين المذنبين في النار.

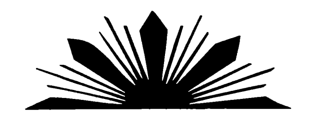
٣) الشفاعة لله جميعاً.

٤) إذن الله تعالى للملائكة والنبيين بالشفاعة في المؤمنين المذنبين فيخرجون من النار.

٥) أن الكفار والمشركين إذا عاينوا الحقيقة ندموا على الكفر والشرك وتمنوا أنهم كانوا مسلمين.

٦) إجابة الله تعالى لسؤال أهل الجنة.

٧) فضل الله ورحمته بعباده.



المبحث الحادي عشر:
سؤال أهل النار لجلودهم «لم شهدتم علينا»؟

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾[1] [فصلت: ١٩ ـ ٢٢].

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾﴾. أي أذكر لهؤلاء المشركين يوم يحشرون إلى النار ﴿يُوزَعُونَ﴾ أي تجمع الزبانية أولهم على آخرهم.

كما قال تعالى: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم: ٨٦] أي عطاشاً.

وقوله: ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي وقفوا عليها. ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي بأعمالهم مما قدموه وأخروه لا يكتم منه حرف. ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ أي: لاموا أعضاءهم وجلودهم حين شهدوا عليهم، فعند ذلك أجابتهم الأعضاء ﴿قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي فهو لا يخالف ولا يمانع وإليه ترجعون.

---

(١) انظر تفسير ابن كثير للآيات (١٩ ـ ٢١) فصلت.

- عن أبي هريرة قال: قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة؟» قالوا: لا. قال: «فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة؟ قالوا: لا. قال: فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما. قال فيلقى العبد فيقول: أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى قال: فيقول أفظننت أنك ملاقي، فيقول: لا، فيقول: فإني أنساك كما نسيتني. ثم يلقى الثاني فيقول: أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى أي رب فيقول: أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا فيقول: فإني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثنى بخير ما استطاع فيقول ها هنا إذاً.

- قال ثم يقال له: الآن نبعث شاهدنا عليك ويتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد عليَّ؟ فيختم على فيه ويقال لفخذه ولحمه وعظامه انطقي فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي يسخط عليه)(١).

- عن جابر بن عبد الله قال: لما رجعت إلى النبي ﷺ مهاجرة البحر قال: (ألا تحدثون بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة؟ فقال فتية منهم: بلى يا رسول الله بينا نحن جلوس إذ مرت علينا عجوز من عجائز رهابينهم تحمل على رأسها قلة من ماء فمرت بفتى منهم فجعل إحدى يديه بين كتفيها ثم دفعها فخرت على ركبتيها فانكسرت قلتها فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت: سوف تعلم يا غدر إذا وضع الله الكرسي وجمع الأولين والآخرين وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غداً. قال: يقول رسول الله ﷺ: «صدقت صدقت كيف يقدس الله قوماً لا

---

(١) أخرجه مسلم (٧٢٩٥) نووي. قلعجي، (٢٩٦٨) عبد الباقي. وأبو داود (٤٧٣٠). وقد سبق ذكره وشرح بعض ألفاظه ص: (٦٩٨).

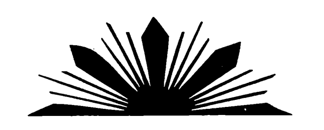
يؤخذ لضعيفهم من شديدهم»[1].

وقوله: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ . . .﴾.

أي تقول لهم الأعضاء والجلود حين يلومونها على الشهادة عليهم ما كنتم تتكتمون منا الذي كنتم تفعلونه بل كنتم تجاهرون الله بالكفر والمعاصي ولا تبالون منه من زعمكم لأنكم كنتم لا تعتقدون أنه يعلم جميع أفعالكم.

ولهذا قال: ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ . . .﴾

أي هذا الظن الفاسد وهو اعتقادكم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون، هو الذي أتلفكم وأرداكم عند ربكم ﴿فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ أي في مواقف القيامة خسرتم أنفسكم وأهليكم.



(١) حسن. رواه ابن ماجه (٤٠١٠) **وأبو يعلى في مسنده (٤/ ٢٠٠٣)**..

المبحث الثاني عشر:
سؤال الضعفاء للمستكبرين
(هل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء)؟

قال تعالى: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ۝٢١﴾ [إبراهيم: ٢١].

قال العلامة الشنقيطي ـ رحمه الله ـ في أضواء البيان (٣/ ١١٠):

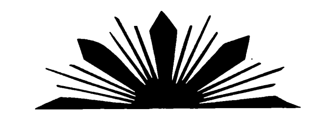
هذه المحاجة التي ذكرها الله هنا عن الكفار بينها في مواضع أخر كقوله: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ۝٤٧ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ۝٤٨﴾ [غافر: ٤٧ ـ ٤٨].

قوله تعالى: ﴿يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ﴾.

أصله يتفاعلون من الحجة أي يختصمون ويحتج بعضهم على بعض وما تضمنته هذه الآية الكريمة جاء موضحاً في آيات من كتاب الله كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ۝٦٤﴾ [ص: ٦٤]. وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ۝٣٢ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا﴾ [سبأ: ٣١ ـ ٣٣].

وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ۝ وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ۝٣٩﴾ [الأعراف: ٣٨ ـ ٣٩].

وقوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ۝١٦٦ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا﴾ [البقرة: ١٦٦ ـ ١٦٧] وقوله تعالى: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ ۖ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ۝٢١ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ۖ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ﴾ [إبراهيم: ٢١ ـ ٢٢]. والآيات بمثل هذا كثيرة.... انتهى.



المبحث الثالث عشر:
سؤال أهل النار لرجل أمر بمعروف ونهى عن منكر وخالف قوله فعله:

ـ عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون أي فلان ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه»**[1].

قال الشيخ ابن عثيمين ـ حفظه الله تعالى ـ:

من أمر بمعروف ولم يفعله أو نهى عن منكر وفعله ـ والعياذ بالله ـ وذلك أن من هذه حالة لا يكون صادقاً في أمره ونهيه لأنه لو كان صادقاً في أمره معتقداً أنه ما أمر به معروف وأنه نافع لكان هو أول من يفعله لو كان عاقلاً. وكذلك لو نهى عن منكر وهو يعتقد أنه ضار وأن فعله إثم لكان أول من يتركه لو كان عاقلاً. فإذا أمر بمعروف ولم يفعله أو نهى عن منكر وفعله علم أن قوله هذا ليس مبنياً على عقيدة والعياذ بالله. ولهذا أنكر الله على من فعل ذلك فقال تعالى: ﴿۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة: ٤٤]. ومثال ذلك: رجل يأمر بترك الناس للربا ولكنه يتعامل به أو يفعل ما هو أعظم منه. فهو يقول للناس مثلاً: لا

---

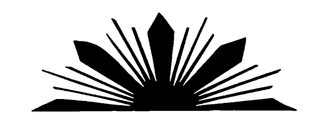
(١) أخرجه البخاري (٣٢٦٦) ومسلم (٢٩٨٩). والأقتاب: الأمعاء.

تأخذوا الربا في معاملات البنوك ثم يذهب هو فيأخذ الربا بالحيلة والمكر والخداع ولم يعلم أن ما وقع هو فيه من الحيلة والمكر والخداع أكبر ذنباً وأعظم إثماً ممن أتى الأمر على وجهه.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف: ٢ ـ ٣].

فالواجب على المرء أن يبدأ بنفسه فيأمرها بالمعروف وينهاها عن المنكر لأن أعظم الناس حقاً عليك بعد رسول الله ﷺ نفسك.

نسأل الله أن يجعلني وإياكم من الصالحين المصلحين إنه جواد كريم[١]. . انتهى مختصراً.



(١) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٤/٥٦٣ ـ ٥٦٤).

المبحث الرابع عشر:
سؤال إبراهيم عليه الصلاة والسلام لأبيه آزر يوم القيامة: ألم أقل لك لا تعصني؟:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟ فيقول أبوه: اليوم لا أعصيك فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون فأي خزي أخزى من أبي الأبعد؟ فيقول الله تعالى: «إنِّي حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال يا إبراهيم: ما تحت رجلك؟ فينظر فإذا هو بِذَيخ متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار»**[1].

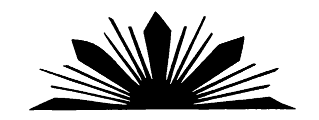
قال الحافظ ابن حجر في الفتح:

قيل الحكمة في مسخه لتنفر نفس إبراهيم منه ولئلا يبقى في النار على صورته فيكون فيه غضاضة على إبراهيم، وقيل الحكمة في مسخه ضبعاً أن الضبع من أحمق الحيوان، وآزر كان من أحمق البشر لأنه بعد أن ظهر له من ولده من الآيات البينات أصر على الكفر حتى مات واقتصر في مسخه على هذا الحيوان لأنه وسط في التشويه بالنسبة إلى ما دونه كالكلب والخنزير وإلى ما فوقه كالأسد مثلاً. ولأن إبراهيم بالغ في الخضوع له وخفض الجناح فأبى واستكبر وأصر على الكفر فعومل بصفة الذل يوم القيامة، ولأن للضبع عوجاً فأشير إلى أن آزر لم يستقم فيؤمن بل استمر على عوجه في الدين.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥٠) والذيخ: ذكر الضباع.

قال الكرماني: فإن قلت إذا أدخل الله أباه النار فقد أخزاه لقوله ـ ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٩٢] ـ وخزي الوالد خزي الولد فيلزم الخلف في الوعد وهو محال ولو لم يدخل النار لزم الخلف في الوعيد وهو المراد بقوله: (إن الله حرم الجنة على الكافرين)، والجواب أنه إذا مسخ في صورة ضبع وألقي في النار لم تبق الصورة التي هي سبب الخزي فهو عمل بالوعد والوعيد، وجواب آخر وهو أن الوعد كان مشروطاً بالإيمان وإنما استغفر له وفاء بما وعده فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه. . . انتهى مختصراً.



المبحث الخامس عشر:
سؤال المنافقين والمنافقات
للمؤمنين والمؤمنات (ألم نكن معكم)؟

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾ [الحديد: ١٣ - ١٤].

قد ذكر الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن المنافقين والمنافقات إذا رأوا نور المؤمنين يوم القيامة يسعى بين أيديهم وبأيمانهم قالوا لهم: انظرونا نقتبس من نوركم، وقيل لهم جواباً لذلك: ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً وضرب بينهم بالسور المذكور وهو الحاجز بين الجنة والنار أو بين أهل الجنة وأهل النار. ثم وصف سبحانه السور المذكور فقال: ﴿لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ﴾ أي باطن ذلك السور وهو الجانب الذي يلي أهل الجنة فيه الرحمة. ﴿وَظَٰهِرُهُۥ﴾ وهو الجانب الذي يلي أهل النار ﴿مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ أي من جهته عذاب جهنم ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: ينادي المنافقون المؤمنين حين حجز بينهم بالسور فبقوا في الظلمة والعذاب وصار المؤمنون في الجنة ألم نكن معكم في الدنيا نصلي ونصوم ونناكحكم ونوارثكم وننفق كما تنفقون ونسير معكم في الغزوات، ولكنكم فتنتم أنفسكم بالنفاق وتربصتم بنا الدوائر لتعلنوا عن كفركم وتعودوا إلى شرككم وارتبتم أي شككتم في

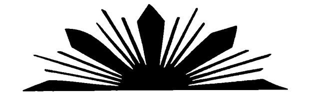
صحة الإسلام وفي عقائده، ومن ذلك البعث الآخر وغرتكم الأماني الكاذبة والأطماع في أن محمداً لن ينتصر وأن دينه لن يظهر ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ بنصر رسوله وإظهار دينه وقيل: ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ وهو الموت، والأظهر أنه الموت لأنه ينقطع به العمل.

وقوله تعالى في هذه الآية: ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ أي وخدعكم بالله الشيطان فأطمعكم بالنجاة من عقوبته والسلامة من عذابه، وأن وعد الله بالبعث ليس بحق، وعبر عن الغرور بصيغة المبالغة لكثرة غرور الشيطان لبني آدم. كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: ١٢٠]، [الإسراء: ٦٤].

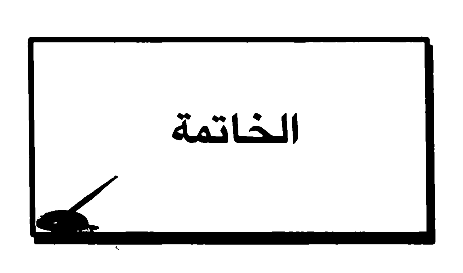
وقال الشيخ السويدي(١):

قال سبحانه حكاية عن المنافقين: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ . . .﴾ الآية.

وقد دلت الآية على أنهم لم يعبدوا أصناماً بل كانوا مع المؤمنين ولم يكونوا عارفين بما وجب من معرفته فإذا كان الأمر كذلك فلا يغتر المقلد بقوة تصميمه وكثرة عبادته أنه على الحق لتوجه النقض عليه بتصميم اليهود والنصارى على معتقداتهم الفاسدة وعدم رجوعهم عنها ولو نشروا بالمناشير، فهذا لا يدل على حقية معتقداتهم، فللنشأة بين قوم يدينون بشيء وللمخالطة تأثير عظيم في التصميم فلينظر المسلم إلى ما انطوت عليه طويته وليتأمل في خلق الله وما خلق لأجله، وإذا أشكل عليه شيء وجب عليه أن يسأل، فعلى قدر المعرفة تكون الخشية وعلى قدر الخشية تكون الإنابة وعلى حسبها حسن العبادة وعلى قدرها ترجى الرحمة، وفقنا الله سبحانه للعلم والعمل وجنبنا بفضله الخطأ والخطل آمين.



(١) انظر كتاب العقد الثمين للسويدي ص ٢٩.



الخاتمة

هذا ما تيسر لي جمعه في بيان أنواع السؤال فإن كنت مصيباً فمن الله تعالى وحده وإن كنت مخطئاً فمن نفسي ومن الشيطان والله ورسوله منه براء واسأل الله تعالى أن يغفر لي أخطائي وزلاتي وكل ذلك عندي وأطمع في رحمة الله تعالى التي وسعت كل شيء، واسأل إخواني المسلمين الدعاء بظهر الغيب لعل الله يرحمني. وإن كنت أخطأت في شيء فأنا بشر أصيب وأخطىء وإني لست معصوماً: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]، ورحم الله أخاً أهدى إليَّ خطئي وصوَّبه.

وفي النهاية أسأل الله تعالى بما سأل به نبينا محمد ﷺ ربه.

«اللهم أنت الأول فلا شيء قبلك، وأنت الآخر فلا شيء بعدك، أعوذ بك من شر كل دابة ناصيتها بيدك، وأعوذ بك من الإثم والكسل، ومن عذاب القبر وفتنة الغنى، وفتنة الفقر، وأعوذ بك من المأثم والمغرم، اللهم نقي قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، اللهم باعد بيني وبين خطيئتي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم أسألك خير المسألة وخير الدعاء، وخير النجاح وخير العمل، وخير الثواب، وخير المحيا (الحياة)، وخير الممات، وثبّتني وثقّل موازيني، (وحقق إيماني) وارفع درجتي وتقبّل صلاتي واغفر خطيئتي، وأسألك الدرجات العلى من الجنة آمين، (اللهم إني أسألك فواتح الخير وخواتمه وجوامعه وأوله وظاهره وباطنه) اللهم إني أسأل الجنة آمين (اللهم إني أسألك خير ما آتى وخير ما أفعل وخير ما أعمل)، اللهم إني أسألك خير ما فُعِلَ وخير ما عُمِلَ، وخير ما بَطَنَ وخير ما ظَهَرَ،

والدرجات العلى من الجنة آمين، اللهم إني أسألك أن ترفع ذكري، وتضع وزري، وتصلح أمري، وتطهّر قلبي، وتحفظ (وتحصن) فرجي، وتُنَوِّر لي قلبي، وتغفر لي ذنبي وأسألك الدرجات العلى من الجنة آمين، اللهم نجني من النار.

(اللهم إني أسألك أن تبارك لي في نفسي وفي سمعي وفي بصري وفي روحي وفي خَلقي وفي خُلقي وفي أهلي وفي محياي وفي مماتي وفي عملي فتقبل حسناتي واسألك الدرجات العلى من الجنة آمين)[1].

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين الذين بنعمته تتم الصالحات.

وكتبه

الراجي عفو الله ورحمته التي وسعت كل شيء

فؤاد سراج عبد الغفار

أبو عبد الرحمن

مصر ـ الدقهلية ـ أجا ـ فيشابنا

---

(١) صحيح. أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٦٢١٨) طبعة الحرمين، (٦٢١٤) طبعة المعارف.
والحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي (١/ ٥٢٠) عن أمّ سلمة مرفوعاً.
وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٧٦) رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن زنبور وعاصم بن عبيد وهم ثقتان. وانظر التاريخ الكبير للبخاري (٦/ ٤٧٩).

الفهارس العامة



أولاً
فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية

الآية	الصفحة

سورة الفاتحة

سورة البقرة

الآية	الصفحة
﴿يسألونك عن الأهلة﴾	٩٥ ـ ٥٦٥
﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾	٤٦٧
﴿ومن الناس من يعجبك قوله﴾	٦٨٨
﴿يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم﴾	٩٧ ـ ٥٦٥
﴿والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾	٥٠٩
﴿يسألونك عن الشهر الحرام﴾	١٠٠
﴿إن الذين آمنوا والذين هاجروا﴾	٩٢
﴿يسألونك عن الخمر والميسر﴾	١٠٠
﴿ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو﴾	٩٦ ـ ٥٦٥
﴿يسألونك عن اليتامى﴾	١٠٤
﴿ويسألونك عن المحيض﴾	٣٣ ـ ٩٢ ـ ١٠٥
﴿الطلاق مرتان﴾	٥٢٤
﴿فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾	٥٢٢
﴿تلك حدود الله فلا تعتدوها﴾	٥١٢
﴿ولا تمسكوهن ضراراً﴾	٥٢٢
﴿حافظوا على الصلوات﴾	٦٤٠
﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾	٧٢٣
﴿من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة﴾	٨٣٠
﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾	١٧٧ ـ ٣٣٣
﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾	٥١٦ ـ ٨٢٩
﴿ولا يحيطون بشيء من علمه﴾	٥٥٨
﴿ولا يؤوده حفظهما﴾	٦٧١
﴿والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾	٣٨٦
﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم﴾	٦٨٢
﴿الشيطان يعدكم الفقر﴾	٨٣٦
﴿للفقراء الذين أحصروا﴾	٤٦٨
﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم﴾	٥٤٨

سورة آل عمران

الآية	الصفحة
﴿خير أمة أخرجت للناس﴾	١٦٣
﴿وإن تصبروا وتتقوا﴾	٢٢٣
﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم﴾	٢٢٧
﴿قل إن الأمر كله لله﴾	٨٢٩
﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله﴾	٧٦٣
﴿الذين قال لهم الناس﴾	٧١٩
﴿إن الله فقير ونحن أغنياء﴾	٥٠٣
﴿كل نفس ذائقة الموت﴾	٥٧٧
﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب﴾	٥٤٧ ـ ٥٥٠
﴿ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته﴾	٨٦٥
﴿ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان﴾	٥١

سورة النساء

الآية	الصفحة
﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم﴾	١٧ ـ ٢١
﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى﴾	١٠٦
﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾	٨٤٩
﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم﴾	٧٠
﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً﴾	١٠٤
﴿إنما يأكلون في بطونهم ناراً﴾	٤٦٣
﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾	٢٦٣
﴿وإن كان رجل يورث كلالة﴾	١٠٩
﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات﴾	٦٦٥
﴿ولا الذين يموتون وهم كفار﴾	٨٤٢ ـ ٨٤٣
﴿وعاشروهن بالمعروف﴾	٥٢١
﴿وقد أفضى بعضكم إلى بعض﴾	٥٢١
﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾	٣٦٣ ـ ٦٧٧
﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون﴾	٦٤٣

سورة المائدة

سورة الأنعام

الآية	الصفحة

الآية	الصفحة

سورة الأعراف

سورة الأنفال

سورة التوبة

سورة يونس

سورة هود

الآية	الصفحة
﴿ولذلك خلقهم﴾	٦٢٧

سورة يوسف

سورة الرعد

سورة إبراهيم

سورة الحجر

سورة النحل

الآية	الصفحة
﴿وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم﴾	٤٤٦
﴿فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون﴾	٨٤٨
﴿ويوم نبعث في كل أمة شهيداً﴾	٦١١
﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾	٧٠٤
﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم﴾	٧٣٦
﴿ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً﴾	٧٣٧
﴿فاسألوا أهل الذكر﴾	٩٠

سورة الإسراء

الآية	الصفحة
﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾	٦٢٧ ـ ٧٤١
﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾	٨٤١ ـ ٨٤٣
﴿من كان يريد العاجلة﴾	٦٧
﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق﴾	١٢٠ ـ ٦٧١
﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن﴾	١٠٤
﴿وأوفوا بالعهد﴾	٧٣٦
﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾	٥٠٥ ـ ٧١٦
﴿إن السمع والبصر والفؤاد﴾	٦٩٤
﴿أفأصفاكم ربكم بالبنين﴾	٧٤٠
﴿وما يعدهم الشيطان إلا غروراً﴾	٨٦٧
﴿وإذا مسكم الضر في البحر﴾	٦٦ ـ ٨٨
﴿ولولا أن ثبتناك﴾	٨١٠
﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة﴾	١٧٢ ـ ١٨٠
﴿ويسألونك عن الروح﴾	٣٣ ـ ٥٣٧
﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾	٥٥٧
﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا﴾	٤١٧
﴿وما منع الناس أن يؤمنوا﴾	٤٩٧
﴿ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم﴾	٥٩٤ ـ ٥٩٧

سورة الكهف

سورة مريم

سورة طه

سورة الانبياء

الآية	الصفحة

سورة الحج

سورة المؤمنون

سورة النور

سورة الفرقان

سورة الشعراء

سورة النمل

سورة القصص

سورة العنكبوت

سورة الروم

سورة لقمان

سورة السجدة

سورة الأحزاب

سورة سبأ

سورة فاطر

سورة ص

سورة الزمر

سورة غافر

سورة فصلت

الآية	الصفحة

سورة الشورى

سورة الزخرف

الآية	الصفحة

سورة الفتح

سورة الحجرات

سورة ق

سورة الذاريات

سورة الطور

سورة النجم

سورة القمر

سورة الرحمٰن

سورة الواقعة

سورة الحديد

سورة المجادلة

سورة الحشر

سورة الصف

سورة الجمعة

سورة المنافقون

سورة التغابن

سورة الطلاق

سورة التحريم

سورة الملك

سورة القلم

سورة الحاقة

سورة المعارج

سورة نوح

سورة الجن

سورة المزمل

سورة المدثر

سورة القيامة

سورة الإنسان

سورة المرسلات

سورة النبأ

سورة النازعات

سورة التكوير

سورة الانفطار

سورة المطففين

سورة الانشقاق

سورة البروج

سورة الطارق

سورة الأعلى

سورة الغاشية

سورة الفجر

سورة البلد

سورة الشمس

سورة الضحى

سورة الشرح

سورة العلق

سورة البينة

سورة الزلزلة

سورة العاديات

سورة القارعة

سورة التكاثر

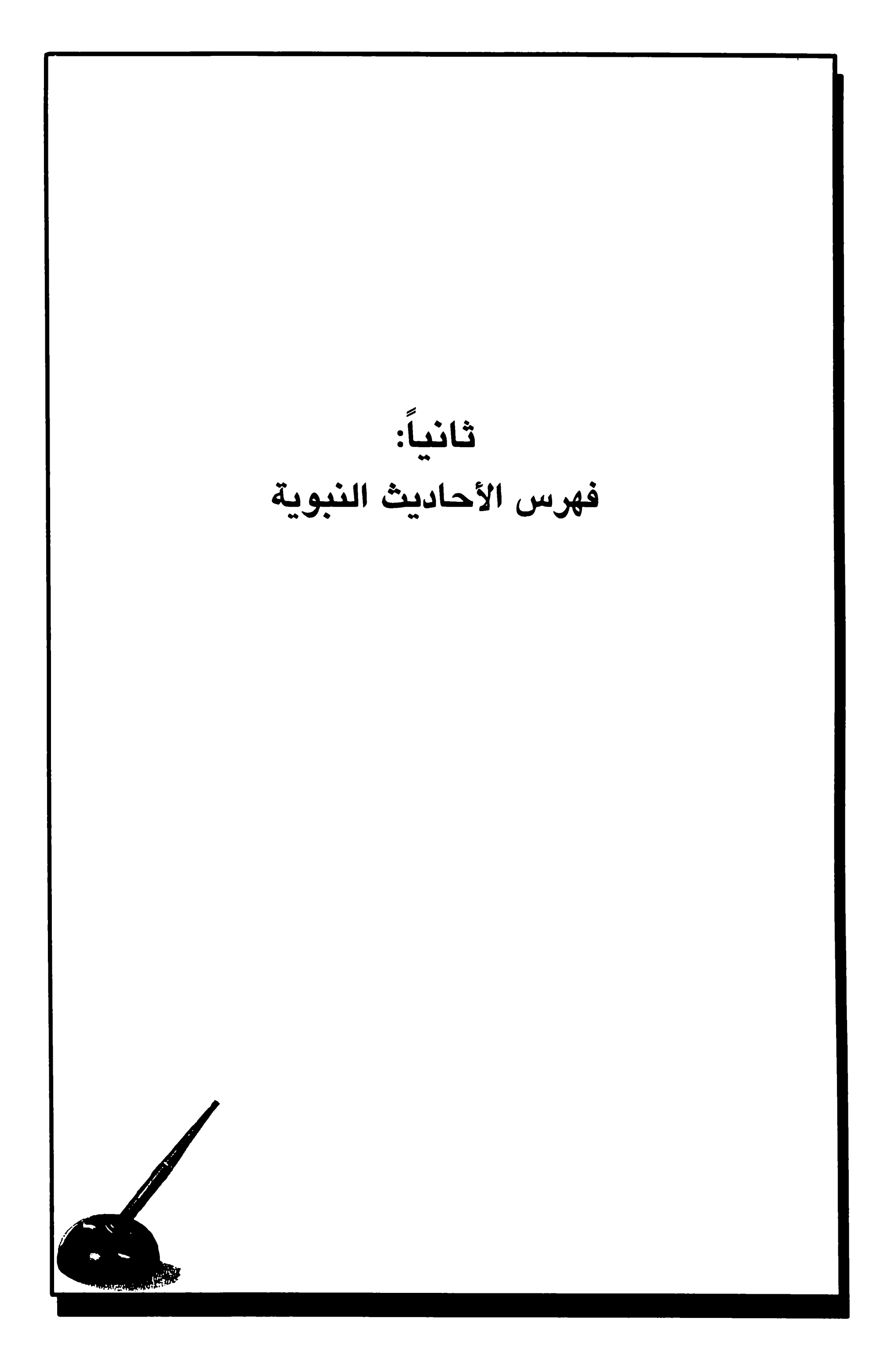
سورة الماعون

سورة الكافرون

سورة الإخلاص

سورة الفلق

سورة الناس



ثانياً:
فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأحاديث النبوية

الحديث	الصفحة

حرف الألف

الحديث	الصفحة

الحديث	الصفحة

الحديث	الصفحة

الحديث	الصفحة

الحديث	الصفحة
«اللهم أعني على ذكرك»	٨٧
«اللهم أغثنا، اللهم أغثنا»	٤٣
«اللهم اغفر لعبيد أبي عامر»	٥٧
«اللهم اغفر لي ذنبي»	٨٠
«اللهم اغفر لي ذنوبي»	٨٥
«اللهم اغر لي ما قدمت»	٨٢
«اللهم اغفر لي وارحمني»	٨١
«اللهم اكتب لي بها عندك أجراً»	٨١
«اللهم أكثر ماله وولده»	٣٥٧
«اللهم أمتعني بزوجي رسول الله ﷺ»	٤٠٧
«اللهم أنت الأول فلا شيء قبلك»	٨٦٩
«اللهم أنجز لي ما وعدتني»	٤٣
«اللهم أنعشني وأجرني»	٨٥
«اللهم إنا نجعلك في نحورهم»	١٨١
«اللهم إنك عفو»	٧٥ ـ ٢٥٥
«اللهم إني أسألك بأن لك الحمد»	٥٠
«اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله»	٥٠
«اللهم إني أسألك بنبيك»	٣٥٨ ـ ٤١٤
«اللهم إني أسألك الجنة»	٨٦٩
«اللهم إني أسألك خير المسألة»	٨٦٩
«اللهم إني أسألك العافية»	٢٢٤
«اللهم إني أسألك من الخير كله»	٦١
«اللهم إني أستخيرك بعلمك»	٥٧
«اللهم إني أعوذ بك من البخل»	٨٤
«اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت»	٨٤
«اللهم إني أعوذ بك من الشيطان»	١٨١
«اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم»	٨٢

الحديث	الصفحة

الحديث	الصفحة

الحديث	الصفحة

الحديث	الصفحة

الحديث	الصفحة

حرف الباء

الحديث	الصفحة

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

الحديث	الصفحة
«الدعاء هو العبادة»	٣٧ ـ ٣٧٤
«الدعوة لا ترد بين الأذان»	٧١
«الدين النصيحة»	٢٧٤

حرف الذال

«ذاك صريح الإيمان»	٢٧٢ ـ ٤٠١
«ذاك نهر أعطانيه»	٣١٤
«ذُكِرَ العزل عند رسول الله ﷺ»	٢٦٠
«ذكرك أخاك بما يكره»	٣٠٤
«الذي يخنق نفسه»	٦٧٨
«الذي يسأل بالله ولا يعطي»	٣٥٠
«الذين إذا رأوا ذكر الله»	٢٧٧

حرف الراء

«رأيت النار»	٦٥٩
«رؤيا المسلم وهي جزء»	٢٧٨
«رب اغفر لي»	٨١
رباط يوم وليلة	٥٧٦
«رجل أتى النبي ﷺ فقال: كيف تصوم؟»	٤٣٠
«رحم الله موسى فقد أوذي»	٦٠
«رحمة الله علينا وعلى موسى»	٥٩
«رحمه الله فقد ذكرني آية كذا»	٦٠
«رغم أنف رجل ذكرت عنده»	٣١٨
«الرعد ملك من الملائكة»	٣٣٩

حرف الزاي

«زجره بالسحاب إذا زجر»	٣٣٩

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف الظاء

حرف العين

حرف الفاء

حرف القاف

الحديث	الصفحة
«القتل القتل»	٢٣٣
«القدرية مجوس هذه الأمة»	٣٩٤

حرف الكاف

الحديث	الصفحة

حرف اللام

الحديث	الصفحة

حرف الميم

الحديث	الصفحة

الحديث	الصفحة
«من طلب قضاء المسلمين حتى يناله»	٤٨١
«من عاد مريضاً لم يزل»	٧٢٣
«من علق تميمة فقد أشرك»	١٤٩
«من عين فيها تسمى سلسبيلا»	٣٣٨
«من فتح على نفسه باب مسألة»	٤٧٨
«من فعل كذا وكذا فله»	١١٣
«من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا»	٢٨٢ ـ ٦٨٥
«من قال حين يصبح لا إله إلا الله»	٢٢٤
«من قتل دون ماله»	٣٢٩
«من قتل دون مظلمته فهو شهيد»	٣٢٩
«من قتل نفساً معاهدة»	٦٧٤
«من قرأ بالآيتين»	٢٢٥
«من قرأ القرآن فليسأل الله به»	٤٦١
«من كان معه فضل ظهر»	٩٧
«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن»	٨٠١
«من كذب عليّ متعمداً»	٥٥٥
«من لم يدع الله يغضب عليه»	٣٧
«من مات في الطاعون»	٣٢٧
«من مات وهو يعلم»	٦٦٢
«من نام عن الوتر»	٢٥٠
«من نزل منزلاً ثم قال»	٢٢٥
«من همّ بحسنة»	٦٨١
«من ولاه الله شيئاً»	٧٠٣
«من لا يشكر الناس»	١٩
«من يرد الله به خيراً يفقهه»	٥٥١
«من يلي من هذه البنات»	٧١٤
«الماء طهور لا ينجسه»	٢٣٨

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

الحديث	الصفحة

حرف اللام

الحديث	الصفحة

حرف الياء

الحديث	الصفحة

الحديث	الصفحة

الحديث	الصفحة

ثالثاً

فهرس الموقوفات والمأثورات

فهرس الموقوفات والمأثورات

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الصاد

حرف العين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

الأثر		الصفحة
كيف أنت؟	عمر بن الخطاب	٣٦٥
كيف تسألون أهل الكتاب	عبدالله بن عباس	٤٩٠
الكيف غير معقول	مالك بن أنس	٤٠٥

حرف اللام

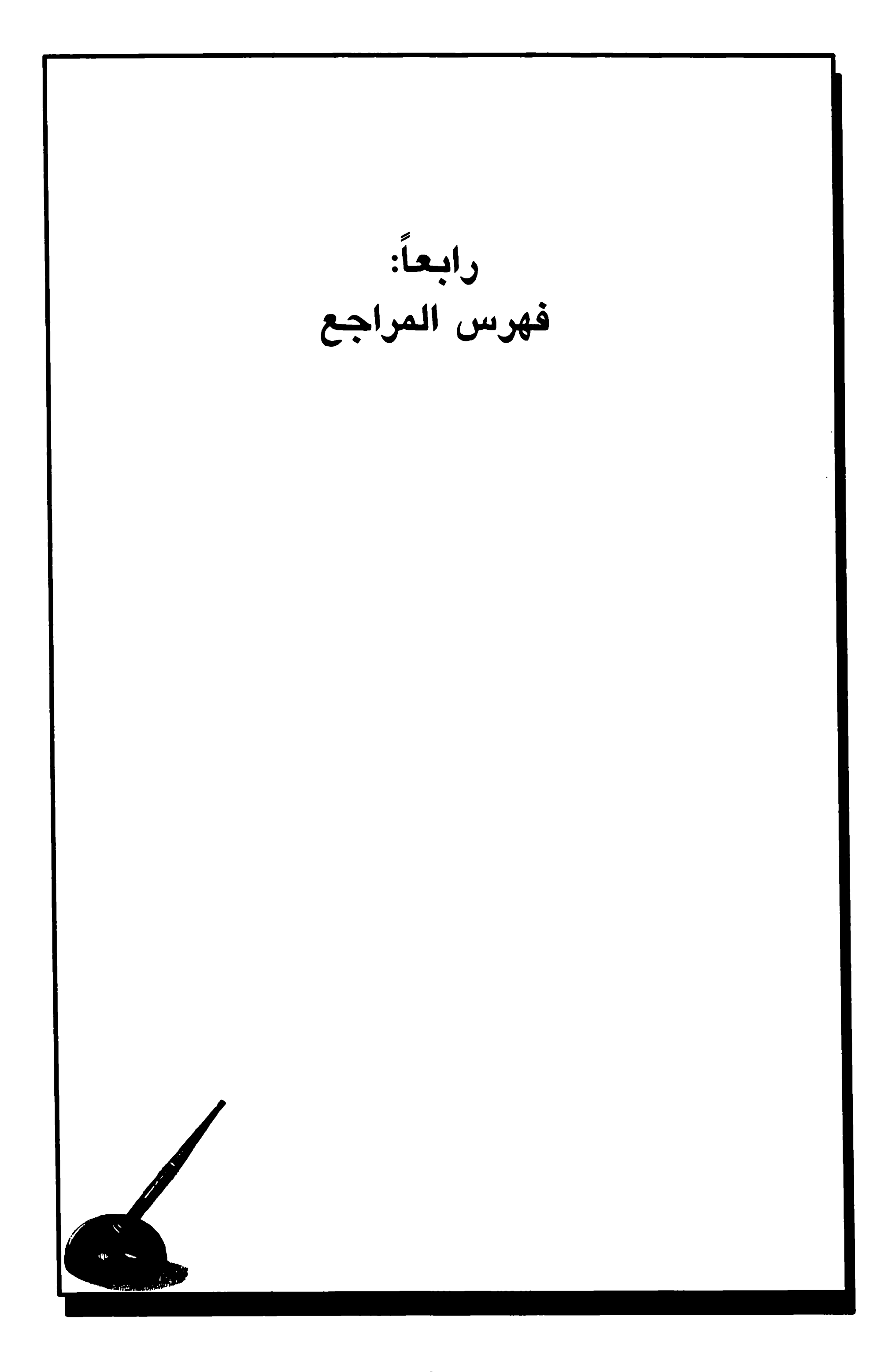
لقد أدركت في هذا المسجد	عبدالرحمٰن بن أبي ليلى	٤٤١
لقد أذللت الخلفاء بعدك	علي بن أبي طالب	٧٠٦
لما أنزل الله عز وجل ﴿ولا تقربوا مال اليتيم﴾	عبدالله بن عباس	١٠٤
لو أدرك هؤلاء الأرائيون	الشعبي	٤٤٥
لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً	أنس بن مالك	٥٥٢
لو مات جذي بطف الفرات	عمر بن الخطاب	٤٨٦
لو وضعتم الصمصامة على هذه	أبو ذر الغفاري	٥٥١
لولا المسائل لذهب العلم	هشام بن مسلم	٩٢
ليتني كنت نسياً منسياً	عمر بن الخطاب	٤٨٦

حرف الميم

ما الأب؟	عمر بن الخطاب	٤٣٦
ما أجد لقلبي خشية فأدعو لك	طاووس	٧٠
ما أحب ذلك	أحمد بن حنبل	٤٤٤
ما أحصى ما سمعت أحمد	أبو داود	٤٤١
ما تصنع بالمسائل	أبو محيريز	٩٢
ما رأيت أحداً أكثر	عمر بن زائدة	٤٤٠
ما رأيت قوماً كانوا خيراً	عبدالله بن عباس	٩٢
ما كانوا يسألون إلا عما ينفعهم	عبدالله بن عباس	٩٢
ما كنا فيه من عبادة الأوثان	عمر بن الخطاب	٣٨٧
ما لك لا تقول في الطلاق	جعفر بن إياس	٤٤١
ما من شيء إلا قد سألت عنه	سعيد بن جبير	٤٤١
مسّاك الله بالخير	صدقة	٣٦٥

حرف اللام ألف

حرف الياء



رابعاً:
فهرس المراجع

فهرس المراجع

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.
(محمد فؤاد عبد الباقي).

٣ ـ تفسير الطبري.
طبعة العلمية.

٤ ـ تفسير القرطبي.
طبعة الشعب، والعلمية.

٥ ـ تفسير ابن كثير.
طبعة الشعب، وابن كثير.

٦ ـ تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير.
(محمد نسيب الرفاعي).

٧ ـ زاد المسير (ابن الجوزي).
طبعة المكتب الإسلامي.

٨ ـ تفسير البغوي.
طبعة دار طيبة.

٩ ـ الدر المنثور (السيوطي).
طبعة العلمية.

١٠ ـ فتح القدير (الشوكاني).
طبعة دار الحديث.

١١ ـ أضواء البيان (الشنقيطي).
طبعة إدارة البحوث العلمية.

١٢ ـ تفسير المنار (محمد رشيد رضا).
طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب. وطبعة دار الفكر.
١٣ ـ في ظلال القرآن (سيد قطب).
طبعة دار الشروق.
١٤ ـ تيسير الكريم الرحمن (عبد الرحمن السعدي).
طبعة عالم الكتب.
١٥ ـ أيسر التفاسير (أبو بكر الجزائري).
طبعة راسم.
١٦ ـ صفوة التفاسير (الصابوني).
١٧ ـ دقائق التفسير (ابن تيمية).
بتحقيق محمد السيد الجليند.
١٨ ـ بدائع التفسير (ابن القيم).
جمع وتحقيق يسري السيد محمد.
١٩ ـ التفسير القيم (ابن القيم).
بتحقيق محمد حامد الفقي.
٢٠ ـ أحكام القرآن (ابن العربي).
بتحقيق محمد عبد القادر عطا.
٢١ ـ أحكام القرآن (الجصاص).
بتحقيق عبد السلام محمد شاهين.
٢٢ ـ تأويل مشكل القرآن (ابن قتيبة).
بتحقيق أيمن صالح شعبان.
٢٣ ـ أسباب النزول (السيوطي).
٢٤ ـ قبس من نور القرآن (الصابوني).
٢٥ ـ الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (محمد أبو شهبة).
٢٦ ـ مروياتَ الإمام أحمد في التفسير.
جمع وتخريج حكمت بشير ياسين.
٢٧ ـ دفع إيهام الإضطراب عن آيات الكتاب (الشنقيطي).
٢٨ ـ اِلنهاية في غريب الحديث (ابن الأثير).
٢٩ ـ لسان العرب (ابن منظور).

طبعة دار المعارف.
٣٠ ـ المصباح المنير (الفيومي).
٣١ ـ القاموس المحيط (الفيروز آبادي).
٣٢ ـ الكليات (أبو البقاء الكفوي).
٣٣ ـ المعجم الوجيز (مجمع اللغة العربية).
٣٤ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ابن حجر العسقلاني).
الطبعة السلفية، والريان.
٣٥ ـ شرح مسلم (النووي).
بتحقيق د. عبدالمعطي قلعجي.
٣٦ ـ شرح مسلم (النووي).
بتحقيق خليل الميس.
٣٧ ـ صحيح مسلم.
ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.
٣٨ ـ عون المعبود شرح سنن أبي داود (محمد شمس الحق العظيم آبادي).
٣٩ ـ سنن أبي داود
بتحقيق عزت الدعاس.
٤٠ ـ سنن الترمذي.
بتحقيق أحمد شاكر.
٤١ ـ عارضة الأحوذي (ابن العربي).
٤٢ ـ تحفة الأحوذي (المباركفوري).
٤٣ ـ السنن الكبرى للنسائي.
طبعة العلمية.
٤٤ ـ سنن النسائي (المجتبي) بشرح السيوطي وحاشية السندي.
طبعة العلمية، والمعرفة.
٤٥ ـ سنن ابن ماجه.
ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.
٤٦ ـ سنن الدارمي.
بتحقيق أحمد دهمان.
٤٧ ـ السنن الكبرى للبيهقي.

بتحقيق محمد السعيد زغلول.
٤٨ ـ مسند الإمام أحمد.
طبعة المكتب الإسلامي، والرسالة.
٤٩ ـ مسند الإمام أحمد.
بتحقيق أحمد شاكر.
٥٠ ـ الفتح الرباني في ترتيب المسند (أحمد عبد الرحمن البنا).
٥١ ـ صحيح ابن خزيمة.
بتحقيق د. الأعظمي.
٥٢ ـ صحيح ابن حبان.
بتحقيق شعيب الأرنؤوط.
٥٣ ـ موارد الظمآن (الهيثمي).
طبعة الرسالة.
٥٤ ـ شرح السنة للبغوي.
بتحقيق شعيب الأرنؤوط.
٥٥ ـ شرح السنة للبغوي.
بتحقيق علي معوض وعادل معوض.
٥٦ ـ السنة للخلال.
بتحقيق د. عطية الزهراني.
٥٧ ـ المصنف لابن أبي شيبة.
الطبعة الهندية.
٥٨ ـ المستدرك للحاكم.
بتحقيق مصطفى عبد القادر عطا.
٥٩ ـ مسند أبي يعلى.
بتحقيق حسين أسد.
٦٠ ـ المعجم الكبير للطبراني.
بتحقيق حمدي السلفي.
٦١ ـ المعجم الأوسط للطبراني.
طبعة الحرمين، ومكتبة المعارف.
٦٢ ـ الروض الداني إلى المعجم الصغير للطبراني.

٦٣ ـ مجمع الزوائد للهيثمي.
بتحقيق عبد الله الدرويش.
٦٤ ـ حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني.
٦٥ ـ الأذكار للنووي.
بتحقيق سليم الهلالي.
٦٦ ـ رياض الصالحين للنووي.
بتحقيق الشيخ الألباني.
٦٧ ـ شرح رياض الصالحين لابن العثيمين.
٦٨ ـ غوث المكدود بتخريج منتقى ابن الجارود (أبو إسحاق الحويني).
٦٩ ـ تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزيلعي.
بتحقيق سلطان بن فهد.
٧٠ ـ الإلزامات والتتبع للدارقطني.
٧١ ـ كشف الخفاء للعجلوني.
٧٢ ـ الوابل الصيب من الكلم الطيب (ابن القيم).
٧٣ ـ السلسلة الصحيحة (١ ـ ٦) (الألباني).
٧٤ ـ السلسلة الضعيفة (١ ـ ٤) (الألباني).
٧٥ ـ صحيح الترغيب (الألباني).
٧٦ ـ الأدب المفرد (البخاري) بتحقيق الشيخ الألباني.
٧٧ ـ إرواء الغليل (الألباني).
٧٨ ـ صحيح الجامع الصغير (الألباني).
٧٩ ـ ضعيف الجامع الصغير (الألباني).
٨٠ ـ صحيح سنن الترمذي (الألباني).
٨١ ـ ضعيف سنن الترمذي (الألباني).
٨٢ ـ صحيح سنن أبي داود (الألباني).
٨٣ ـ ضعيف سنن أبي داود (الألباني).
٨٤ ـ صحيح سنن النسائي (الألباني).
٨٥ ـ ضعيف سنن النسائي (الألباني).
٨٦ ـ صحيح سنن ابن ماجه (الألباني).
٨٧ ـ ضعيف سنن ابن ماجه (الألباني).

٨٨ ـ مشكاة المصابيح للتبريزي.
بتحقيق الشيخ الألباني.
٨٩ ـ كتاب السنة لابن أبي عاصم.
بتحقيق الشيخ الألباني.
٩٠ ـ تغليق التعليق (ابن حجر العسقلاني).
٩١ ـ الصحيح المسند في دلائل النبوة (مقبل بن هادي).
٩٢ ـ الصحيح المسند من الأحاديث القدسية (مصطفى العدوي).
٩٣ ـ الترغيب والترهيب للأصبهاني.
بتحقيق أيمن صالح شعبان.
٩٤ ـ الترغيب والترهيب للمنذري.
طبعة دار ابن كثير.
٩٥ ـ المراسيل لأبي داود.
بتحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط.
٩٦ ـ شأن الدعاء (الخطابي).
٩٧ ـ جامع العلوم والحكم (ابن رجب الحنبلي).
٩٨ ـ الإبانة (ابن بطة) بتحقيق رضا نعسان.
٩٩ ـ جامع بيان العلم وفضله (ابن عبد البر).
بتحقيق أبي الأشبال الزهيري.
١٠٠ ـ تهذيب الكمال (الحافظ المزي).
بتحقيق د. بشار عواد.
١٠١ ـ التاريخ الكبير (البخاري).
١٠٢ ـ تقريب التهذيب (ابن حجر العسقلاني).
١٠٣ ـ تذكرة الحفاظ (الذهبي).
١٠٤ ـ سير أعلام النبلاء (الذهبي).
بتحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط.
١٠٥ ـ الطبقات الكبرى (ابن سعد).
بتحقيق محمد عبد القادر عطا.
١٠٦ ـ تاريخ الخلفاء (السيوطي).
١٠٧ ـ الرياض النضرة في مناقب العشرة (محب الطبري).

١٠٨ ـ صفة الصفوة (ابن الجوزي).
١٠٩ ـ الموافقات (الشاطبي).
بتحقيق عبد الله دراز.
١١٠ ـ الرسالة (الشافعي).
بتحقيق أحمد شاكر.
١١١ ـ أعلام الموقعين (ابن القيم).
١١٢ ـ الأحكام في أصول الأحكام (ابن حزم).
بتحقيق أحمد شاكر.
١١٣ ـ نهاية البداية والنهاية (ابن كثير).
بتحقيق أحمد عبد الشافي.
١١٤ ـ نيل الأوطار (الشوكاني).
١١٥ ـ فقه السنة (سيد سابق).
١١٦ ـ سبل السلام (الصنعاني).
١١٧ ـ الشرح الممتع على زاد المستقنع (ابن العثيمين).
١١٨ ـ الاختيارات الفقهية (ابن تيمية).
١١٩ ـ كتاب الإيمان (ابن تيمية).
بتحقيق خليل هراس.
١٢٠ ـ مجموع الفتاوى (ابن تيمية).
١٢١ ـ الفتاوى الكبرى (ابن تيمية).
بتحقيق محمد عبد القادر عطا.
١٢٢ ـ الفتوى الحموية (ابن تيمية).
١٢٣ ـ التوسل والوسيلة (ابن تيمية).
بتحقيق د. ربيع بن هادي.
١٢٤ ـ اقتضاء الصراط المستقيم (ابن تيمية).
بتحقيق د. ناصر العقل.
١٢٥ ـ اقتضاء الصراط المستقيم (ابن تيمية).
بتحقيق محمد حامد الفقي.
١٢٦ ـ العقيدة الواسطية (ابن تيمية).
بشرح ابن العثيمين.

١٢٧ ـ مجموعة التوحيد (ابن تيمية ـ محمد بن عبد الوهاب).
بتحقيق بشير عيون.
١٢٨ ـ كتاب الصلاة (ابن القيم).
١٢٩ ـ زاد المعاد (ابن القيم).
بتحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط.
١٣٠ ـ الطب النبوي (ابن القيم).
١٣١ ـ تحفة المولود (ابن القيم).
بتحقيق الشيخ صلاح الدين مقبول وبعض طلبة العلم.
١٣٢ ـ بدائع الفوائد (ابن القيم).
بتحقيق بشير عيون.
١٣٣ ـ طريق الهجرتين (ابن القيم).
١٣٤ ـ شفاء العليل (ابن القيم).
١٣٥ ـ إغاثة اللهفان (ابن القيم).
بتحقيق محمد حامد الفقي.
١٣٦ ـ حادي الأرواح (ابن القيم).
١٣٧ ـ الروح (ابن القيم).
١٣٨ ـ جلاء الأفهام (ابن القيم).
١٣٩ ـ مجموع فتاوى (ابن العثيمين).
١٤٠ ـ فتاوى اللجنة الدائمة.
جمع أحمد عبد الرزاق.
١٤١ ـ مختصر الفتاوى المصرية.
جمع وترتيب صفوت الشوادفي.
١٤٢ ـ تيسير العزيز الحميد (سليمان بن عبد الله).
١٤٣ ـ فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (عبد الرحمن بن حسن).
١٤٤ ـ القول المفيد على كتاب التوحيد (ابن العثيمين).
١٤٥ ـ صفة صلاة النبي (الألباني).
١٤٦ ـ حكم تارك الصلاة (الألباني).
١٤٧ ـ أحكام الجنائز (الألباني).
١٤٨ ـ آداب الزفاف (الألباني).

١٤٩ ـ حكم التداوي بالمحرمات (ساعد غازي).

١٥٠ ـ رسائل في الصلاة.

طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث.

١٥١ ـ ألفاظ الكفر «بدر الرشيد».

تعليق د. محمد عبد الرحمن الخميس.

١٥٢ ـ الإعلام بقواطع الإسلام (ابن حجر الهيتمي).

١٥٣ ـ المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل (ابن بدران).

بتحقيق د. عبد الله التركي.

١٥٤ ـ شرح الطحاوية (ابن أبي العز).

بتحقيق الشيخ الألباني.

١٥٥ ـ معارج القبول (حافظ أحمد حكمي).

١٥٦ ـ الدين الخالص (صديق حسن خان).

١٥٧ ـ الآداب الشرعية (ابن مفلح).

بتحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط.

١٥٨ ـ تلبيس إبليس (ابن الجوزي).

١٥٩ ـ المدهش (ابن الجوزي).

١٦٠ ـ مناقب عمر بن الخطاب (ابن الجوزي).

١٦١ ـ التبصرة (ابن الجوزي).

١٦٢ ـ أخبار النساء (ابن الجوزي).

١٦٣ منهاج اليقين شرح أدب الدنيا والدين (أويس وفا).

١٦٤ ـ الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (د. صالح بن فوزان).

١٦٥ ـ الأوسط (ابن المنذر).

بتحقيق أبو حماد صغير أحمد.

١٦٦ ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (اللالكائي).

١٦٧ ـ المنتقى (ابن العثيمين).

١٦٨ ـ مهذب شرح الطحاوية (صالح بن عبد الرحمن).

١٦٩ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (العمري).

١٧٠ ـ الجواهر المضية في طبقات الحنفية (عبد القادر بن محمد الحنفي).

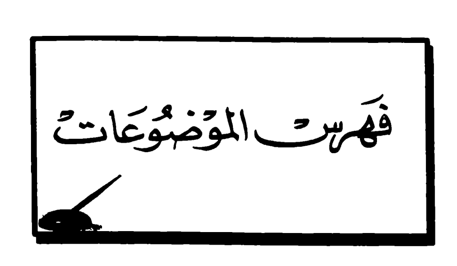
١٧١ ـ الفقيه والمتفقه (الخطيب البغدادي).

١٧٢ ـ كشف الكربة (ابن رجب الحنبلي).
١٧٣ ـ تطهير المجتمعات (أحمد بن حجر آل طامي).
١٧٤ ـ ذم المسألة (مقبل بن هادي).
١٧٥ ـ المروءة وخوارمها (مشهور بن حسن).
١٧٦ ـ كتب حذر منها العلماء (مشهور بن حسن).
١٧٧ ـ مختصر منهاج القاصدين (ابن قدامة).
١٧٨ ـ جمع الفنون في شرح جملة متون (د. محمد عبد الرحمن الخميس).
١٧٩ ـ مفاهيم ينبغي أن تصحح (محمد قطب).
١٨٠ ـ الكنز الثمين (ابن جبرين).
١٨١ ـ منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب (عبد العزيز آل معمر).
١٨٢ ـ اليوم الآخر في ظلال القرآن (سيد قطب) جمع أحمد فائز.
١٨٣ ـ مناظرة بين الإسلام والنصرانية.
طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث.
١٨٤ ـ من أساليب الرسول في التربية (نجيب خالد العامر).
١٨٥ ـ مقارنة الأديان (أحمد شلبي).
١٨٦ ـ آفات على الطريق (د. السيد محمد نوح).
١٨٧ ـ العقد الثمين (السويدي).
١٨٨ ـ غرائب وعجائب الجن (بدر الدين الشبلي).
بتحقيق إبراهيم الجمل.
١٨٩ ـ عالم السحر والشعوذة (عمر سليمان الأشقر).
١٩٠ ـ العرافون والدجالون (ياسين أحمد عيد).
١٩١ ـ كشف الستار عن أباطيل العرافين الأشرار (ياسين أحمد عيد).
١٩٢ ـ التمائم في ميزان العقيدة (علي بن نفيع العلياني).
١٩٣ ـ النهضة الإصلاحية (مصطفى الحمامي).
١٩٤ ـ حقائق الإسلام بين الجحود والتطرف. (عبد المجيد صبح).
١٩٥ ـ المسترشدين (المحاسبي).
بتحقيق عبد الفتاح أبو غدة.
١٩٦ ـ سمط اللآلى (أبو إسحاق الحويني).
١٩٧ ـ التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية (فالح بن مهدي).

١٩٨ ـ حجة الله البالغة (شاه ولي الله الدهلوي).
١٩٩ ـ كشف الشبهات (محمد بن عبد الوهاب).
٢٠٠ ـ القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع «الحافظ السخاوي».
٢٠١ ـ الوسيلة (محمد إبراهيم شقرة).
٢٠٢ ـ الزهد (ابن المبارك).
بتحقيق أحمد فريد.
٢٠٣ ـ اليوم الآخر (القيامة الكبرى). د. عمر سليمان الأشقر.
٢٠٤ ـ السيد البدوي «دراسة نقدية». د. عبد الله صابر.
٢٠٥ ـ العهد والميثاق في القرآن الكريم (د. ناصر العمر).
٢٠٦ ـ أهوال القيامة (عبد الملك علي الكليب).
٢٠٧ ـ مسند الشافعي.
طبعة العلمية.
٢٠٨ ـ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (علي بن سلطان القاري).
٢٠٩ ـ تسهيل الفرائض (ابن العثيمين).
٢١٠ ـ بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين (سليم الهلالي).
٢١١ ـ كشف الأستار عن زوائد البزار (الهيثمي).
٢١٢ ـ طبقات الحنابلة (ابن أبي يعلى الحنبلي).
٢١٣ ـ كتاب التوحيد (ابن خزيمة).
٢١٤ ـ أسباب النزول (مخطوط) لابن حجر العسقلاني،
٢١٥ ـ الفروق «القرافي».
٢١٦ ـ الملل والأهواء والنِّحل (ابن حزم).

خامساً

فهرس الموضوعات



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

